مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية فصلية أكاديمية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة السادسة (6)–العدد العاشر (10) / رمضان 1438هـ – جوان 2017

تقرؤون في هذا العدد:

- ✓ نظام المعاينة في البحوث الاجتماعية والاعلامية

أ.طلحة الياس (جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة – الجزائر)

- ✓ معايير التوجيه الجامعي وتأثيرها على اكتساب جودة المعرفة الجامعية

د. سمـير أبيـــش (جامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل – الجزائر)

- ✓ المسألة الديمغرافية لدى الفكر الخلدوني

د.فضيلة شعوبي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)،د.عادل سيدي يخلف(جامعة تلمسان – الجزائر

- ✓ انتفاضة حاسي صاكة15أكتوبر 1957م ...نتائجها وانعكاساتها .

أ.فاطمة الزهراء حوتية (جامعة احمد دراية بادرار– الجزائر)

- ✓ بعثة الحجاز : الطريق الى فرض الانتداب الفرنسي على سوريا و لبنان 1915– 1920

أ.الطاهر سبقاق (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي– الجزائر)

- ✓ العنف ضد المرأة : قراءة سوسيولوجية في ضوء مؤشرات إحصائية –المجتمع التونسي نموذجا–

د. هادية العود البهلول (مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية – تونس)

- ✓ étude quasi-expérimentale d'un traitement intégratif : Psychothérapie interpersonnelle et antidépresseurs tricycliques chez une population de patients dépressifs majeures âgés entre 30 et 50 ans

Dr. LAOUDJ Mabrouk- UNIVERSITE A/ MIRA - BEJAIA

ISSN 2170-0370

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكّمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

ا السنة السادسة (6)–العدد العاشر (10) / رمضان 1438هـ – جوان 2017

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحـــاتي
مدير جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

مدير المجلة

أ.د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضـــوان شـــافو

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري
د/ معـاذ عمراني
أ/ اسمهان جبالي

تصميـــم واخـــراج

د.رضـــوان شـــافو

بريد المجلّة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

* ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.
* يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجزائر

أ.د/ الطاهر سعدالله	(جامعة الوادي)	د/ جمال بلفردي	(جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس	(جامعة الوادي)	د/ السعيد شلالقة	(جامعة الوادي)
أ.د/ قمعون عاشوري	(جامعة الوادي)	د/ شوقي ممادي	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو	(جامعة بسكرة)	د/ لامية بوبيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ مبخوت بودواية	(جامعة تلمسان)	د/ فوزي لوحيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ الشايب قدادرة	(جامعة قالمة)	د/ سلاف مشري	(جامعة الوادي)
أ.د/ محمد رشيد بوغزالة	(جامعة الوادي)	د/ لزهر ظيف	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي عنـــابزية	(جامعة الوادي)	د/ عبد الفتاح السعيدي	(جامعة الوادي)
د/ رشيـــد خضير	(جامعة الوادي)	د/ الطاهر بالنوي	(جامعة الوادي))
د/ عبد الفتاح ابي ميلود	(جامعة ورقلة)	د/ موسى بن موسى	(جامعة الوادي)
د/ محمد السعيد عقيب	(جامعة الوادي)	د/ رضـــوان شافو	(جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية	(جامعة الوادي)	د/ م.عبد الرؤوف ثامر	(جامعة الوادي)

من خارج الجزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري	(جامعة منوبة – تونس)
ا.د. نجيب بن خيرة	(جامعة الشارقة– الامارات)
د/ محمد الامين ولد آن	(جامعة نواقشط – موريطانيا)
د/عمر زعل السعودي	(الجامعة الاردنية– الاردن)
د/عبد الواحد عبد السلام شعيب	(جامعة طرابلس– ليبيا)
د/ ساعد ساعد	(جامعة الملك خالد– السعودية)

شروط و قواعد النشر بمجلّة الباحث
في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- أن يكون الباحث حاصلا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجّلا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية.
- ألاّ يكون المقال تلخيصا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن تتضمن مقدمة البحث طبيعة الموضوع واهميته واهدافه واشكاليته ومناهج البحث المعتمدة والفرضيات والدراسات السابقة
- يُزوّد المؤلّف مقاله بملخصين أوّلهما بلغة المقال والثاني بلغة أجنبية، وألاّ يتجاوز الملخّص 100 كلمة.،ويُزوّد كذلك بخمسة كلمات مفتاحية
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 16 وتباعد 1سم.
- يكون التهميش وفقا لأسلوب يسمى بالـ APA Style أي مباشرة بعد الاقتباس او الاستشهاد او الاحالة يكتب بين قوسين: (اسم شهرة صاحب النص والحرف الاول من الاسم الثاني، سنة النشر، رقم الصفحة)،مثال: (شافو،ر.2015: 35)
- توضع الشروحات والتعليقات في اخر المقال قبل قائمة المصار والمراجع ، ويشار اليها في المتن (انظر التعليق رقم؟)
- توثيق المصادر والمراجع في نهاية البحث وترتب ترتيبا ابجديا وفقا لأسلوب . APA Style على الشكل التالي:

✓ **الكتاب:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الكتاب (ط. ثم رقم الطبعة إن وجد). مكان النشر: الناشر.

مثال: غنابزية، علي.(2015). الشيخ محمد بن عمر العدواني:حياته ومأثره (ط.1).الوادي:مطبعة الرمال.

✓ **مقالة من مجلة او دورية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم إن وجد ثم الشهر إن وجد). عنوان المقالة. عنوان المجلة مع وضع خط تحته، رقم المجلد إن وجد(رقم العدد)، رقم صفحة البداية–رقم صفحة النهاية.

مثال: هويدي،عبد الباسط.(جوان 2015).الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية:الصعوبات والعوائق. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، (5)، 109- 114.

✓ **مقالة من جريدة يومية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم الشهر). عنوان المقالة. اسم الصحيفة مع وضع خط تحته، رقم العدد، ص. رقم صفحة البداية–رقم صفحة النهاية.

مثال: شافو،رضوان.(4،2013جوان).بسالة الجيش الجزائري في الحروب العربية الإسرائيلية لازالت ترعب إسرائيل.الجديد اليومي،482،ص ص2- 3.

✓ **مقالة منشورة على الانترنيت:** الاسم الأخير لمؤلف، الاسم الأول. (سنة نشر المقالة، اليوم الشهر). عنوان المقالة مع وضع خط تحته. أسترجعت في تاريخ اليوم الشهر، السنة من الموقع الالكتروني:..... http://www.

مثال: صادق، قيس. (2001، 25 أبريل). عنف أو لا عنف: مفاهيم ومواقف حول ظاهرة العنف ضد المرأة. أسترجعت في تاريخ 30 سبتمبر، 2002 من http://www.amanjordan.org/sadeq.htm

✓ **بحث في اعمال ملتقى او مؤتمر:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (تاريخ الانعقاد). عنوان البحث أو المقالة مع وضع خط تحته. قُدّم إلى اسم الندوة أو المؤتمر، مكان الانعقاد

مثال: عاشوري،قمعون. (2014، 17-18 ماي).علاقة تدوين التاريخ المحلي بالتراث الشفوي. بحث مقدم في الملتقى السابع حول التراث الثقافي،مديرية الثقافة لولاية الوادي،الجزائر.

✓ **رسائل الماجستير او الدكتوراه:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الرسالة مع وضع خط تحته. نوعها، اسم الجامعة، مكان النشر

مثال:بن موسى، موسى.(2006).الحركة الاصلاحية بوادي سوف: نشأتها وتطورها 1900-1939.رسالة ماجستير،جامعة منتوري بقسنطينة،الجزائر.

- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق سري من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمّل مؤلّف المقال مسؤولية إجراء كافّة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير لنشر المقال.
- ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ،ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين،اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم ، وإفتح علينا بمعرفة العلم،اما بعد:

هاهي مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية في عدد العاشر(10)، والذي صدر متتابعاً للعدد التاسع(9) نتيجةً لتراكم الابحاث والدراسات، وبهدف تسهيل النشر العلمي وتاحة الفرصة لكل الباحثين الجادين،وقد جاء هذا العدد متنوعاً بكثير من الدراسات والابحاث في مختلف التخصصات التي تشمل مجالي العلوم الانسانية والاجتماعية،والتي إن دلت فإنما تدل على مدى الاهمية والمكانة التي اصبحت تحتلها هذه المجلة في الاوساط العلمية الوطنية والدولية، وذلك من خلال النشر العلمي الرصين الذي يخضع للتحكيم العلمي الدقيق ،ومدى التزامها بأخلاقيات وأعراف النشر العلمي من جهة، ومن خلال التهاطل الغزير لمختلف الدراسات والابحاث العلمية الوطنية والدولية التي تصل الى بريد المجلة من جهة اخرى.

كما يسعى فريق التحرير دوماً وبكل جدية على الرقي بهذه المجلة وجعلها أنموذجا للمجلات العلمية الراقية وفقاً للمواصفات والمعايير العلمية لادارة الجودة الشاملة المنهجية والتوثيقية والفنية والشكلية،وذلك بهدف ايصال المعرفة الى كل المهتمين من طللبة واساتذة،وتقوية الاتصال العلمي بين مختلف الباحثين،املين من وراء ذلك حصول المجلة على معامل تأثير عربي ودولي،يساعد على الارتقاء بجامعة الوادي في الترتيب العلمي بين مختلف الجامعات الوطنية والعالمية.

رئيس التحرير د.رضـــوان شافو

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

- كلمة العدد 06
- **نظام المعاينة في البحوث الاجتماعية والاعلامية**..... 09

أ.طلحة الياس (جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة – الجزائر)

- **الحملات الإعلامية في مكافحة مظاهر انحراف الشباب: نحو تصميم حملات إعلامية تطبيقية**..... 24

د.ليلى فقيري (جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر)

- **رمزية المنظور القيمي الثقافي في الإشهار الإلكتروني الجزائري – مقاربة سيميائية–**..... 39

أ. اسماعيل زياد (جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي – الجزائر)

- **معايير التوجيه الجامعي وتأثيرها على اكتساب جودة المعرفة الجامعية**..... 53

د. سمير أبيـــش (جامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل – الجزائر)

- **الريادة التنموية لرأس المال البشري في ظل تحديات القرن الواحد والعشرين**..... 68

د.زبير عياش، أ.رشيد بوخالفة،أ.زينب ڤريوة (جامعة ام البواقي،جامعة جيجل،جامعة سكيكدة – الجزائر)

- **تحليل الفعالية اللغوية لدى ثنائيي اللغة:دراسة مقارنة لدى تلاميذ الطور الإبتدائي بمدينة تمنراست**..... 78

د. زهير عمراني (جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي – الجزائر)

- **المسألة الديمغرافية لدى الفكر الخلدوني**..... 96

د.فضيلة شعوبي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)،د.عادل سيدي يخلف(جامعة تلمسان – الجزائر)

- **العنف ضد المرأة : قراءة سوسيولوجية في ضوء مؤشرات إحصائية –المجتمع التونسي نموذجا–**..... 108

د. هادية العود البهلول (مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية — تونس)

- **العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والسمات الابتكارية(دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بمدينة باتنة)**..... 123

د. سليمة سايحي (جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر)

- **تاريخ الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة** 135

د.الياس شاهد ،د.حمزة بالي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي- الجزائر)

❖ **انتفاضة حاسي صاكة15أكتوبر 1957م ...نتائجها وانعكاساتها**.....146

أ.فاطمة الزهراء حوتية (جامعة احمد دراية بادرار- الجزائر)

❖ **بعثة الحجاز : الطريق الى فرض الانتداب الفرنسي على سوريا و لبنان 1915-1920**.....157

أ.الطاهر سبقاق (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)

❖ **أضواء جديدة على طبنة الزاب: فصول في تاريخ المسالك وتخطيط العمران**.....168

أ. الصادق زياني (جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة - الجزائر)

❖ **دور نقابة الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تدويل المشكلة الجزائرية: الجامعة العالمية للنقابات الحرة أنموذجا**.....184

د.عيسى لتيم (جامعة باتنة1- الجزائر)

❖ **étude quasi-expérimentale d'un traitement intégratif : Psychothérapie interpersonnelle et antidépresseurs tricycliques chez une population de patients dépressifs majeures âgés entre 30 et 50 ans**
.....200

Dr. LAOUDJ Mabrouk- UNIVERSITE A/ MIRA - BEJAIA

تاريخ الاستلام: 2016/11/06- تاريخ التحكيم: 2017 /01/02 -تاريخ النشر2017/06/30

نظام المعاينة في البحوث الاجتماعية والاعلامية

أ.طلحة الياس

جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة – الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص

تسلط الدراسة على أهمية العينات في البحوث الاجتماعية عموما والإعلامية خصوصا،كما تطرق البحث إلى شرح أنواع العينات والإشكاليات التي تطرحها،وأهم أخطاء المعاينة،والعينة الممثلة لمجتمع الدراسة وخصائصها.

الكلمات المفتاحية: نظام المعاينة،البحوث الاجتماعية والإعلامية

Abstract

The study emphasizes the importance of samples in social research in general and media in particular. The research discusses the types of specimens and problems that arise The most important sampling errors, and the representative group of the study population and their characteristics.

Keywords: sampling system, social and media research

أولا: مفاهيم أساسية:

1-مجتمع البحث population: هو المجتمع الأكبر أو المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق نتائج الدراسة. ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر المجتمع المستهدف الذي يهدف الباحث دراسته، ويتم تعميم نتائج الدراسة على كل مفرداته، إلا أنه يصعب الوصول إلى هذا المجتمع المستهدف بضخامته، فيتم التركيز على المجتمع المتاح أو الممكن الوصول إليه والاقتراب منه لجمع البيانات. والذي يعتبر عادة جزء ممثلا للمجتمع المستهدف ويلبي حاجات الدراسة وأهدافها، وتختار منه عينة البحث.(محمد عبد الحميد، 2000، ص130)

إن مجتمع البحث:" يعني جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث، فإذا كان الباحث يدرس مشكلات الأسرة الريفية في الأردن فإن مجتمع بحثه هو الأسر الريفية في الأردن...إن مجتمع البحث إذن هو جميع الأفراد أو الأشخاص الذين يكونون موضوع مشكلة البحث... (ذوقان عبيدات، د س،ص106) كما أن "المقصود بمجتمع الدراسة كل العناصر المراد دراستها". إذ أن سحب جزء من مجتمع الدراسة يطلق عليه اسم العينة، والعملية التي تتم بهذا الشكل يطلق عيها اسم المعاينة sampling (منذر الضامن، 2007،ص160)

2-العينة والمعاينة:

تشير العينة إلى مجموعة جزئية مميزة ومنتقاة من مجتمع الدراسة، فهي مميزة من حيث أنها لها نفس خصائص المجتمع، ومنتقاة من حيث أنه يتم انتقاؤها من مجتمع الدراسة وفق إجراءات وأساليب محددة، فحتى يتم اختيار عينة ما يجب أولا أن نعرف مجتمع الدراسة الذي هو موضع اهتمام الباحث. وعندما نتحدث عن المجتمع نتحدث عن عدة أنماط من المجتمعات، يطلق على أحدها مصطلح "المجتمع المستهدف"

TARGET POPULATION، وهو يشير إلى المجموعات الكلية من الأفراد أو الظواهر أو الأشياء التي نأمل أن نعمم نتائج بحثنا عليها. ولعل الفائدة التي يجنيها الباحث من اختياره عينة الدراسة بدلا من المجتمع ككل هو توفير الوقت والتكلفة التي تتطلبها دراسة المجتمع، فإذا تم انتقاء العينة بشكل صحيح فإن الباحث يتمكن من التوصل إلى استنتاجات صحيحة إلى درجة ما حول المجتمع المستهدف. (محمد وليد البطش،2007، ص95)

ففي كثير من الأحيان يكون تناول جميع الوحدات التجريبية في المجتمع الذي هو موضوع اهتمام الباحث ليست في متناول اليد، وإنما يعمل الباحث على حصر بحثه على عينة مأخوذة من مجتمع الدراسة. لذلك من بين الأمور الهامة التي عليه الانتباه لها هو أسلوب اختيار العينة من مجتمع الدراسة، بحيث تكون ممثلة له. (محمد وليد البطش ،2007، ص96،97). ويمكن تحديد الأهداف التي تدفع الباحث إلى اختيار عينة بدلا من دراسة المجتمع كله من خلال فهم ما يلي:

- عند دراسة مجتمع البحث الأصلي كله يتطلب وقتا طويلا وجهدا شاقا وتكاليف مادية مرتفعة.
- لا حاجة لدراسة المجتمع الأصلي كله، فالعينة التي يختارها تحقق أهداف البحث.

فالعينة إذا تمثل المجتمع الأصلي وتحقق أغراض البحث وتغني الباحث مشقة دراسة المجتمع الأصلي، وهكذا نَعرف أن العينة": هي جزء من مجتمع البحث الأصلي، يختارها الباحث بأساليب مختلفة، وتضم عددا من الأفراد من المجتمع الأصلي". (ذوقان عبيدات، د س، ص106)

و يمكن تعريف العينة **sample** بأنها:" نموذجا، يشمل جانبا أو جزءا من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث، تكون ممثلة له، بحيث تحمل صفاته المشتركة، وهذا النموذج أو الجزء يغني الباحث عن دراسة كل وحدات ومفردات المجتمع الأصلي، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل تلك الوحدات". (عامر قنديلجي، 2009، ص 255)

أما **تعريف المعاينة sampplingً** :" فهي عبارة عن الطريقة أو التقنية أو الأسلوب الذي يتم بموجبه اختيار عينة ملائمة بهدف تحديد خصائص أو مواصفات معينة أو الخروج باستنتاجات عن المجتمعات.. ويتوقع الباحث من العينة أن تعكس خصائص المجتمع الذي أخذت منه. ولكن هل يوجد ضمان بأن هذه العينة غير ممثلة لجميع أفراد مجتمع الدراسة، وبهذا فإن العينة لن تمثل إلا نفسها". (عامر قنديلجي، 2009، ص 256)

وعلى أساس ما تقدم فإن المزايا والمردودات الإيجابية لاستخدام العينات في البحث العلمي يمكن أن نلخصها بالآتي:

1- **أسباب اقتصادية:** التوفير في الجهود المبذولة، وكذلك التكاليف المالية، نظرا لاقتصار البحث فيها على نموذج محدد في المجتمع الأصلي، فالاقتصاد بالجهد المبذول يؤدي إلى تقليص المصروفات التي يحتاجها الباحث إذا ما توجه إلى مجتمع الدراسة.

2- **إمكانية الحصول على معلومات وفيرة:** والتي تكون أكثر بكثير مما يحصل عليه الباحث من المجموع الكلي لأفراد المجتمع.

3- **سهولة الحصول على ردود وافية ومتكاملة ودقيقة**، من خلال متابعة العينة وردودها.

4- **توفير الوقت**: فغالبا ما يكون للباحث وقت محدد لإنجاز بحثه، ومن ثم يوزع هذا الوقت على خطوات البحث المختلفة، فيكون لجمع البيانات من مجتمع الدراسة جزء من ذلك الوقت.

5- **دقة النتائج**: سيطرة الباحث على حجم العينة يؤدي إلى سيطرته على البيانات، وبالتالي الدقة في التعامل مع البيانات وتجميعها وتوزيعها على عينة الدراسة.

كثيرا ما يكون حجم مجتمع الدراسة كبيرا جدا: إلى حد يصعب على الباحث، بل ربما من المستحيل عليه الوصول إلى جميع أفراد المجتمع. (عامر قنديلجي، 2009، ص25)

يكمننا أن نقول أن معظم البحوث تهتم بالمعاينة، ولا بد من اتخاذ قرارات خاصة بالعينة، عند مرحلة اختيار المشكلة واقتراحها، وعند مرحلة التطبيق الفعلي بالنسبة لتجميع البيانات وتحليلها، وإذا كانت العينة ممثلة للمجتمع، فسيؤدي ذلك إلى الحصول على نتائج قريبة من تلك التي سنحصل عليها، لو قمنا بالمسح الشامل للمجتمع.. ولكن مع توفير كثير من الجهد والوقت والمال، ولا بد للقارئ الباحث أن يرجع إلى الكتب المتخصصة في الإحصاء للتعرف على أنواع العينات وحجمها وطريقة اختيارها وحساب الخطأ في العينة ...الخ.

هذا وطبيعة البحث بالعينة، يقتضي من الباحث الاستعانة بالأساليب الإحصائية التي تعينه على تعميم صفات العينة على المجتمع الأصلي واستخلاص النتائج العامة. (أحمد بدر ،1989، ص 262.)

3-إطار العينة: يمثل إطار العينة المصدر الذي يختار منه الباحث مفردات العينة اختيارا محددا، وبذلك يمثل حدود مجتمع البحث من حيث البدايات والنهايات وبعض الخصائص أو السمات: مثل سجلات المواليد أو دفاتر السجل المدني، أو دفتر التراخيص، أو دليل التلفون...إلى آخره. ويشترط أن يتحقق في إطار العينة المواصفات التالية:

الشمول، الكمال، الكفاية. وهذه الشروط يتأكد منها الباحث. لأن غياب أحدها يؤدي إلى ظهور أخطاء تؤثر في اختيار العينة، وصدق تمثيلها بالتالي. (محمد عبد الحميد،2000، ص 132،133)

4-المفردة: هي الوحدة في هذه العينة، والذي قد يكون العدد من الصحيفة، أو اليوم في الإذاعة أو البث، أو الفرد الواحد في إحدى فئات العينة التي تجتمع لها خاصية معينة، فتتفق خاصية المفردة في هذه الحالة مع خاصية الفئة التي تختار منها، مثل العدد الواحد من اسم الصحيفة من صحف المعارضة، أو الطفل من أطفال الطفولة المبكرة، أو الطالب من طلاب الجامعات. ويختار الباحث المفردة من إطار العينة، ويشكل مجموع هذه المفردات حجم العينة، الذي يتم تحديده عادة بنسبة من مجتمع البحث، وكلما زاد عدد مفردات العينة وارتفعت نسبة العدد-حجم العينة- كلما كانت أكثر تمثيلا لمجتمع البحث. (محمد عبد الحميد،2000، ص133،134)

ثانيا: العوامل المؤثرة على تقدير حجم العينة:

يعتبر تقدير حجم العينة المناسب لتحقيق أهداف البحث من المشكلات الأساسية التي تواجه الباحث أثناء تخطيطه لبحثه، ولعله من المناسب أن يتم تقدير حجم العينة منذ البداية، وكلما كانت العينة كبيرة الحجم كان

ذلك أفضل، حيث تصبح اكثر تمثيلا لمجتمع الدراسة، وبالتالي يكون الخطأ العيني أقل... وعند تقرير حجم العينة يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عدد من العوامل، وكقاعدة عامة يجب أن يكون حجم العينة كبيرا تحت الظروف التالية:

1- عندما يكون هناك عدد من المتغيرات غير المضبوطة.

2- عندما يتوقع أن يكون هناك أثر قليل للمعالجة التجريبية.

3- عندما يتطلب تصميم الدراسة تقسيم العينة إلى عينات جزئية صغيرة.

4- عندما يتوقع أن يكون هناك إهدار (فقدان أوخسارة) كبير في عدد المفحوصين.

5- عندما يكون المطلوب فحص الفرضيات على مستوى دلالة إحصائية مرتفع.

عندما يكون مجتمع الدراسة غير متجانس من حيث المتغيرات قيد الدراسة. (محمد وليد البطش،2007، ص112)

ثالثا: حجم العينة:

قبل الشروع في عملية اختيار العينة، يحتاج الباحث إلى تحديد حجم العينة المناسب حتى تزوده بالبيانات والمعلومات التي يعتمد عليها في تعميم النتائج على المجتمع كله، وهناك اتجاهان يمكن السير فيهما لتحديد حجم العينة.

الاتجاه الأول:

يعتمد عند تحديد حجم العينة المطلوب على خبرته السابقة في هذا المجال، أو قد يسترشد الباحث برأي وخبرة الآخرين. وهذا الأسلوب في اختيار العينة يفيد الباحثين الذين لا يميلون إلى استخدام الأسلوب الرياضي في اختيار العينة.

ففي الدراسات المسحية يكون من المناسب اختيار 20 % من أفراد المجتمع الكلي إذا كان عدد أفراد هذا المجتمع معتدلا (500إلى 1000)، وتقل هذه النسبة كلما كبر حجم المجتمع الأصلي لتصل إلى حوالي 5%. وفي الدراسات التجريبية ذات المعالجة الواحدة (متغير مستقل واحد) يكون حجم العينة الواحدة مناسبا إذا زاد عدد أفرادها عن 30 فردا (لكل مستوى من مستويات هذه المعالجة). (محمد وليد البطش،2007، ص 105)

وتشير الدراسات إلى أن حجم العينة الأقل من 30 لا يعكس جيدا خصائص المجتمع المنوي دراسته، ومن هنا فإن الفرق بين المتوسطات يعد ذو دلالة إحصائية إذا تم الحصول عليه من عينة كبيرة الحجم وأن حجم العينة يعتمد على نوع البحث المراد تطبيقه. وهناك قاعدة يتفق عليها الاحصائيون وهي أن العينة يجب أن لا يقل حجمها عن (30) في الأبحاث الارتباطية. أما في الأبحاث التجريبية فليس أقل من (15) لكل مجموعة، وفي الدراسات الوصفية فتصل مابين 10-20% من حجم مجتمع الدراسة. (منذر الضامن،2007، ص 163)

ويرى جي وأريزيان GAY ,AIRAZIAN أن حجم مجتمع الدراسة إطا ما زاد عن (5000) فإن حجم العينة يمكن أن يصل إلى حوالي 40. أما بست وخان BEST ,KAHN فإنهما يريان أن حجم العينة ليس مهما كدقة اختيارالعينة. ويضع كوزبي cozby جدولا يوضح حجم العينة المطلوب على مستوى ثقة confidence

90% (أنظر بالتفصيل: منذر الضامن،2007، ص 164)أما في الدراسات التجريبية ذات المعالجتين أو أكثر، فإن من المستحسن أن لا يقل عدد أفراد الخلية الواحدة في التصميم الإحصائي عن خمسة أفراد. (محمد وليد البطش، 2007، 105)

الاتجاه الثاني:

ويأخذ بعين الاعتبار بعض القواعد الاحتمالية لتحديد حجم العينة... وهناك فكرة خاطئة عند البعض بأنه كلما كبر حجم المجتمع يجب أن يزيد حجم العينة المسحوبة منه، وهذا خطأ شائع لأنه في مجتمع متجانس الصفات والخصائص تكفي عينة صغيرة لدراسته، إن التباين بين أفراد المجتمع، وليس حجم المجتمع، هو العامل الحاسم في تقرير حجم العينة. فكلما كبر التباين بين مفردات المجتمع كلما استوجب ذلك أن يكون حجم العينة كبيرا بغض النظر عن حجم ذلك المجتمع. كلما زاد حجم العينة قل الخطأ المعياري للمعاينة، وكلما نقص حجمها زاد الخطأ المعياري. (محمد وليد البطش، 2007، ص107)

كما يتحدد الحجم المناسب للعينة من خلال العوامل التالية:

- **تجانس أو تباين المجتمع الأصلي**: إن المجتمع الأصلي المتجانس يسهل عملية اختيار العينة، لأن أي عدد من أفراده مهما كان قليلا يمثل المجتمع الأصلي كله، إذ أن نقطة دم واحدة يمكن أن تمثل الدم كله، أما إذا كان المجتمع الأصلي متباينا فإن ذلك يعني صعوبة اختيار العينة الممثلة، كما يعني ذلك زيادة في حجم العينة التي تمثل المجتمع الأصلي المتباين كله.
- **أسلوب البحث المستخدم**: وبالنسبة لأسلوب البحث المستخدم فإذ ذلك يؤثر على اختيار العينة فهل يستخدم الباحث الأسلوب المسحي أم التجريبي؟ وما نوع التصميم التجريبي الذي سيستخدمه؟ إن الدراسات المسحية تتطلب عينة ممثلة وكافية، كما أن بعض التصميمات التجريبية تتطلب وجود مجتمعات تجريبية وضابطة متعددة، وهذا يعني الحاجة إلى اختيار حجم كبير للعينة.

درجة الدقة المطلوبة: إن الباحث الذي يريد الحصول على نتائج دقيقة لا بد وأن يعتمد على عينة كبيرة الحجم تعطيه الثقة لتعميم نتائجه على المجتمع الأصلي الكبير. (ذوقان عبيدات، د س، ص107،108)

رابعا:خطوات اختيار العينة:

يعتبر اختيار الباحث للعينة من الخطوات والمراحل الهامة للبحث، ولا شك أن الباحث يفكر في عينة البحث منذ أن يبدأ في تحديد مشكلة البحث وأهدافه، لأن طبيعة البحث وفروضه وخطته تتحكم في خطوات تنفيذه واختيار أدواته مثل العينة والاستبيانات والاختبارات اللازمة. (ذوقان عبيدات، د س، ص 105)

كما تعتبر عملية اختيار العينة (المعاينة) عملية حاسمة وأساسية في البحث العلمي؛ فهي تحدد وتؤثر على جميع خطوات البحث، فإذا كانت النتائج التي يتم التوصل إليها لا يمكن أن تعمم، ولو بدرجة بسيطة، خارج نطاق العينة المستخدمة في البحث أو الدراسة، فإن هذا البحث لا يضيف إلى المعرفة أي شيء جديد، ولا يسهم في

تقدم الممارسات العملية في مجال التخصص الذي تقع به المشكلة، ويكون الجهد والوقت الذي وضع فيه قد ذهب هباء.

فاختيار العينة يجب أن يتم بناء على إجراء يسمح لنا أن نقدر الدرجة التي يعتبر فيها أفراد العينة ممثلين للمجتمع الذي تم انتقاؤهم منه، فيما يتعلق ببعض المتغيرات ذات الصلة بالبحث أو الدراسة التي نحن بصدد التخطيط للقيام بها. إن ما تعنيه كلمة "ممثلة" قطعا لا يشير إلى أن العينة مطابقة أو مماثلة تماما لمجتمع الدراسة، وإنما تعني اختيار العينة يتم بطريقة تجعلها مشابهة تقريبا لمجتمع الدراسة فيما يتعلق بالمتغيرات قيد الدراسة، ولعل كلمة تقريب تتضمن وجود اختلافات بين مجتمع الدراسة وعينة الدراسة، ولكن من الصعب جدا أن نحدد مقدار ذلك الاختلاف ما لم نعمل على قياس كل أفراد المجتمع من حيث الجوانب موضع الاهتمام ثم العمل على مقارنتها بنفس قياسات هذه الجوانب لدى عينة الدراسة، وهذا الفارق يميل إلى التناقص كلما زاد حجم العينة، الأمر الذي يجب بناءً عليه، أن يحرص الباحث على أن تكون عينة دراسته كبيرة إلى حدما، بحيث يكون لديه الثقة بأن العينة ممثلة لمجتمع الدراسة. (محمد وليد البطش، 2007 ، ص95،96)

ويمكن للباحث أن يسترشد عند اختيار عينة البحث بالخطوات التالية:

1- **تحديد وحدة العينة:** تشتمل عينة البحث على مجموعة من الوحدات، ووحدة العينة تختلف من بحث لآخر، فقد تكون فردا أو أسرة أو مدرسة، أو محصولا زراعيا...

2- **تحديد الإطار الذي تؤخذ منه العينة:** ويقصد بالإطار المجتمع الأصلي أي مجتمع البحث، ويجب على الباحث أن يحدد نوع الإطار الذي يعتمد عليه في اختيار الوحدات.

3- **تحديد حجم العينة:** يراعي في تحديد حجم العينة نوعان من الاعتبارات الأولى اعتبارات فنية والثانية غير فنية. أما من ناحية الاعتبارات الفنية فتتضمن التجانس بين وحدات المجتمع ومدى الثقة التي يود الباحث أن يلتزمها في البحث...،أما بالنسبة للاعتبارات غير الفنية فهي الإمكانيات المادية والوقت المحدد لجمع البيانات، لأن هذه الأمور تؤثر في تحديد حجم العينة، فالباحث المرتبط بوقت محدد وميزانية بحث محددة مضطر إلى أن يتغاضى أحيانا عن نسبة الخطأ المحتمل.

تحديد طريقة اختيار العينة: هناك عدة طرق لاختيار العينة، وتختلف أنواع العينات باختلاف الطرق التي تتبع في اختيارها، وإذا كانت جميعها تهدف إلى تمثيل المجتمع الأصلي تمثيلا صحيحا، بمعنى أن تحتوي العينة المختارة على جميع مميزات وخواص المجتمع الأصلي. وتعدد طرق اختيار العينة يوجب على الباحث المفاضلة بينها حتى يصل إلى أدق النتائج بأقل الجهود والنفقات. ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان الباحث على علم بالطرق المختلفة من حيث صفاتها، ومميزاتها، وعيوبها وحالات استخدامها. (محمد زيان عمر، 1983، ص287،288)

خامسا–خصائص العينة الجيدة:

1- التمثيل represaentation: أي أن تمثل مجتمع الدراسة وأن تكون صادقة valid.

2- الدقة: والمقصود بالدقة أن لا يكون هناك تحيزا، أي خالية من أي تأثير يتسبب في إيجاد فروق بين قيم المجتمع وقيم العينة.

3- الاحكام والضبط precision: وهذه يحكم عليها من خلال الخطأ المعياري والانحراف المعياري. إذ كلما قل الخطأ المعياري تصبح الدقة أفضل.

الحجم size: العينة الجيدة تكون كافية في حجمها. (منذر الضامن، 2007، ص164)

سادسا–مميزات استخدام العينات:

لقد أصبحت العينات أساسا في كثير من الدراسات النظرية والعلمية، ويعتمد عليها الباحثون كثيرا لما لها من مميزات تفضل بها الحصر الشامل، وقد يتبادر إلى الذهن أن عمليات استخدام العينة أقل كفاية ودقة من عمليات الحصر الشامل، وهذا ليس بصحيح فإن العينة تأتي بنتائج قد تفوق تلك التي يصل إليها الحصر الشامل، وفيما يلي بعض مميزات العينة:

1- يوفر استخدام العينة كثيرا من الجهد والوقت والمال، حيث أننا نستخدم جزء من المجتمع لا كله.

2- ليس هناك في الحقيقة ما يسمى حصرا شاملا على وجه الدقة، ففي معظم حالات الحصر الشامل لا يمكن الحصول على بيانات من بعض الأفراد، أو يعطي بعض الأفراد بيانات خاطئة، وهذا يضيع الفائدة المرجوة من الحصر الشامل.

3- هناك بعض الحالات التي يستحيل فيها إجراء حصر شامل.

4- يمكن الحصول على بيانات أكثر اتساعا ودقة عند استخدام العينة عنها عند استخدام الحصر الشامل، فمن الواضح أن الوصول إلى عينة أكثر يسرا وسهولة من الوصول إلى المجتمع كله.

إن تحليل النتائج التي تحصل عليها من حصر شامل يحتاج إلى وقت طويل جدا تضيع الفائدة من البحث أو تقلل الاستفادة منه إذا انتظرنا حتى يتم تحليل نتائجه، ولكن نتائج العينة يمكن الوصول إليها في وقت سريع تمكننا من الاستفادة منها. (محمد زيان عمر، 1983،ص 289،288)

5- يوفر استخدام العينة من عدد العمالة المطلوبة لإنجاز البحث، فالعدد القليل يكفي للعمل الميداني وتحليل البيانات.

6- تكون الدراسة في معظم الحالات أدق باستخدام العينة منها من استخدام المجتمع بأكمله، فالإشراف يكون أفضل وكذلك الإجراءات المتبعة في الحصول على المعلومات؟

7- استخام العينة يزودنا بنتائج أسرع مما لو درسنا المجتمع بأكمله.

أما حدود استخدام العينة فتتمثل في:

1- تحتاج العينة إلى أساليب وإجراءات للتعامل معها، وإلا فإن النتيجة تكون غير دقيقة.

2- نحتاج لعينة كبيرة جدا إذا أردنا أن نقيس خصائص نادرة في المجتمع.

3- إذا كانت خطة العينة معقدة فإننا نحتاج إلى عدد كبير من الأفراد لإنجازها.

من الممكن أن لا يكون تمثيل العينة جيدا وهذا بدوره يؤثر على نتائج الدراسة. (منذر الضامن، 2007، ص162)

سابعا–الأخطاء العامة في اختيار العينة:

1- الميل إلى اختيار العينات التي أفرادها في متناول اليد.

2- اختيار بعض الأفراد او الوحدات التجريبية التي ليست من مجتمع الدراسة

3- اختيار أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة من مجتمعين مختلفين.

الميل إلى التقليل من النفقات. (أنظر بالتفصيل: محمد وليد البطش،2007، 110،114)

ثامنا– أنواع العينات:

يمكن التعرف على أسلوبين لاختيار العينة هما العينة العشوائية أو الاحتمالية، وأسلوب العينة غير العشوائية:

1– أسلوب العينة العشوائية:

أ– العينة العشوائية البسيطة:

يعرف هذا النمط من إجراءات اختيار العينات بأنه ذلك الإجراء الذي يكون فيه لجميع الأفراد في مجتمع الدراسة نفس الاحتمال في أن يتم اختيارهم في عينة الدراسة بشكل مستقل. وما نعنيه بالاستقلالية أن اختيار أحد الأفراد في مجتمع الدراسة ليكون ضمن أفراد عينة الدراسة لا يؤثر على اختيار الأفراد الآخرين بأي شكل من الأشكال. والتعريف الأكثر دقة للعينة العشوائية البسيطة يتمثل في:" العملية التي يكون فيها احتمالية اختيار العينات من حجم معين متساويا". وهذا التعريف من الناحية الإجرائية سليم، وذلك لأن احتمالية اختيار فرد ما من مجتمع الدراسة ستؤثر على احتمالية اختيار الفرد الذي سوف يتم اختياره بعده إلى حد ما، ما لم يتم ارجاع الأفراد بعد عملية اختيارهم.

بمعنى أنه لو كان لدينا 1000 مفحوص في المجتمع الممكن فإن احتمالية اختيار أي فرد سوف تكون 0.001، لكن بعد أن يتم اختيار الفرد الأول تصبح احتمالية اختيار الفرد الثاني 999/1، وبعد اختيار الفرد الثاني ستصبح احتمالية اختيار الفرد الثالث 998/1 وهكذا، بمعنى أنه في كل مرة نختار فردا من المجتمع فإن احتمالية الاختيار تتغير قليلا، وذلك لأنه في كل مرة يقل المجتمع بمقدار حالة واحدة، لكن الاحتمالية لجميع العينات التي هي من حجم معين سوف تكون متساوية. (محمد وليد البطش،2007، ص99)

تختار العينة العشوائية البسيطة في حالة توفر شرطين أساسيين هما:

- الأول أن يكون جميع أفراد المجتمع الأصلي معروفين.

- والثاني أن يكون هناك تجانس بين هؤلاء الأفراد، ففي مثل هذه الحالة يعمد الباحث إلى اختيار عينة عشوائية بسيطة وفق الأساليب التالية:

- **القرعة:** حيث يتم ترقيم أفراد المجتمع الأصلي ووضع الأرقام في صندوق خاص ويتم سحب الأرقام حتى نستكمل العدد المناسب للعينة.

جدول الأرقام العشوائية: وهو عبارة عن جداول يوجد بها أرقام عشوائية كثيرة، ثم يختار من المجتمع الأصلي الأفراد الذين لهم نفس الأرقام التي اخترناها من جدول الأرقام العشوائية، ويكون هؤلاء الأفراد هم العينة المختارة. (ذوقان عبيدات،د س، ص109،110) حيث يتم تحديد الأفراد في مجتمع الدراسة أولا، ثم إعطاء كل فرد من الأفراد رقما، وبعدها يمكن ان نلجأ إلى جداول الأرقام العشوائية. وحتى تستخدم جداول الأرقام العشوائية على الباحث أن يعمل عشوائيا على اختيار أية نقطة بداية في أي عمود أو سطر من أعمدة الجدول أو سطوره، ثم العمل على اختيار جميع الأفراد الذي تظهر أرقامهم أولا، وإذا احتاج إلى سطور أخرى من الجدول فإن بإمكانه أن ينتقل إلى عمود أو سطر آخر حتى ينتهي من اختيار الأفراد. (محمد وليد البطش، 2007، ص100)

ب– العينة الطبقية:

وهي العينة التي تمثل المجتمع بجميع طوائفه وطبقاته، ويتم اختيارها بأن يسحب من كل طبقة عينة عشوائية، يتناسب حجمها مع حجم الطبقة، فتكون العينة الطبقية، هي العينة المكونة من هذه العينات، وعلى ذلك تكون العينة الطبقية هي العينة العشوائية التي تمثل فيها طبقات المجتمع بأعداد تتناسب مع حجمها. وتتطلب هذه الطريقة معرفة مسبقة بالمجتمع وطبقاته وعدد متغيراته، كما تتطلب عملية تصنيف تحتاج إلى بعض الجهد والوقت، ولكنها وسيلة هامة لاختيار عينة عشوائية صغيرة الحجم. (علي عبد المعطي محمد،1988، ص464،465)

فعلى سبيل المثال إذا كان الباحث بصدد دراسة العوامل التي تؤثر على المدة التي يقضيها الطالب في الدراسة في كليات الجامعة الأردنية، وللحصول على عينة تمثل هذا المجتمع من الطلبة تبعا لمتغيرات: الجنس، والكلية، وخلفياتهم الاجتماعية، وطريقة قبولهم، فإن على الباحث أن يعمل على تقسيم الأفراد في مجتمع الدراسة إلى طبقات تبعا لهذه المتغيرات، وبعد ذلك يعمل الباحث على الاختيار العشوائي من بين أفراد كل طبقة نسبة معينة من الطلبة، بحيث تكون نسبة الطلبة في هذه الطبقة في العينة مساوية لنسبة نفس الطبقة في مجتمع طلبة الجامعة الأردنية، فمثلا إذا كانت نسبة الطالبات في كلية الحقوق بالنسبة للطالبات في الجامعة هي 3% ، وكانت عينة الدراسة تتكون من 1000 طالبة، فعلى الباحث أن يختار 0,03×1000=30 طالبة من كلية الحقوق بشكل عشوائي من بين جميع الطالبات المسجلات في تلك الكلية.

ولاختيار عينة عشوائية طبقية تتبع الخطوات التالية:

- تحديد المتغيرات الهامة التي المراد تمثيل أفراد مجتمع الدراسة تبعا لها، والتي تعتبر متغيرات هامة للظاهرة قيد الدراسة، التي هي أيضا موضع اهتمام الباحث.
- تقسيم الأفراد في مجتمع الدراسة إلى طبقات تبعا للمتغيرات التي حددت في الخطوة الأولى.
- تحديد عدد الأفراد في مجتمع الدراسة الذين يقعون في كل طبقة، ونسبتهم في مجتمع الدراسة.
- تحديد حجم العينة اللازم لإجراء الدراسة.

تحديد عدد الأفراد في عينة الدراسة الذي سيمثل كل طبقة من طبقات المجتمع السابق ذكرها. (محمد وليد البطش، 2007، ص 102،103)

ج– العينة المنتظمة:

وهي شكل من أشكال العينة العشوائية يتم اختيارها في حالة تجانس المجتمع الأصلي، فإذا كان المجتمع الأصلي مكونا من 200 طالب ونريد أن نختار عينة عشوائية منتظمة مكونة من عشرين طالبا، فإننا نقسم 20/200=10، فتكون المسافة بين الرقم الذي نختاره والرقم الذي يليه، ثم نختار الرقم الأول عشوائيا وليكن 6، وبذلك تكون العينة مكونة من الطلاب الذين يحملون الأرقام التالية: 6،16،26،36،...

فهذه العينة تسمى منتظمة لأننا اخترنا مسافة ثابتة بين كل رقم والرقم الذي يليه، ولكن تعاب هذه العينة بأن تمثيلها ليس دقيقا خاصة إذا أجريت في مجال البحوث الاجتماعية، فلو افترضنا أننا نجري دراسة على سكان المنازل المكونة من شقق فإن لكل منزل مجموعة من الشقق لها أرقام خاصة، فقد لا تحوي العينة أية أرقام للشقق الأرضية أو الشقق العليا، وهذا ما يبعد هذه العينة عن التمثيل الدقيق. (ذوقان عبيدات،د س، ص111)

د-العينة المساحية:

وهي التي يختار أفرادها عشوائيا، بحيث تمثل فيها المناطق الجغرافية والمدن والأحياء الموجودة في هذه المناطق بأفراد، يتناسب عددهم مع حجم سكان هذه الأقسام، وهي تختار كالعينة الطبقية على مراحل، حتى تكون ممثلة للمجتمع بجميع مناطقه الجغرافية وتقسيماته الإدارية. (علي عبد المعطي، 1983، ص 465)

وهذه الطريقة ذات أهمية كبيرة عند الحصول على عينات تمثل المناطق الجغرافية المختلفة...كما لا يطلب في هذه الحالة إعداد قوائم بجميع الأفراد أو العناصر داخل منطقة جغرافية معينة. هذا وتختار المناطق الجغرافية نفسها بطريقة عشوائية ولكن يجب أن تمثل في كل منطقة إقليمية مختارة كل الفئات الاجتماعية المتمايزة (إذا كان البحث يتطلب ذلك). وعلى كل حال فإن الباحث يبدأ بتقسيم المجتمع إلى وحدات أولية يختار من بينها عينة بطريقة عشوائية أو منتظمة ثم تقسم الوحدات الأولية المختارة إلى وحدات ثانوية نختار من بينها عينة جديدة ثم يتم تقسيم الوحدات الثانوية المختارة إلى وحدات ثالوثية ثم وحدات رباعية إلى أن يقف الباحث عند مرحلة معينة..فقد يختار الباحث مثلا عينة المحافظات التي تدخل في إطار البحث ثم يختار من بين المحافظات المختارة عينة من المدن.، ثم يختار من بينها عينة من الأحياء ثم المساكن..وهكذا، واختيار الأشخاص الذين يمكن أن تتم معهم المقابلة يجب أن يكون بعد ذلك كله بطريقة عشوائية من بين وحدات المعاينة التي تكونت، وبعدها يمكن أن نقول بأن العينة المساحية يمكن اعتبارها أيضا عينة متعددة المراحل. (أحمد بدر،1989، ص 268)

هـ-العينة العنقودية:

هذا النمط من إجراءات اختيار العينات يختلف عن الإجراءات السابقة في أن وحدة الاختيار ليست الفرد بل المجموعة، لذا فإن هذا النمط من العينات يستخدم عادة عندما يكون من المناسب أن نختار مجموعة من الأفراد من المجتمع المستهدف بدلا من اختيار أفراد، حيث يبرز هذا الأمر عندما لا يكون باستطاعة الباحث الحصول على قائمة بأسماء جميع الأفراد من مجتمع الدراسة، أو أن هذا الأمر يعتبر غير علمي، كأن يكون مجتمع الدراسة هو جميع الأفراد الذين لا تزيد أعمارهم عن عشرين سنة في مدينة عمان، في هذه الحالة يتم تقسيم مدينة عمان

إلى 20 منطقة، كل منها تعطى رقما، وتوضع في قائمة، ثم يتم اختيار أفراد من كل منطقة من المناطق التي تم اختيارها بشكل عشوائي، والذين تنطبق عليهم شروط العينة.

ويلاحظ أن وحدة الاختيار هي المنطقة وليس الفرد، وفي بعض الأحيان قد يعمل الباحث، بعد أن يكون قد اختار بشكل عشوائي المناطق التي سوف تشملها دراسته، على اختيار عينة عشوائية من المجموعات blocks من كل منطقة...ولعل الفائدة الأساسية للعينة العنقودية يمكن ملاحظتها في توفيرها الوقت والتكلفة، فبدلا من أن يمضي الباحث وقتا وجهدا في تناول أو اختيار أفراد من 50 صفا دراسيا على سبيل المثال فإنه يأخذ ببساطة 10 صفوف منها فقط، أما بالنسبة لسيئاتها فإنها تتمثل في كونها أقل دقة من إجراءات العينة العشوائية الأخرى، حيث أن هناك مجموعات كثيرة في المجتمع لم يتم تمثيله في العينة. (محمد وليد البطش،2007، 102،103)

2- العينات غير العشوائية:

أ-العينة الحصصية:

تعتبر هذه الطريقة في اختيار العينة ذات أهمية كبيرة في بحوث الرأي العام إذ أنها تتم بسرعة أكبر وبتكاليف أقل سواء في تخطيط العينة أو في استكمال مرحلة المقابلة في البحث.. وتعتمد العينة الحصصية على اختيار أفراد العينة من بين الجماعات أو الفئات ذات الخصائص المعينة. وذلك بنسبة الحجم العددي لهذه الجماعات، ولا بد للقائم بالبحث أن ينفذ تعليمات معطاة له مسبقا-طبقا لدراسة المجتمع المراد بحثه- كعدد الفلاحين أو سكان المدن الذين يجب سؤالهم وعدد المشتركين من الجنسين حسب أعمارهم.. وقد تبدوا العينة المختارة بطريقة الحصة مماثلة للعينة الطبقية التي سبقت الإشارة إليها، ولكن يجب ألا ننسى أن اختيار المفردات في العينة الطبقية لا يترك الشخص الذي يقوم بالمقابلة بل يتم عشوائيا، أما في العينة الحصصية فإن الشخص القائم بتجميع البيانات تترك له حرية اختيار الأشخاص حتى يحصل على الحصة quota المطلوبة من كل طبقة أو فئة..، مما يؤدي إلى بعض التحيز. وبالتالي فإن دقة المعاينة الحصصية لا يمكن حسابها بالمعادلات الرياضية نظرا لعدم القدرة على حساب عامل الاختيار لدى المستبر.. إن معرفة المعالم الإحصائية لمجتمع معين وخصائصه من شأنها أن تغري بعض الباحثين باتباع طريقة العينة العمدية التي تتكون من مفردات معينة تمثل المجتمع الأصلي تمثيلا سليما..فالباحث في هذه الحالة قد يختار مناطق محددة تتميز بخصائص ومزايا إحصائية تمثيلية للمجتمع.. وهذه تعطي نتائج أقرب ما تكون إلى النتائج التي يمكن أن يصل إليها الباحث بمسح المجتمع كله.. (أحمد بدر،1989، ،268،269)

ب-عينة الصدفة:

يختار الباحث عدد من الأفراد الذين يقابلهم بالصدفة، فإدا أراد الباحث أن يدرس موقف الرأي العام من قضية ما فإنه يختار عددا من الناس يقابلهم بالصدفة في خلال ركوبه للسيارة أو وقوفه عند البائع أو في زاوية الطريق، ويؤخذ على هذ العينة أنها لا يمكن أن تمثل المجتمع الأصلي بدقة، ومن هنا يصعب تعميم نتائج البحث الذي يتناولها على المجتمع الأصلي كله. (ذوقان عبيدات،د س، ص 112)

ج-العينة العمدية أو الغرضية أو القصدية:

يقوم الباحث باختيار هذه العينة اختيارا حرا على أساس أنها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها. (ذوقان عبيدات،د س ، ص 112)، وهي عينة تختار من منطقة، يختارها الباحث لكونه يعرف أنها تمثل المجتمع تمثيلا سليما بناء على معلومات إحصائية سابقة، فيختار عينة يتناسب عدد أفرادها مع حجم سكان هذه المنطقة. وينطوي اختيارها على افتراض أن المجتمع لا يتغير، بحيث تظل هذه المعلومات صادقة، وهو افتراض من الصعب قبوله، وإذا كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى نتائج تكاد تكون مساوية للنتائج التي نحصل عليها بمسح المجتمع كله، أو بدراستنا لعينة طبقية، وتشترك العينة الحصصية والعينة العمدية في ان كلا منهما يشابه العينة الطبقية في تمثيل المجتمع، بحسب الحجم؛ وفي أن كلا منهما يختلف عنها بكونه ينطوي على تحيز. (علي عبد المعطي محمد، د س، ص465)

ويكون الاختيار في هذا النوع من العينات على أساس حر، من قبل الباحث وحسب طبيعة بحثه، بحيث يحقق هذا الاختيار هدف أو أهداف الدراسة المطلوبة ومثال ذلك:

- اختيار الطلبة الذين تكون معدلاتهم في الامتحان النهائي جيدا جدا فما فوق فقط، لأن هدف الدراسة هو معرفة العوامل التي تؤدي إلى التفوق عند هذا النوع من الطلبة مثلا.
- اختيار المتقاعدين فقط كشريحة اجتماعية في منطقة ما، دون غيرهم، ومحاولة معرفة اتجاهاتهم القرائية والكتب التي يحتاجونها، لأن طبيعة البحث تتعلق بالمتقاعدين دون غيرهم من شرائح المجتمع الأخرى.

اختيار الذين يقرؤون جريدة ما بشكل يومي منتظم. (عامر قنديلجي، 2009، ص 268)

أنواع العينات المقصودة:

-عينة الفروق القصوى: يتم اختيارها من مجموعة من الأفراد غير المتجانسين في الخصائص. والغرض من هذا النوع من العينات هو تقديم وصف تفصيلي للمعاني وراء هذا الاختلاف. مثال ذلك: دراسة مشاكل المرأة في قطاع من القطاعات، وبتوزيعهن من حيث المرأة ذات المستوى العالي، والمرأة ذات المستوى المتدني في التعليم، أو دراسة كل مجتمع العاملين حسب تحصيلاتهم العلمية، أو حسب سنوات الخدمة، أو حسب الأجور التي يتقاضونها...

وبهذا يستطيع الباحث إعطاء وصف تفصيلي للمعاني المختلفة لتطور المهنة، وطبيعة العمل فيها، من خلال أفراد يختلفون في سنوات الخدمة، أو التحصيل الدراسي، أو مستوى الأجور... الخ

ويسمي البعض هذا النوع من العينات "العينات واسعة التباين" حيث تستخدم عندما يكون هنالك أكبر مدى من التباين بينها، لتمثل كافة الفئات المتباينة الرأي في الموقع أو الحالة المبحوثة. فهي تشتمل على جميع الاتجاهات والتباينات. وإن البحث والاستقصاء من خلال الحالات المؤيدة و المعارضة (أو المتباينة)، تزيد من المصداقية والثقة بالنتائج التي يتم التوصل إليها. (عامر قنديلجي، 2009، ص 271،270)

-العينة الشبكية أو كرة الثلج: حيث يرسم الباحث في هذا النوع من العينات صورة، أو لمحة محددة عن خصائص مطلوبة في أفراج العينة، ثم يطلب من كل مشارك أن يقترح مشارك آخر أو أكثر تنطبق عليهم تلك الخصائص لكي يكونوا ضمن العينة، ومن الممكن استخدام هذه الاستراتيجية في المواقف التي لا يشكل

الأشخاص المقصودين جماعة ذوي حدود وظيفية أو مكانية واحدة، ولكنهم موزعين هنا وهناك، على تجمعات وظيفية أو مكانية مختلفة.حيث يقوم الشخص المشارك بتقديم التوصية للباحث بمقابلة شخص آخر يحدده بالاسم، يمتلك معلومات وافية ومتعمقة. وقد يكون هذا الشخص في موقع وظيفي أو مكاني آخر. ويقوم هذا الشخص الثاني بذات التوصية بالنسبة لشخص ثالث، ثم رابع وخامس، وهكذا تزداد العينة بتوصية كل مشارك بمشارك آخر، ويستمر كذلك حتى يصل إلى مرحلة الإشباع، بحيث أن أفراد العينة التالية ذكرهم أصبحوا لا يضيفون شيئا فيما يقدمونه من معلومات، إلا ما قد تم جمعه. (عامر قنديلجي، 2009، ص 271)

-عينة الحالات الخاصة أو الفريدة: وتشمل على عينات حسب الحالات الخاصة التي تحتلها والتي تتمثل في:

- حالات متطرفة، من خلال التعرف على الحالة النموذجية، مثل النجاحات المتميزة، والضعيفة جدا.
- عينة الحالات الحادة أو الحالات الحرجة: حيث يتم اختيار حالات حادة ولكنها ليست متطرفة، مثال ذلك الموظفون أو الطلبة الذين هم فوق مستوى التحصيل والنجاح، أو أنهم يكونون تحت مستوى الأداء الطبيعي أو التحصيل الدراسي.
- عينة الحالات النموذجية: التعرف على الخصائص النموذجية لشخص أوجماعة ما، أو فئة نموذجية، مثل اختيار مدير نموذجي.
- عينة الحالة الفريدة: حيث يتم اختيار الحالات الغريبة أو النادرة لحدث ما، كطالب يجيد العمليات الحسابية ذهنيا، أو المدير الذي يستطيع تحقيق أكبر قدر من النجاحات.

-عينة الحالات المتطرفة: حيث يتم دراسة مجموعة، أو عينة من ذوي الآراء والأفكار المتطرفة، في موضوع البحث. وهنا ينبغي على الباحث أن يبتعد عن ذوي الآراء المعتدلة،...مثل الأفراد الذين يدخلون السيوف في بطونهم وأجسامهم من ذوي الطرق الصوفية.

-العينات النمودجية: حيث تتم في هذا النوع من العينات دراسة كل مشارك في النشاط أو الظاهرة المعنية بالدراسة، أي كل فرد أو جماعة في موقع ما. مثال ذلك دراسة الموظفين المتميزين في فروع البنك كافة...

-عينة الحالات الاستثنائية أو السلبية: حيث يفتش البحث عن حالات استثنائية عما هو متعارف عليه في قواعد والأعراف السائدة في مجتمع الدراسة. (عامر قنديلجي، 2009، ص 273،272)

كما نجد بحوثا تفرض على الباحث بناء أشكال أخرى لاختيار العينات، تفرضها أهداف البحث وبناء العلاقات الفرضية من جانب، وحرص الباحث على تمثيل العينة لخصائص المجتمع من جانب آخر. ومن هذه الأشكال مايلي:

1- العينة متعددة الأبعاد:

ويتم اختيار هذه العينات من خلال متغيرين أو أكثر ذي علاقة ببعضهما، أو تصنيف الفئات يتم من خلال اشراك أكثر من صفة أو سمة من سمات المجتمع مع بعضها، فإذا كانت أهداف الدراسة تسعى إلى الكشف عن

انتظام المشاهدة التلفزيونية من بين مشاهدي قنوات التلفزيون الرئيسية (الأولى والثانية) من الرجال والنساء، فإن العينة يتم اختيارها بحيث يجتمع لها وصف المشاهدة للقناتين والنوع معا.

ويمكن التمثيل في بناء هذه العينة بالطريقة الطبقية متى توفرت البيانات الخاصة بالتمثيل الطبقي أو بالطريقة الحصصية متى توفرت للباحث ذلك. (محمد عبد الحميد، 2000، ص148)

2-العينة متعددة المراحل:

قدمت طريقة اختيار عينة التجمعات نموذجا لطريقة اختيار العينة على مراحل، حيث يتم في كل مرحلة إجراءات اختيار العينات، فالباحث قد يختار عينة من بين المحافظات التي تمثل مصر، ثم عينة من المراكز التي تنتمي إلى المحافظات المختارة، ثم عينة من القرى التي تنتمي إلى المراكز المختارة، وبعد ذلك قد يتم اختيار المفردات بطريقة طبقية أو حصصية ثم يختار عدد المفردات من بين الفئات بطريقة عشوائية أو منتظمة أو عشوائية منتظمة.

وبذلك يكون قد مرّ بعدة مراحل في اختيار عينة الأسماء التي يقوم بجمع البيانات منها بالأسلوب والأدوات المناسبة. (محمد عبد الحميد، 2000، ص149)

خاتمـة

وفي ختام مناقشتنا لبعض أنواع العينات ينبغي أن نقول بأنه إذا كانت طريقة العينة ضرورة من ضرورات البحث العلمي، فلا بد من اختيار العينة اختيارا ممثلا للمجتمع الأصلي.. وكما أن كثيرا من عمليات المعاينة تلجأ إلى أكثر من طريقة واحدة من هذه العينات..أو إلى حل وسط (بين العينة المساحية والعينة الطبقية مثلا..)

كما يجب على الباحث أن ينتبه إلى مواقع الخطأ في اختيار العينة وأهمها:

- أخطاء التحيز وهي التي تحدث نتيجة الطريقة التي تختار بها العينة من المجتمع الأصلي. . (أحمد بدر، 1989، ص 269)
- أخطار ناتجة عن حجم العينة وتسمى بأخطاء الصدفة.
- الأخطاء الناتجة من ردود فعل الناس نحو أداة أو وسيلة القياس ذاتها وتسمى أخطاء الأداة.

قائمة المراجع:

1- عبد الحميد، محمد، (2000) البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، ط1، القاهرة، عالم الكتب.

2- عبيدات، ذوقان وآخرون،(د س)، ، البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

3- الضامن، منذر،(2007)، أساسيات البحث العلمي ،عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

4- البطش، محمد وليد، أبو زينة، فريد كامل ، (2007)، مناهج البحث العلمي: تصميم البحث والتحليل الاحصائي،جامعة عمان العربية للدراسات العليا، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

5- قنديلجي، عامر، السامرائي،إيمان، (2009): البحث العلمي:الكمي والنوعي، العلمية للنشر والتوزيع، الأردن عمان، دار اليازوري.

6- بدر، أحمد،(1989) أصول البحث العلمي ومناهجه، ط5، مصر، دار المعارف المصرية.

7- عمر، محمد زيان، (1983)، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ط4، جدة، المملكة العربية السعودية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

8- محمد، علي عبد المعطي. السرياقوسي، محمد ،(1988)، أساليب البحث العلمي، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

تاريخ الاستلام: 2016/12/12- تاريخ التحكيم:2017/03/02 -تاريخ النشر2017/06/30

الحملات الإعلامية في مكافحة مظاهر انحراف الشباب: نحو تصميم حملات إعلامية تطبيقية

د.ليلى فقيري

(جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر)

ملخص:

كثيراً ما نتساءل عن انحراف الشباب والأسباب والدوافع التي تجعلهم ينحرفون، سواء تعاطي المخدرات أو ارتكاب سلوكيات خاطئة، مثل المعاكسات أو التقليد الأعمى للغرب والأخذ من سلوكهم الذي لا يتوافق مع ديننا الحنيف ولا عاداتنا ولا قيمنا ولا أخلاقنا الحميدة. ومن هنا نرى الأسباب كثيرة ومتنوعة خصوصا في بداية مرحلة تكوين الشخصية، حيث يكون الشباب على جانب كبير من التطور الجسمي والفكري والعقلي، ولأنها مرحلة انتقالية في النمو، فيحدث فيها تطورات سريعة في التحول والتقلب، لهذا جاء هذا المقال للمحاولة الجدية لإيجاد حملات إعلامية مناسبة و تصميم صحيح ميداني، كما سيكون في المضمون.

Abstract:

Often we wonder about youth delinquency and the reasons and motivations that make them deviate, either taking drugs or committing wrong behaviors, such as hazing or blind imitation of the West in their behavior, which is not compatible with our religion and our traditions and our values and our ethics. we see many and varied reasons, especially in the beginning of the formation of personality stage, where the young people endures great physical, intellectual and mental development, and because it is a transition phase in the growth, which leads to the rapid developments in the transition , so this article try seriously to find a suitable media campaigns designed in the field true, as will be secured.

مقدمة:

إن عدم الحركة تبلد الفكر تكون النفس مهيأة للأفكار الشيطانية كسبب من الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الشباب، وأيضاً الكبار الذين يشاهدون هذا الانحراف من الشباب أو غيرهم ويقفون حيارى عاجزين عن تقويمهم و إصلاحهم وإرشادهم، فينتج عن ذلك عدم المبالاة من الشباب لافتقادهم القدوة وعدم وجود من يرعاهم ومن يحاسبهم ويشعرهم بخطئهم، كما أن للصحبة الأثر الكبير في الانحراف أو الاستقامة و كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم: " **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم ممن يخالل**". وقال صلى الله عليه وسلم: " **مثل الجليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة كريهة** "، كما أن لقراءة الكتب الهدامة من رسائل وصحف ومجلات وقنوات هابطه وغيرها السبب المباشر في الانحراف وتشكيك المرء في دينه وعقيدته مما يجره إلى الهاوية وعدم التمسك بالأخلاق الفاضلة فيقع في الفكر والرذيلة، فإذا لم يكن عند الشباب

منعه قويه من الثقافة الدينية العميقة والفكر الثاقب كي يتمكن بذلك من التفريق بين الحق والباطل وبين النافع و الضار فسيكون صيد سهل لتلك الأفكار الهدامة التي تفسد العقيدة، كما أن بعض الشباب يظن أن الإسلام مقيد للحريات وكابت للطاقات فينفر من الإسلام مما يحول بينهم وبين التقدم والرقي فالإسلام ليس مقيداً للحريات ولكنه منظم لها بالتوجيه السليم حتى لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين فتنتشر الفوضى ويحل الفساد، هذه بعض أسباب الانحراف وان كنت أراها للأسف كثيرة مثل التفكك الأسري ومشكلة الطلاق والثقة الزائدة من أولياء الأمور وغيرها.

إن الحملات الإعلامية تلعب دورًا هاماً في قلب مفاهيم انحراف الشباب و تفسير سلوكياتهم المنحرفة، لذا فهي تعد عنصر الاهتمام في الإشارة إلى قضايا عديدة تخص الشباب و ميولاتهم، فالحملات الإعلامية تحاول القيام بواجبها تجاه دين الأمة وفكر الشباب... ، وسخرت كل أقلامها وأدواتها لفكر تعديل و تهذيب النفس من خلال تصاميمها المختلفة (ملصق إعلامي، حملة إعلامية سمعية، حملة إعلامية سمعية بصرية، نشريات و دوريات ...)، فالحملات تعمل على توعية الشباب من مظاهر الانحراف، و تحثهم على الاندفاع نحو خدمة الأمة، و الابتعاد عن المظاهر السلبية والانغماس في الشهوات والتعلق بالأضواء والقشور، في وقت أصبح الشباب وهو في عمر الورود يتطلع إلى البطولة أو إبراز الذات أو النجاح من خلال مغامرات سخيفة أملاها عليه فيلم سينمائي أو قصة مكتوبة أو برنامج مذاع أو دعايات مكثفة...

من خلال ما سبق نطرح التساؤل التالي: **فيما تتجلى أهمية الحملات الإعلامية في مكافحة انحراف الشباب ؟، و كيف يتم تصميم حملة إعلامية تجسد مكافحة انحراف الشباب؟**

تحاول ورقتنا العلمية الإجابة على التساؤلين من خلال تطرقنا للعناصر الآتية:

1. انحراف الشباب: الماهية و النماذج

1.1. مفهوم الانحراف

الانحراف مجموعة المخالفات ضدّ قوانين المجتمع، أي التّعدّي على قوانين وعادات وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، فالمنحرف هو الذي يرتكب مخالفة يعاقب عليها بعقوبات تأديبية، بمعنى آخر هو الذي يرتكب مخالفة للقانون الجزائي .

الحدث في **الشريعة الإسلامية**: الحدث يطلق على صغير السّن الذي لم يبلغ الحلم، وقد ورد في السنة النبوية بهذا المعنى في أحاديث كثيرة منها:حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ الصّادق يقول:" **هَلَكَت أُمّتي على يد غُلمةٍ فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حيث هلكوا فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم؟ قلنا أنت أعلم**" .

و ورد لفظ الحدث في بعض الأحاديث بمعنى **الصغير المنحرف** كما في حديث عبد الله بن مسعود قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **يخرج في آخر الزّمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرُقون من الإسلام كما يمرق السّهم من الرّميّة.**"

الحدث عند **علماء الاجتماع**: هو الصّغير منذ ولادته حتى يتمَّ نُضجُه الاجتماعي والنفسي وتتكاملَ لديه عناصرُ الرُّشد. وذكَر السّاعاتي: أنّ الحدَثَ مابين 8 سنواتٍ كحد أدنى إلى 18سنةً كحد أقصى. ويختلف تحديد سن الحدث من دولة إلى أخرى،

وفيما يخص سن الحدث في الجزائر فنجد أن قانون العقوبات الجزائري يصرح في فقرته الأولى من المادة 49 بأن سن الحدث يتراوح بين 13و 18 سنة. الحدث عند علماء النفس: هو الذي تسيطر عليه رغبات اللهو على ممنوعات الذات العليا أو بتعبير آخر هو الذي تتغلّب عنده الدّوافع الغريزية، والرّغبات على القيم، والتّقاليد الاجتماعيّة الصّحيحة. (الدوري، ع.1985: 89)

2.1. النظريات المفسرة للانحراف

أولاً. النظرية الوراثية: إنّ الحديث عن الجانب الوراثي لظاهرة الانحراف يجعلنا نشير إلى Lombroso الذي أيّد ودافع عن نظرية "**الوليد المجرم**" أي أنّ الإنسان قد يرث صفةَ الإجرام من أجداده وآبائه. كما أنّ الإصاباتِ ما قبل الولادة أو بعدها تحدث تغييرا في الطفل وبالتالي تكون قادرة على إحداث اضطرابات عاطفيّة سلوكيّة قد تؤدّي بالشّخص فيما بعد إلى القيام بأفعال جانحة. (الخليفة، ع.1413: 112)

ثانياً. النظرية الاجتماعية :هناك العديد من الكتاب وخاصة علماء الاجتماع يعتبرون جنوح الأحداث أنه نتيجة وخلاصة الظروف الاجتماعية القاسية سواء كانت اقتصادية، اجتماعية أو عائلية، فالانحراف يعتبر عرضا لعدم التكيف الاجتماعي.

علماء الاجتماع ينظرون إلى مشكلة انحراف الأحداث على أنها مشكلة اجتماعية في جوهرها وأصولها،ولذا نجد دوركايم يعتبر الانحراف ظاهرة اجتماعية وبالتالي دراستها لابد أن تتم بالطريقة الاجتماعية، ومن هذا نستنتج أن علماء الاجتماع يركزون على الظروف الاجتماعية في دراسة انحراف الأحداث.

ثالثاً. النظرية النفسية: علماء النفس يرون أنّ السلوك المنحرف هو نتيجة لمشكلات نفسية مختلفة تفصح عن نفسها في صورة سلوكيات غير اجتماعية أو سلوكيات مضادة للقانون، ونجد أن التيار النفسي ينطلق من محاولة تحليل السّلوك المنحرف من خلال البعد الذاتي لشخصية المنحرف ولا يعتبره ظاهرة اجتماعية، فالتفسيرات النفسية الأساسية لسلوك الحدث المنحرف والشائعة حاليا تعتمد على منطلقات كان للتحليل النفسي دور في صياغتها : كمشكلة العلاقات مع الوالدين، مشكلة التقمصات الأولية، مسألة الحرمان العاطفي وغيرها...

ففيما يخص التقمُّصات الأوّلية نجد أنّ المنحرف لم يتمكن من إقامة التقمُّصات الأوّلية بالأم والأب والأسرة لأن صور هؤلاء لم تكن حاضرة بشكل كاف أوهي غير ثابتة في حضورها، وفي نوعية هذا الحضور، وكذلك قد تكون هذه الصور الوالدية مفتقدةً للصّفة الإيجابية وللشُّحنة العاطفية الكافية لتكوين نموذج إيجابي من العلاقات

مع الآخرين.يقول"spitz إن الحرمان من العلاقة الأولية بين الطفل والأم في السنة الأولى من الحياة قد تؤدي إلى اضطرابات ومنها الانحراف ."

3.1. مستويات الانحراف و نماذج حية من واقع الشباب المنحرفين

يمكن أن يحدث على مستويات ثلاث:

أولاً: الانحراف الفردي: وهو نتيجة لضغوط نفسية داخلية تؤثر مباشرة على الفرد فتدفعه للانحراف.

ثانياً: الانحراف الاجتماعي: وهو الذي يحدث نتيجة تنظيم اجتماعي مثل عصابة ترى أن الانحراف سلوك سوي أو مجموعة من الشواذ.

ثالثاً: الانحراف الظرفي: ينشأ نتيجة التعرض إلى بعض الضغوط البيئية أو العوامل الظرفية التي لا تترك للفرد فرصة كبيرة للتريث والاختيار بين السلوك السوي والسلوك المنحرف.

والانحراف بأشكاله الثلاثة لا يحدث فجأة ولكنه يحدث بالتدرج بمحاولات أولية، وقد وضع **ليمرت** عدة مراحل لتبلور واكتمال السلوك المنحرف على النحو التالي:

1- يرتكب الفرد سلوكاً منحرفاً كبادرة لاختبار رد فعل المجتمع إزاء هذا السلوك.
2- يرد المجتمع على التصرفات بالمعاقبة.
3- يقوم الفرد بارتكاب انحرافه الثاني ولكن بنسبة أو كمية أكبر من الانحراف الأول.
4- يقوم المجتمع بالرد على الانحراف الثاني بعقوبة أشد ورفض أقوى من الأولى.
5- يزداد الانحراف مصحوباً بشعور الكراهية والعدوان على أولئك الذين يمارسون العقاب.
6- يقوم المجتمع بردوده الفعلية الرسمية التي تضفي على الفاعل المجرم صفة الانحراف.
7- يزداد الانحراف لمجابهة المجتمع الذي أعطاه الوصم بالانحراف.
8- في هذه المرحلة يقبل المنحرف صفة الانحراف مع محاولة التكيف والتوافق مع مركزه الاجتماعي الجديد كفرد منبوذ من المجتمع.

ويشير **ليمرت** إلى أن مضمون هذه الأفعال وردود الفعل التي تبدأ من السلوك الأولي لتنتهي إلى السلوك الجانح الثانوي الكامل تتباين تبايناً كبيراً وفقاً لصفة الانحراف وللفرد المنحرف وللمضمون الاجتماعي الذي يحدث فيه السلوك المنحرف. (الدوري، ع.1991: 79)

من أهم أنواع انحراف الشباب ما يلي: **الانحراف الفكري و الانحراف السلوكي**، لذا سنهتم في هذا العنصر بالنوع الثاني المتمثل في نماذج من الانحرافات السلوكية.

هذا العنصر يدرس الأسباب الكامنة وراء ارتكاب الشباب لبعض المخالفات، التي تضعهم في خانة الخارجين على القانون، والمجتمع، لتلمس مواطن الداء، واقتراح الحلول المناسبة والكفيلة للقضاء على تلك الظاهرة، والعمل على الحد منها. وتتمثل جوهر هذه الورقة العلمية في تحديد بعض المشكلات السلوكية التي تصدر عن الشباب، مثل: العزوف عن الدراسة، والمعاكسات، والمخالفات المرورية، والإدمان، ووصف تلك المشكلات، وتحديد الأسباب المؤدية إليها، وتقترح الورقة الوسائل والطرق العلاجية المناسبة لها، وتتأكد أهمية ورقتنا العلمية في أنه يُعنَى بفئة الشباب، من خلال معالجة بعض مشكلاتهم السلوكية، لوضع الأسس المناسبة للتعامل معهم، والابتعاد بهم عن الانحراف ومسبباته.

– بعض المشكلات السلوكية:

أ– المعاكسات: المراد بها في بحثنا ما يقوم به الشباب من العبث في استخدام الهاتف والاتصال على خطوط الآخرين بهدف الإزعاج أو محادثة السيدات ومغازلتهن وكم من الفتيات قد وقعن في هذا الفخ واستجبن لوعود وإغراءات الشباب على الخط الآخر.

والمعاكسات الهاتفية تصدر من الشباب الذكور والإناث إلا أنها من جانب الذكور أكثر منها من جانب الإناث ولعل أهم الأسباب المؤدية لها:

–. انعدام الرقابة من قبل أولياء الأمور فكثير من الأسر تمنح ابنها الثقة المطلقة في تصرفاته بل قد يكون له خط هاتفي خاص به في حجرته الخاصة.

– وجود المؤثرات الخارجية مثل مشاهدة الأفلام والتأثر بما يشاهدونه من إثارة جنسية.

–. وجود وقت الفراغ وعدم إشغاله بالنافع المفيد.

–. تزيين قرناء السوء لهذا الأمر واعتباره من الأعمال التي يتباهون بها بين أقرانهم.

– حب الشباب للإثارة والمغامرة يدفعهم لولوج هذا الباب على ما فيه من أخطار.

وقد كان لهذا الأمر انعكاساته الضارة على الشباب خصوصًا والمجتمع عمومًا ومن ذلك الظواهر والآثار التالية:

– تقصير الشباب في التحصيل العلمي نتيجة لإضاعة الوقت في العبث بجهاز الهاتف.

– حدوث العديد من الاضطرابات النفسية لدى الشباب المعاكس تفقده هدوءه واتزانه بل قد تدفع به إلى ارتكاب الفاحشة.

ب– المخالفات المرورية

لا تعد المخالفات المرورية من قضايا الجنوح ولكنها مخالفات تستوجب العقوبة بالتوقيف المؤقت أو بالغرامة المالية أو بهما معًا وذلك لما يترتب عليها من تعريض حياة الآخرين للخطر وحفاظًا على سلامة مستخدمي

الطريق، ويعد قطع الإشارات والسرعة الزائدة والركن وسط الطرقات، من المخالفات التي يرتكبها الشباب أكثر من غيرهم. وبنظرة سريعة إلى إحصائية الإدارة العامة للمرور حول أسباب الحوادث في الجزائر و خاصة في السنوات الأخيرة، نجد أن السرعة الزائدة تحتل المركز الأول من بين أسباب الحوادث يليها عدم التقيد بإشارات المرور...

ج- الإدمان وتعاطي المخدرات

"إن مشكلة تعاطي المخدرات مشكلة دولية تحرص الكثير من الدول والهيئات المختلفة على القضاء عليها أو الحد منها حفاظًا على شعوبهم وأوطانهم من هذا الوباء الخطير، والمملكة العربية السعودية جزء لا يتجزأ من هذا العالم تتأثر به وتتفاعل معه، ولهذا لم تسلم من ظاهرة المخدرات، ولو أن حجم الظاهرة قليل مقارنة بغيرها من الدول التي انتشر فيها هذا الوباء"، وحول تعاطي الشباب في الجزائر للمخدرات فقد أظهرت الكثير من الدراسات و كذا إحصاءات الأمن الوطن و مصالح الدرك الوطني عن:

العوامل الشخصية المؤدية إلى تعاطي الشباب للمخدرات والتي من أبرزها:

- إثبات الرجولة - التقليد والمسايرة - إشاعة جو المرح - نسيان المشكلات والهموم.

أما العوامل الاجتماعية المساعدة فكان من أبرزها:

- عدم وجود رقابة من قبل الوالدين - تعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات- القسوة في المعاملة- عدم التزام الوالدين بالواجبات الدينية- انشغال الوالدين في الأعمال الخاصة- التدليل الزائد في المعاملة- وجود خلافات بينهما- انفصال الوالدين بالطلاق- زواج الوالد بأكثر من امرأة- وفاة أحد الوالدين. (الجريسي، خ.2008: 9)

يحسن بنا أن نتعرف على بعض النماذج الحية لواقع الشباب المنحرف في الجزائر وتعبير موجز عن حال الشاب أثناء قيامه بالسلوك الانحرافي والأسباب والدوافع التي حملته على سلوك هذا السبيل من وجهة نظره هو وبتعبيره وبخط بنانه وذلك من واقع صبر آراء على بعض الشباب المنحرفين بإحدى دور الملاحظة الاجتماعية لمعرفة تفصيل الوقائع التي أودت بهم إلى دخول الدار، وكان لنا دور يسير في صياغة تفاصيل القضية حيث كانت الصياغة غير مستقيمة من قبل الكثير منهم لعدم تأهلهم لذلك من الناحية التعليمية، مع حرصنا على الإبقاء على روح النص ومعانيه.

وقد اخترنا نماذج لبعض من أنواع السلوك الانحرافي – طبقاً لتصميم الحملات كما سيأتي- التي تحدثنا عنها وهي بواقع أنموذجين لكلٍ من: المعاكسات، والإدمان على المخدرات، والمخالفات المرورية:

- النموذج الأول: انحراف (معاكسة)

السن: 20 سنة.

المستوى الثقافي: ثالثة ثانوي.

المستوى الاقتصادي: متوسط.

مسببات ارتكاب السلوك الانحرافي: الفراغ، أصدقاء السوء، الهروبية، إثبات الذات و تموقع اجتماعي

– وضع القضية في قالبها التفسيري: (كنت أتجول مع صديق لي بالسيارة قرب ثانوية الحي وحين رأينا تلميذتين تمشيان على الرصيف أوقفنا سيارتنا بالقرب منهما، قاصدين إعطائهما رقمينا الهاتفيين وحاولنا إركابهما عنوةً، ولم يتم لنا ما نريد، وحين كنا نتمشى معهما أوقفتنا سيارة الأمن الوطني فحاولنا الهرب فلم نستطع فتم القبض علينا و التحقيق معنا في القضية).

– النموذج الثاني: انحراف (تعاطي مخدرات)

السن: 22 سنة.

المستوى الثقافي: سنة تاسعة متوسط (سابقاً).

المستوى الاقتصادي: متوسط.

مسببات ارتكاب السلوك الانحرافي: الفراغ، أصدقاء السوء، الهروبية، إثبات الذات و تموقع اجتماعي، توفر المال أحيانا.

– وضع القضية في قالبها التفسيري: (كنت في الحي الشعبي الذي أسكن فيه في حالة غير طبيعية من أثر المخدرات وكنت فاقدًا للوعي تقريبًا فتشاجرت مع جار لي ثم هربت إلى المنزل هائماً على وجهي ويظهر من حركاتي أثر المخدر فتعاركت مع أخي الأكبر، مما سببت بلبلة في الحي، فتم اقتيادي لمركز الشرطة القريب من بيتي و تم إيداعي الحبس المؤقت).

– النموذج الثالث: انحراف (ارتكاب حادث مرور مميت)

السن: 19 سنة.

المستوى الثقافي: أولى جامعي

المستوى الاقتصادي: حسن جدا.

مسببات ارتكاب السلوك الانحرافي: السرعة المفرطة، أصدقاء السوء، إثبات الذات و تموقع اجتماعي،عدم الخبرة في السياقة (رخصة سياقة جديدة).

– وضع القضية في قالبها التفسيري: (سرقت مفاتيح السيارة الخاصة بوالدي من جيب هندامه، أثناء انشغاله بالعمل في ورشة النجارة الخاصة به، وقمت بالتجوال بها بعيدا عن الحي الذي اسكن فيه، وكنت حينها متحصل على رخصة سياقة جديدة و ليست لدي أي خبرة للسياقة، وفجأة أثناء قيادتي للسيارة بسرعة جنونية (تجاوزت 80كم/سا) ظهرت أمامي امرأة تحمل كيس خضر ، فلم استطع التحكم في عجلة القيادة، فارتطمت بها، مسببا لها جروحا بلغية، وحضر رجال الأمن وكان الخطأ مني بنسبة 100% وتم بعد ذلك إيداعي في مركز الشرطة).

– النموذج الرابع: انحراف (تدخين)

السن: 17 سنة.

المستوى الثقافي: ثانية ثانوي

المستوى الاقتصادي: حسن.

مسببات ارتكاب السلوك الانحرافي: رفقاء السوء، إثبات الذات و تموقع اجتماعي، التقليد

– وضع القضية في قالبها التفسيري: (كنت بجانب كشك لبيع التبغ و الكبريت أتعاطي سيجارة تدخين، بعد خروجي من الثانوية في وقت الظهيرة، و لما عدت للمنزل اقتربت من والدي أثناء دردشة أسرية فشّ أبي رائحة التبغ تفوح من فمي و ملابسي، حينها أنبي و أنهال بكلامي قاسي و نابي، كما قام بتفتيش ملابسي و لوازمي المدرسية، كما حقق معي في قضية استهلاكي للتبغ و أسباب ذلك، مما منع إعطائي أية مصاريف مستقبلا، كما توترت علاقتي بوالدي و أفراد أسرتي إلى اليوم).

2. الحملات الإعلامية بين التصميم و إستراتيجية الإقناع:

وسائل الإعلام الجماهيرية (مثل الصحف والراديو والتليفزيون والإنترنت) وسيلة أساسية يمكن إيصال الرسائل عبرها إلى مجموعات كبيرة ومتنوعة من الناس. وتقدم وسائل الإعلام لمنظمات حرية التعبير وسيلة أساسية لنقل المعلومات لجمهور يشمل الجميع ابتداء من العامة إلى صناع القرار في الحكومة. وتحتاج منظمات حرية التعبير أن تكون إستراتيجية لدى محاولتها إسماع صوتها. عادة ما تكون الوسائل الإعلامية شركات كبيرة وبيروقراطية تتوقع أن يتم التواصل معها بطريقة محددة. وكنتيجة لذلك فمن أجل زيادة فرصك في الحصول على تغطية إعلامية، تحتاج إلى تأطير رسالتك بطريقة تتوافق مع الكيفية التي تصوغ بها وسائل الإعلام موضوعاتها. والطريقة الأكثر فعالية للقيام بذلك هي **تطوير إستراتيجية إعلامية خاصة بالحملات الإعلامية.**

1.2.الحملات الإعلامية: مدخل تعريفي

الحملات الإعلامية Advertising campaigns : هي سلسلة من الإعلانات المختلفة أو إعلان واحد في واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام، يجمعها هدف واحد وتستهدف جمهوراً محدداً (الشباب المنحرف مثلاً)وتقوم على امتداد فترة زمنية قد تطول أو تقصر على حسب هدف الشركة من هذه الحملة، وغالباً تستخدم التكرار والخطاب الإعلاني الإعلامي المكثف لتحقيق هدف الشركة من هذه الحملة والذي قد يكون طرح منتج جديد أو تعزيز صورة أو مبيعات منتج قديم أو للعمل على تغيير أو تدعيم صورة الشركة والمنتج أو المؤسسة المعلنة أو الجمعية المعلمة في أذهان الجمهور المستهدف من إعلامها..

ويمكن تعريف الحملة الإعلامية هي مجموعة الجهود الإعلامية المتكاملة الخاصة بسلعة أو خدمة معينة أو فكرة أو سلوك، خلال فترة زمنية معينة ،والتي تحتوي على عدة رسائل إعلامية، ترتبط بموضوع أو فكرة مشتركة، أو تعديل سلوك، أو تغييره توجه عبر وسائل إعلامية متعددة.(أبو قحف، ع.2005: 35)

فمفهوم الحملة الإعلامية يمثل برنامجا إعلامي له أهداف محددة ،خلال فترة زمنية معينة، بمخصصات مالية،والحملة الإعلامية عبارة عن برنامج إعلامي موجه إلى فئات معينة من المتلقين الحاليين والمرتقبين، ويسعى إلى تحقيق أهداف اتصالية معينة من خلال مجموعة من الجهود المخططة والمدروسة، وعادة ما تغطي الحملة الإعلامية فترة زمنية معينة يتم خلالها التركيز على عدد من الرسائل الإعلانية و في بعض الأحيان رسالة إعلانية واحدة. (النجار، ن.1996: 42)

2.2. إستراتيجية الإقناع في الحملات الإعلامية

استمالة الرأي العام نحو فكرة هي هدف كل قائم بعملية الإقناع والتأثير لذلك اتجه اهتمام القائمين بعملية الإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلها كلفة وجهدا للوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام أو بناء اتجاهات جديدة .

كما تراكمت البحوث في هذا الميدان ولم يصبح الإقناع طريقة فنية تمارس وإنما علما يدرس وبدأ يزداد الاهتمام بالإقناع بعد ظاهرة الدعاية النازية والدعاية الشيوعية بعد الحرب العالمية الأولى، أيضا امتدت إلى عدة مجالات منها مجال تسويق البضائع من خلال إعطاءه أهمية كبرى من خلال بث رسائل إعلامية في وسائل الإعلام وغيرها من المجالات.

يرى محمد عبد الرحمان عيسوي أن الإقناع يخضع للقوانين التي تحكم عملية الإدراك و المعرفة و الدافعية فهو يقول في ذلك " أن الفرد يميل إلى الاقتناع بالإيحاءات التي يعتقد أنها تصدر من الأشخاص ذوو المكانة الاجتماعية البراقة" (مصباح، ع.2006: 16)، وتعرفه ليلى داوود بأنه "آلية رئيسية لتكوين الآراء و المواقف"كما يعرفه والاس بأنه "تأثير المصدر في المستقبلين بطريقة مناسبة و مساعدة على تحقيق الأهداف المرغوب فيها عن طريق عملية معينة أين تكون الرسائل محددة لهذا التأثير.

كما نجد ولبشرام و دونالد روبرت يعرفان الإقناع بأنه"عملية اتصال تتضمن بعض المعلومات التي تؤدي بالمستقبل إلى إعادة تقييم إدراكه لمحيطه أو إعادة النظر في حاجاته و طرق التقائها أو علاقاته الاجتماعية أو

معتقداته أو اتجاهاته ومن هنا تعتبر عملية الإقناع بأنها عملية ترمي إلى توضيح و بيان طرق إشباع حاجات الفرد و تحقيق رغباته و لكن في حقيقة الأمر الإقناع أوسع و أدق في نفس الوقت من ذلك فعملية الإقناع هي ظاهرة تؤدى عبر مراحل معينة. (رشتي، ج.2004: 171)

تؤكد بعض النظريات الاتصالية على السلوك العلني الذي يمكن ملاحظته في حين يرى البعض الأخر انه الشيء التابع القابل للتغيير و الصارم بشكل سافر و هناك وسائل أخرى لتعريف الإقناع منها ما يؤكد على التغيرات في الأفكار و الآراء الذاتية للفرد أو مواقفه باعتبارها معيار الدلالة على نجاح الإقناع وتفترض مثل هذه التعريفات انه إذا كانت التغيرات و العوامل الذاتية التي من هذا القبيل فان تعديلات في السلوك سوف تتبع ذلك للتأكيد و من اجل بعض الأغراض فان الإقناع القائم على مفاهيم أو أفكار بهذه الطريقة قد يكون على درجة كبيرة من الأهمية .

يؤكد بعض الباحثين على إن السلوك العلني باعتباره المعيار الناجح للإقناع تأسيسا على إن السلوك هو العامل المهم في الحملات و قد يكون تغيير أفكار الناس و مشاعرهم شيئا مستحبا و لكن مثل هذه النتائج أهميتها ثقيلة إذا قورنت بالسلوك العلني في محاولة التنشيط و التبرع وما إلى ذلك.

و تأسيسا على هذا الفهم فان العملية الاقناعية تقوم على استراتيجيات أساسية في تخطيط الحملات الاقناعية الناجحة بهدف تشجيع نوع معين من السلوك خاصة و أن الإقناع حسب **كارليز ويلسون** كان كمن يمارس منذ قرون أما علم الإقناع الذي انشق فهو نتاج القرن العشرين.

و عليه فان ميلفين لورانس ديلفور يعرف إستراتيجية الإقناع بأنها "خطوط توجيهية تشير إلى أنواع العوامل و المتغيرات التي ينبغي أن توضع في تفسيرات أكثر تفصيلا للإقناع و هي استخدام وسائل الإعلام لتقديم رسائل مخططة عمدا لاستنباط أشكال معينة من العمل من جانب جماهير القراء و المستمعين أو المشاهير.

3.2. العوامل المؤثرة في تصميم الحملات الإعلامية

أولا. التصميم:

هو عملية التكوين والابتكار أي جمع عناصر من البيئة ووضعها في تكوين معين، و تعني أيضا ترتيب الأجزاء والمكونات والنظم الفرعية في هيكل متكامل وبطريقة تساهم في تحقيق الأهداف المشتركة للنظام كما يعرف التصميم بأنه كل الإجراءات العملية الملموسة لتركيب وبناء منظومات بمواصفات ووظائف محددة.(بختيل، ع، 2009: 45)

و للتصميم عناصر معروفة نوردها فيما يلي(برغوث، ع.2008: 25) العناوين، المتن، الصورة، المساحة، الخلفيات، الخطوط والأشكال، الرموز، الألوان، اسم المعلن، العلامة التجارية، عنوان المعلن، التوقيع.

ثانياً. مقاييس نجاح تصميم الإعلان و الأساليب الاقناعية المستخدمة

من مقاييس نجاح الحملات الإعلامية نورد الآتي: جذب الانتباه، إثارة الاهتمام، إثارة وخلق الرغبة، الإقناع، الحث على الاستجابة، التثبيت بالذاكرة.

أما عن الأساليب الاقناعية المستخدمة في الحملة:

- أسلوب الدراما
- أسلوب الإقناع
- أسلوب الدراما وهو الذي يقدم الرسالة على شكل مسرحية
- أسلوب المكافئة يعتمد على الخطاب الإيحائي
- أسلوب الإقناع يعتمد على خطاب واضح ذو طابع تربوي ومنطقي

3. تصميم حملات إعلامية لمكافحة انحراف الشباب من خلال ثلاث نماذج ناجحة

1.3. حملات إعلامية لمكافحة انحراف الشباب لظاهرة تعاطي المخدرات

قراءة سيميولجية على الملصق الإعلامي حول ظاهرة تعاطي المخدرات

تعتمد الحملة التي بين أيدينا على الوسيلة المتمثلة في الملصقة و نجد أن فيها دعوى لمكافحة آفة المخدرات، وقد جاء تصميم هذه الملصقة بخلفية خضراء وهي لنبتة الأفيون التي تستخلص منها المخدرات وهي في شكل حقل تحيط به أسوار في صورة متاهة ,ويتوسط هذا الحقل شاب يرتدي اللون الأسود و يضع يديه على رأسه

لشدة الحالة التي يعيشها بعدما أدمن على هذه الحشيش، وهو في حلقة حمراء توحي بالخطر مكتوب عليها بحبوب المخدراتstop، منتصف الملصقة نجد شعار الحملة مكتوب بالأصفر للفت الانتباه "**لا تترك المخدرات تسيطر على حياتك**"، وفي آخر هذه الملصقة نجد من الجهة اليمنى رمز راعي هذه الحملة I.N.S.P أما الجهة اليسرى فنجد رمز الحملة وهو مثلث أصفر يحمل صورة شاب جالس لون الرسم اسود، وبين هذين الرمزين نجد راعي هذه الحملة"وزارة الصحة و السكان وإصلاح المستشفيات"

2.3. حملات إعلامية لمكافحة انحراف الشباب لظاهرة ارتكاب حوادث المرور

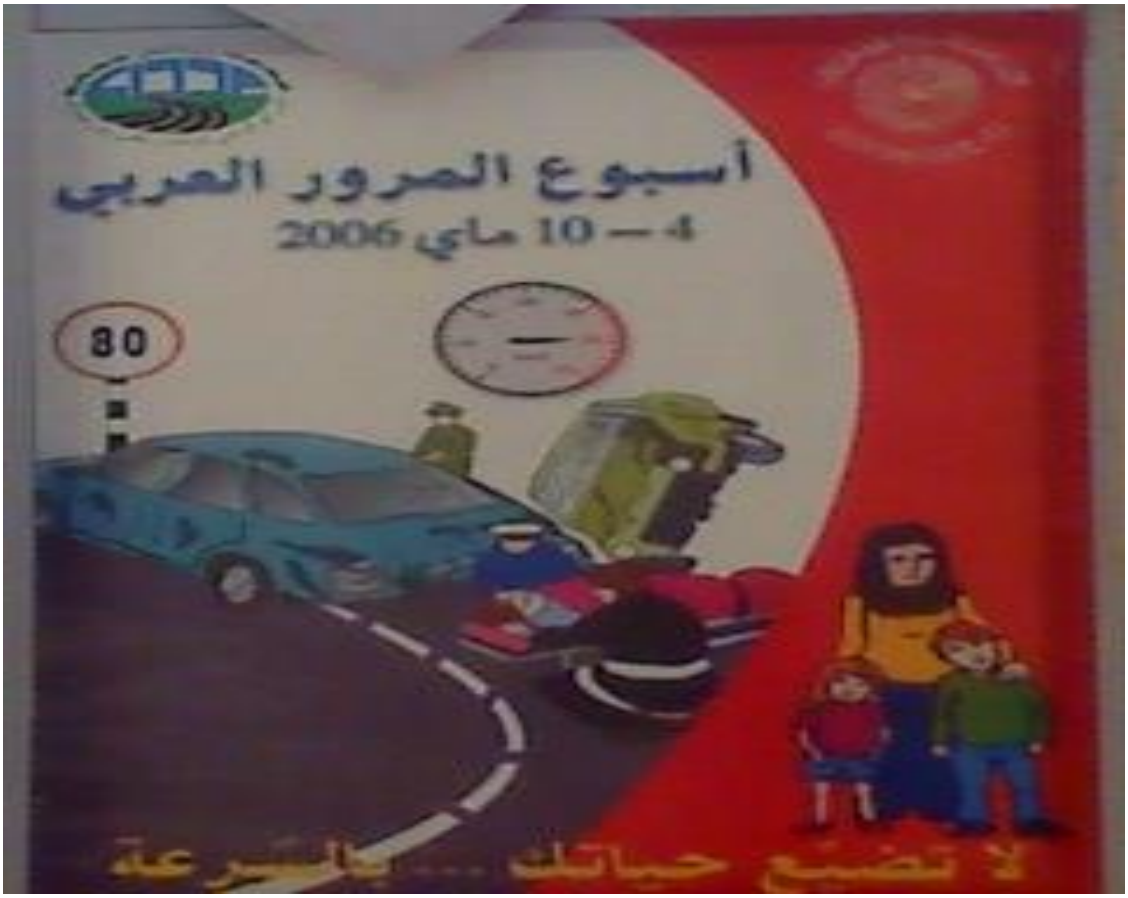

قراءة سيميولجية على الملصق الإعلامي حول ظاهرة ارتكاب حوادث المرور

تهدف الحملة في هذه الملصقة إلى توعية وتحذير سائقي المركبات من المخاطر والآثار المترتبة عن حوادث المرور، وقد جاءت الملصقة برعاية مديرية النقل والوقاية عبر الطرقات حيث نجد هذه الجهة المعنية بالحملة في أعلى الملصقة، بخصوص الشعار: "**لا تضيع حياتك ....بالسرعة**"، هذا الأخير جاء باللون الأصفر كون هذا الأخير له دلالة على جذب الانتباه وما يلاحظ على الشعار تصميمه في أسفل الملصقة، كما تم إدراجه في جزأين تفصل بينهما نقاط بمعنى انه بعد السرعة والتي هي السبب الرئيسي لحوادث المرور تضيع حياة الأفراد، بالنسبة للتعليق عن الملصقة: نلاحظ من خلال الصور الموجودة في الملصقة وجود مركبتين في حالة اصطدام وكذلك وجود أعوان الأمن

والحماية المدنية، والاهم وجود ضحية إمامهم ونلاحظ كذلك من خلال الملصقة الطريق الذي يسمح بالتجاوز رغم انه في مكان يمنع فيه مس خط التجاوز بالإضافة إلى السرعة المحددة ب80 كلم في الساعة، والمشهد البارز في الملصقة تلك العائلة بجوار الحادث وهي في وضعية حزن لفقدانها عزيز عليها، أما خلفية الملصقة فقد جاءت باللون الأبيض و الأحمر لدلالة الأول للهدوء والسير الحسن للحياة أما اللون الثاني فهو يرمز للخطر، حيث عمدنا إلى إقحام صورة الأسرة الحزينة وسط الملصقة، واهم ما يلاحظ عن الملصقة أنها معبرة إلا أنها كانت ممثلة في رسوم كرتونية.

3.3. حملات إعلامية لمكافحة انحراف الشباب لظاهرة التدخين

قراءة سيميولجية على الملصق الإعلامي حول ظاهرة التدخين

تهدف الحملة في هذه الملصقة إلى توعية متعاطي التدخين من أخطاره، وتحذير الشباب من الآثار المترتبة عن استهلاكه، وقد جاءت الملصقة برعاية وزارة الصحة و السكان و إصلاح المستشفيات، حيث نجد هذه الجهة المعنية بالحملة في أعلى الملصقة، بخصوص الشعار: "**التدخين مضر بالصحة**"، هذا الأخير جاء باللون الأحمر للدلالة السيميولوجية الدالة بالخطر، أما النصيحة المقدمة فجاءت كالتالي:"" **الحياة أجمل بلا تدخين**" هذه

الأخيرة جاءت باللون الأخضر له دلالة على جذب الانتباه كما له دلالة على الأمل، وما يلاحظ على الشعار تصميمه في أعلى الملصقة، لجلب انتباه الملتقي، كما تم إدراجه في جزأين (شعار و نصيحة) تفصل بينهما صورة لمتعاطي تدخين، بالنسبة للتعليق عن الملصقة: نلاحظ من خلال الصور الموجودة في الملصقة وجود صور و كلمات و رموز، والاهم وجود نص قرآني ديني له خلفية أو تفسير تحريمي لهذه الظاهرة، أما خلفية الملصقة فقد جاءت زاخمة بالصور و الدلالات و كذا الكلمات، واهم ما يلاحظ عن الملصقة أنها معبرة جدا.

خاتمة:

يتضح من خلال الورقة العلمية المقدمة أهمية الشباب الذين هم عماد الأمة ورجال المستقبل وبالتالي أهمية الحملات الإعلامية التي توجه سلوكهم وتحدد ملامح شخصيتهم ومن ذلك الملصقات الإعلامية، الحملات السمعية، و السمعية بصرية داخل البيئة التي يعيشون فيها، و من خلال مؤسسات المجتمع المدني التي يتربون يتفاعلون من خلالها كالبيت، المدرسة و المجتمع وغير ذلك من العوامل المؤثرة في بناء شخصية الفرد.

و هنا في هذا العنصر نوصي بضرورة تفعيل الحملات الإعلامية بشتى أنواعها الكفيلة ببناء شخصية سوية للفرد سواء داخل الأسرة أو خارجها ومن ذلك تطوير تصاميم هذه الحملات و إخراجها في صورتها النهائية لتتوافق وتطلعات الشباب حتى يقبلوا عليها و يقتنعوا بفحواها و مضمونها. كذلك إعداد المصممين و العاملين على الحملات الإعلامية إعدادًا فنياً إبداعياً لتكون القدرة الكاملة و الكافية لإقناع الشباب في تغيير أو تعديل أو إضافة سلوكيات حسنة على نمط حياتهم، إذ أن الصورة و الصوت و الكلمة هي التي تربي الفرد و توجهه منذ نعومة أظفارهم و هي التي تصوغ التوجهات لديهم منذ طفولتهم الأولى فبصلاحها يصلح من يتربى تحت ضلالها والعكس صحيح.

بالإضافة إلى ضرورة بث الروح الإيمانية بين الشباب من خلال وكالات الاتصال و الإشهار المتخصصة في تصميم الحملات الّإعلامية و الخاصة التي ينبغي العناية بها وملئها بالبرامج الفنية التي تجذب الشباب من خلال إبداعها و حسن تصميمها .

قائمة المراجع

- الخليفة، عبد الله (1413هـ): **المحددات الاجتماعية لتوزيع الجريمة على أحياء مدينة الرياض**، الرياض، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية.
- الدوري، عدنان(1985): **جناح الأحداث المشكلة والسبب**، الكويت، ذات السلاسل.
- الدوري عدنان: **الانحراف الاجتماعي: دراسة في النظريات والمشكلات**، ذات السلاسل، الكويت، 1991.
- رشتي، جيهان احمد(2006): **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، القاهرة، دار الفجر.
- الجريسي، خالد (2008): **انحراف الشباب**، الرياض، مكتبة مشكاة الإسلامية.

- مصباح، عامر(2006): **الإقناع الاجتماعي**، بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية,الساحة المركزية.
- أبو قحف، عبد السلام (2005): **هندسة الإعلان**، القاهرة، دار الجامعية.
- بختيل، عبد الرحمان (2009): **المشكلات الاجتماعية و الإعلام**، الجزائر العاصمة، دار طاكسيج كوم.
- برغوت، علي (2008): **دليل التصميم و الإنتاج الفني**،فلسطين، جامعة نابلس.
- النجار، نبيل الحسيني(1996): **الإعلان والمهارات البيعية**، مصر، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

تاريخ الاستلام: 2016/11/03- تاريخ التحكيم:2017/03/11 -تاريخ النشر2017/06/30

رمزية المنظور القيمي الثقافي في الإشهار الإلكتروني الجزائري – مقاربة سيميائية–

أ. اسماعيل زياد

(جامعة العربي بن مهيدي ـ أم البواقي – الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

يتناول هذا المقال إشكالية الرموز القيمية الثقافية المجسدة في الإشهار الإلكتروني الجزائري ومدى مطابقتها للواقع السوسيوثقافي للمجتمع الجزائري و التي تتجلى من خلال مكوناته اللسانية وغير اللسانية معتمدين في ذلك على المقاربة السيميائية وعلى الأفكار التالية:

- الرمز كعلامة سميائية ثقافية.
- لعبة المنظور والرمز والإنترنت بالواقع القيمي الثقافي.
- الإشهار الإلكتروني من الهوية الرمزية الاقتصادية المرجعية إلى الهوية الرمزية الثقافية الجمالية.
- طبيعة الرموز القيمية الثقافية في الإشهار الإلكتروني الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الرمزية، المنظور، القيم الثقافية، الإشهار

Abstract:

This article deals with the problem of values embodied in the cultural symbols of the Algerian- E advertising and their conformity to reality socio - cultural of Algerian society, which is reflected through the components of linguistic and non-linguistic relying on semiotics approach and on the following ideas:

- The symbol as a sign of cultural semiology.
- Game perspective and the symbol and reality of Internet cultural value system.
- Electronic advertising from economic identity symbol reference to the cultural identity of symbol aesthetic.
- The nature of the ad valorem cultural symbols in Algerian electronic advertising.

Keywords: symbolism, perspective, cultural values, electronic advertising.

مقدمة:

يعتبر الإشهار الإلكتروني من الناحية التواصلية والأنثروبولوجية سمة العصر الحديث بوصفه نشاطا مرافقا للأشكال الاتصالية الحديثة، فقد تزامن ظهوره التجاري سنة 1994م ضمن حركية تكنولوجية (الثورة المعلوماتية / الميلتيميديا) واقتصادية (احتكار / منافسة) وسوسيوثقافية (عولمة ثقافية) عالمية جديدة، مكنته بأن يكون خطابا رمزيا مزدوجا بامتياز، فرمزيته الأولى اقتصادية متمظهرة في قيمة الاستهلاك كهدف أولي من خلال الترويج للسلع والخدمات وزيادة إقبال الجمهور عليها وتغيير سلوكياتهم الاستهلاكية، أما رمزيته الثانية فتكتسي طابعا اجتماعيا ثقافيا من خلال مكوناته اللسانية والسيميولوجية التي تعمل على نقل معاني ودلالات تشمل غالبا قيم وثقافة منتج السلعة أو الخدمة، وبهذا فالإشهار الإلكتروني تجاوز صنع الاهتمام بالسلعة إلى ترسيخ قيم ومعايير وأفكار

وثقافة في ذهن المستهلك، من خلال تمثيل وصنع واقع افتراضي مواز للواقع الحقيقي الذي يحمل دلالات ومعاني عن الحياة التي يريدها منتج أو مسوق السلعة، الذي يعمل باستمرار على جذب المستهلك لشراء السلعة كمرحلة أولية ثم تأطيره من الناحية القيمية الثقافية كمرحلة ثانية.

بهـــذا المنـــظور يصبح الخطاب الإشهاري الإلكتروني **"كسكة قيمية إعلامية** (عزي ع الرحمان،2013، ص27) على حد تعبير عزي عبد الرحمان تتداخل فيها الممارسة الاقتصادية التجارية بالممارسة الاجتماعية الثقافية منتجة بدورها لعدة سكك قيمية ثقافية متباينة في تمثيل أسلوب ونمط الحياة التي يريدها منتج أو مسوق السلعة ورؤيته للعالم الخارجي، وعلى هذا النحو فقد تمتاز السكك القيمية الثقافية للإشهار الإلكتروني بالخصوصية التي تكون مطابقة للثقافة المحلية أو الوطنية وقد تمتاز بالعالمية التي تدعو للتنوع الثقافي وقد تمتاز بالعولمة التي تدعو للأحادية الثقافية المسيطرة.

أمام هذه الثلاثية السياقية الرمزية القيمية الثقافية المتباينة يقف الخطاب الإشهاري الإلكتروني الجزائري متبنيا لإحداها ممارسا بذلك عنفا رمزيا على مستخدميه من المتلقين الجزائريين خصوصا أن دخوله كان مع دخول تقنية الانترنيت في مطلع التسعينيات المتزامن مع الانفتاح على اقتصاد السوق، الأمر الذي فرض على المؤسسات الاقتصادية استخدام هذا الشكل في الترويج لمنتجاتها وخدماتها والذي يلمس من خلال تنوع أشكاله الالكترونية، وطغيانه على الأشكال التقليدية، إضافة إلى اقبال الجمهور عليه والذي يمثل بالنسبة لهم كعلامات رمزية تحمل تصورات وتمثلات ثقافية للحياة قد تكون مطابقة أو معاكسة لتصوراتهم وتمثلاتهم لها.

1. **الرمز كعلامة سيميولوجية ثقافية:** السيميولوجيا مقاربة معرفية منهجية هدفها الأساسي هو تكوين أو بناء المعنى الصحيح بين المرسل والمستقبل أثناء عملية التواصل على حد تعبير إمبرتو إيكو، ومن أجل هذا الهدف اهتمت السيميولوجيا بكل أنساق العلامات داخل الحياة الاجتماعية مهما كان جوهرها ضمن حركية علاماتية لسانية انطلقت من سيميولوجيا التواصل لـ: فرديناند دي سوسير التي أكدت أن: "اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن أفكار ومن ثم فهي مماثلة للكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية والأشكال الاحترام وصيغة الإشارات العسكرية ...إلخ"(F. De Saussure, 1971 , p33) ، مما يؤكد شمولية السيميولوجيا التي تهتم بالعلامة – اللسانية وغير اللسانية – على اللسانيات التي تكتفي بدراسة القواعد اللسانية – لتصل هذه الحركية في مرحلة ثانية إلى حركية علاماتية سيميائية انطلقت من سيميولوجيا الدلالة لرولان بارث الذي يؤكد أن "العالم أخرس ولا يتكلم إلا عبر اللغة" (عبيدة صبطي، 2009، ص 152)، فالسيميولوجيا لديه ما هي فرع من اللسانيات "فمن المؤكد وجود أنسقة علامات في حياتنا الاجتماعية الراهنة تضاهي اللغة شمولا" (عبيدة صبطي،2009، ص 192)وما يجمع كل من سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة أنهما اهتما بدراسة الشروط الداخلية للعلامة اللسانية وغير اللسانية وأنهما تقومان على ثلاثية الدال والمدلول والقصد، لكنهما أهملا الجوانب الخارجية للعلامة المتمثلة في البعد النفسي والاجتماعي والثقافي والتي اهتمت بها السيميولوجيا الثقافية التي تعالج العلامة أو الرمز من زاوية ثقافية أنثروبولوجية، بحكم أن لكل منهما دلالات ثقافية معينة، فالثقافة حسب

كيلفورد جيرتز: "شبكة رمزية كنسيج العنكبوت يصنعها الانسان ويعلق بها"، كما طابق كلود ليفي ستروس بين "الثقافي والرمزي" (محسن بوعزيزي، 2010، ص 75)، كون أن مختلف سلوكات الانسان أصبحت رمزية إلى درجة أن أرنست كاسيرر قال فيها: "فلنحد الإنسان بأنه حيوان رامز، ذو رمزية لا أن نحده بالعقل والمنطق فإن فعلنا ذلك ميزنا اختلافه الخاص عن ما سواه"(أرنست كاسيرر، 1961،ص 69) والرمزية ليست ميزة لغوية فحسب بل تشمل ثقافة الإنسان كلها، فالمواقع والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والملابس هي أشكال رمزية أودعها الإنسان تجربة لتصبح قابلة للإبلاغ، أنه كذلك لأن علاقة بالعالم الخارجي ليست علاقة مباشرة فالإنسان لا يأتي إلى الكون "مغمض العينين" و "خالي الذهن" أنه يحاك بالطبيعة مسلحا بالمفاهيم ومن خلالها فقط يستطيع الامساك بالكائنات والأشياء والحالات ليقوم بتصنيفها والحكم عليها والمفهومية أول وأرقى أشكال الترميز أو هي حالة رمزية تستعيض بها عن الوجه المادي للوقائع ولهذا السبب فإن الثقافة ارتبطت حسب إيكو بالفعل الإنساني الهادف إلى اشتقاق ما يؤثر في الطبيعة من خلال الطبيعة ذاتها، اكتشاف الأداة والأداة انفصال الإنسان عن الموضوع، كما أن الرمز هو انفصال عن العالم وتمثل له خارج الإكراهات اللحظية كما يقول جان مولينوه (أمبرتو إيكو، 2010، ص ص 10/09).

ويقدم لنا بيرس (peirce) معلومات ثمينة توضح مصطلحات الإشارة والأيقون والرمز وهي مصطلحات تساعد على فهم وتبيان علاقة العلامة بموضوعها بحكم أنه يقرب لنا مفهوم الرمز وعليه يميز بيرس بين:

أ. **الأيقون** (**icon**): وهو علامة تحيل على موضوعها بفضل اشتراكهما في بعض الخصائص والملامح، وسواء كان الشيء نوعية أم كائنا أم عرفا، فإنه يكون أيقونا لشبيهه عندما يستخدم علامة ما، والواقع أن فكرة الشبيه هذه قد أثارت كثيرا الجدل لاسيما أن التشبه درجات، تمتد من الصورة الفوتوغرافية الأمنية إلى الرسوم التخطيطية والبيانية.

ب. **المؤشر** (**indice**): ويرتبط بموضوعه ارتباطا سببيا وكثيرا ما يكون هذا الارتباط فيزيقيا من خلال المجاورة، يحسر بيرس في هذا النوع أعراض الأمراض وأسماء الإشارة والضمائر وغيرها.

ج- **الرمز** (**symbole**): وتكون فيه العلاقة بين العلامة والموضوع علاقة اتفاقية يعرفه بيرس بقول علامة تشير إلى الموضوعية (الموضوع) التي تعبر عنها عبر العرف غالبا ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى الرمز بموضوعيته.

إن الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة من العلامات ليس فرقا في الموقع داخل تراتبية نسبية فليس حضور الشبه أو الشبه أو العلية أو غيابهما ولا التقابل بين الاعتباط والتعليل هي التي تقيم هذه الثلاثية بل ما يقيمها هي الهيمنة، أي هيمنة جانب على الجوانب الأخرى، وبهذا يمكن الحديث عن الحدود بوصفها وظائف الوظيفة الأيقونية، الوظيفة التأشيرية والوظيفة الرمزية(محمد التهامي العماري، 2007،ص ص 10/09).

وإذا أخذنا في مسارنا التحليلي، حيث تظهر بالخصوص أنها إجرائية في فهم بعض الصور واختلاف أنواعها بل فهم توظيفها بطبيعة الحال تستدعي هذه العلامات (الرمز) تأويلا"(عبد المجيد العابد، 2013، ص 92)،

فالرمز عند بيرس يتسم بالدينامية وإمكانية التفسير والتأويل، أما الرمز عند دي سوسير يتسم بالصورية والتعسف وهو دال signifier وهو نوع من الإشارة sing(السيد حافظ الأسود، 2001، ص ص 46/45).

فالرموز تأخذ أشكال في وسط النظم والأعراف والطقوس والشعائر والتقاليد واللغـة، أشكالا مجسدة متفقا عليها متصلدة ثابتة، ومرة أخرى أن الرمز يقود الإنسان من داخله بحسب قناعات – إيمانية أو تخيلية – تجعلنا نقبل برضى حتى مالا نحبه أو ما قد يبدو منافيا للمصلحة الفردية ومناقضا أو بلا جدوى فحياة الإنسان وشروطه محكومة بالرمزي ومفعمة بالتخيلي بذلك يتشارك الأفراد وينتظمون فيما بينهم داخل كل متحد مشترك(علي زيعور، 2002، ص 46/45).

II– **لعبة المنظور والرمز والانترنت بالواقع القيمي الثقافي:** إن كلمة "منظور" ترجمة للكلمة اللاتينية perspective التي تعني الرؤية(شاكر عبد الحميد، 2007، ص 377)، أي رؤية الموضوع من زاوية معينة(روجي البعلبكي، 2008، ص 49)، وارتبطت فكرة المنظور لدى رسامي عصر النهضة بمدى قدرة الرسم على تمثيل الأشياء كما ندركها ونراها حقيقية أي ارتبطت بالنزعة الواقعية في الرسم، وكيف يتم تمثيل الأشياء ذات البعد الثلاثي في مساحة ذات بعدين اثنين فقط ينبؤ بالعمق fond حيث يبدو في الخطاب البصري أن هناك صورة تنفصل عن عمق وهذا الشكل يبدو بارزا ومجسما بعض الشيء بالقياس إلى العمق الذي في الصورة، حيث تبدو الأشياء الأقرب أكبر حجما من الأشياء البعيدة(عبد الحميد العابد، 2013، ص 71).

العمل الفني في اتجاه مشاهد مقصور مدرك، إن المتلقي هو الذي يحدد مركز الصورة، وبينما كانت أعراف التصوير في القرون الوسطى تفترض وجود نقاط (زوايا متعددة) من خلالها يمكن وصف المشهد أو رسمه، فإن المنظور يفترض وجود واحدة فريدة ينتفي وضعها في الاعتبار(شاكر عبد الحميد، 2007،ص 335)، والملاحظ حاليا حسب الباحث الفرنسي غي غوتيي(Guy Gauthier) أن الإنسان قد كف "عن الرؤية" ليصبح "ناظرا" الرائي خلاف الناظر، إن الرؤية تشد إلى الشيء بحكم وجوده الموضعي لا غير أما النظرة فتخلق الأشياء خلقا، إن الرائي يعاين ما يمثل أمام العين، أما الناظر فيلتفت إلى الحجم الإنساني فيه(غي غوتيي، 2012،ص 15)، فلا شيء يوجد خارج النظرة ولا شيء يدل خارج ميكانيزمات التفاعل بينهما ما هو موضوع للنظر، لذا فإن التفاعل بين "النظرة" ومعطيات التجربة الواقعية هو وحده الكفيل بتحويل الإدراك البصري إلى نموذج خالق لماهيات يتحدد وجودها ومصيرها داخل أسس متنوعة منها الديني والأسطوري ومنها الثقافي والسياسي والاجتماعي إلخ وهذا ما يعطي للنظرة أهمية قصوى فهي المنتجة لكل زوايا الرؤية(سعيد بنكراد، 2006، ص 33).

وعلى هذا الأساس فالواقع المعاش اليوم وما يحتويه من رموز وعلامات واقع خداع ومتحايل كونه مبني على أساس النظرة الذاتية للشخص التي تعتبر المنتجة لكل زوايا الرؤية فيه. بل منتجة على حد تعبير محمد منير حجاب في تعريفه للمنظور لكل "القيم ولمعتقدات والاتجاهات والمعاني التي تتوفر في الإطار الفكري أو وجهة نظر الفرد

لموقف معين، ويتكون (المنظور "النظرة") من مجموعة دعاوي ليست محدودة بالضرورة تحديدا شعوريا واضحا ولكنها تؤثر فيما يدركه الشخص في تفسير لمدركاته"(أحمد منير حجاب، 2004، ص 541).

وما يزيد من تأزمية الواقع أن المنظور (النظرة) والرمز والتمثل أصابتهم الكارثة على حد تعبير جون بوديار نتيجة ارتباطهم بمادية تطور وسائل الاتصال الحديثة خصوصا الانترنيت التي جعلت من العالم قرية عالمية على تعبير مارشال ماكلوهان فهي ميديولوجية حديثة ترى وتنظر وترمز وتضع ثقافتنا وليس الإنسان نظرا لسيادتها وسلطتها، كمؤسسة مجتمعية رمزية قيمية تضاهي باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية مجتمعة(كالأسرة والمدرسة والمسجد...إلخ)، والتي أدت في الأخير إلى ظهور عالم السيمولاكر (الشبح) حسب بوديار الذي سجل ظهور نظام جديد "أي أدى إلى انهيار الواقع وغياب الأشياء والاستعاضة عنها ليس بنسخها وإنما بنسخ النسخ التي تمتلك من الآن فصاعدا قوة إنتاج نفسها باستمرار وتبعا لذلك صار الإيحاء بالواقع أقوى من الواقع بذاته" وهو ما يسميه بوديار الواقع المفرط hyper réel أو الواقع الافتراضي"(عبد العالي معزوز، 2014، ص 31) الذي أزال النسيج الحي الرمزي عن صورنا لأن نظرتنا تخوصصت(برنار ميج، 2011، ص 76)منتجة لنا عالما افتراضيا رمزيا مضاعفا مشكلا من هيمنة الآني واللحظي وانكماش الزمان وتمدد المكان في عالم الانترنيت والوسائط الإعلامية الحديثة هذه الأخيرة تعتبر أحد مفاصل العولمة الثقافية التي أدت إلى ظهور هيمنة الثقافة الجماهيرية والتي تسود فيها الرموز والقيم والأذواق المنحطة الهابطة على حساب الرموز والقيم والأذواق الرفيعة المبدعة كما حولت وظيفة الرموز من قيمة استعمالية نفعية إلى قيمة تبادلية تواصلية في إطار سوسيوثقافي.

III- الإشهار الإلكتروني من الهوية الرمزية الاقتصادية المرجعية إلى الهوية الرمزية الثقافية الجمالية:

ارتبطت هوية الإشهار منذ ظهوره قديما بالجانب الاقتصادي المادي، فكرونولوجيته تؤكد أنه ذو طبيعة تبادلية تجارية تركز على السلعة والمستهلك والتسويق باعتبارها عناصر تحدد جوهره الأصلي، فهي أداة توسطية بين البائع (المؤسسة) والمشتري (المستهلك) ومن البديهي أن مادية الإشهار قديما كانت تتم " بطرق بدائية لا تتعدى الضرب بالطبول أو إطلاق المنادين الذين يعلمون بقدوم التجارة وقد يلجأ البائع نفسه إلى الإشهار عن بضاعته بصوته"(منى سعيد الحديدي، 1999، ص 67).

ومع ذلك فإن الإشهار بآلياته وأساليبه في الإقناع والبرمجة والتكييف واستشارة الانفعالات لم يظهر إلا في القرن التاسع عشر بظهور الثورة الصناعية التي ارتبطت بميزة أساسية هي الوفرة في السلعة والخدمات والأسواق وتنوع الزبائن لقد تحطمت الحدود وسقطت الحواجز وانفتحت الأسواق أمام نظام اقتصادي أزاح بقايا المانيفاكتورات الصغيرة التي تنتج بضائع محدودة لمستهلك معلوم، وهناك من يحدد تاريخا دقيقا لظهور الإشهار باعتباره نشاطا مستقلا، فقد قرر إميل جيراردان Emile Girardin سنة 1836م تخصيص حيز هام من جريدة **La Presse** للوصلات الإشهارية(سعيد بنكراد، 2009، ص ص 48/47).

وما يميز الثورة الصناعية أنها قامت في بيئة غريبة ذات نظام اقتصادي رأسمالي يستند إلى مجموعة قليلة من أصحاب رؤوس الأموال الذين لهم القدرة على شيئين مهمين في هذا النظام هما " أولا القدرة على المنافسة التي

تؤدي أحيانا إلى أشكال من العنف الرمزي لشدة ضراوتها وتؤدي كذلك إلى تكون تكتلات اقتصادية وإلى شركات ذات رؤوس أموال ضخمة وبالتالي إفلاس أو على الأقل إضعاف تلك التجمعات الصغيرة والمتوسطة التي لا تقدر على المنافسة وبقدر ما يزداد رأسمال الشركات تزداد كذلك وسائل التهميش والإلغاء أما الميزة الثانية فهي الإنتاجية وارتباطها بالاستهلاك.

إن أي ممارسة اقتصادية، اجتماعية أو ثقافية لا تعتبر مقبولة إلا إذا تحولت إلى سلع للبيع توفر أكبر قدر من الربح لصاحبها، إن الاتجاه البراغماتي الاقتصادي أدى تدريجيا إلى تسليع كافة أوجه المجتمع فكل نشاط يقاس بقدرته على التمكن من اختراق شبكة معقدة من البيع والشراء، من العرض والطلب"(سعيد بنكراد وآخرون، 2010، ص 83)، وبالتالي فهدف الإشهار التركيز على بيع المنتج، هذا النمط من الإشهار أنتج لنا ما يطلق عليه الإشهار المرجعي (المباشر) الذي "يستمد مرجعيته من خاصية رئيسية ارتباطه بالمنتج وبعوالمه المباشرة بما فيها المميزات والوظيفة والفعالية والثمن استنادا إلى لازمة أساسية هي المقارنة بينه وبين غيره من المنتجات وكما هي العادة في الدعاية لأي منتج فإن جل الوصلات التي يمكن تصنيفها ضمن هذا التيار لا يمكن أن تخرج عن دائرة الاستهلاك المرتبط أساسا بالقيم الاستعمالية في مقابل قيم أساسية لها ارتباط بالكينونة الأولى تحيل على كل العوالم الخاصة باليومي والنفعي المتجسد في الأكل والتنظيف وتربية الأطفال ومحاربة الحشرات أما الثانية فلها تأثير مباشر على هوية الفرد وشكل الكينونة التي تقوده إلى الارتياح عن المعايير الاجتماعي السائد"(سعيد بنكراد وآخرون، 2010، ص 84)، ويمتاز هذا النوع من الإشهار بتتبع استراتيجية خطابية تتمظهر من خلال تسريد (السرد) وضعيات إنسانية تتكرر في الحياة اليومية باستمرار وكذا الوصف والتصوير ومطابقة اللفظ للصورة(محمد خاين، 2010، ص 117) إن هذه الخصائص الأربعة تشكل القوة الضاربة لهذا النوع من الوصلات الإشهارية، إنها اساليب تستمد كامل فعاليتها من ارتكازها على المعطى الثقافي الذي لا يكلف العين عناء البحث عن معادلات مجردة ليست مرئية بشكل مباشر في النص الثقافي وتستمدها أيضا من خلال توجهها إلى جمهور عريض من المستهلكين يتميز بثقافة محدودة ودرجة من التحضر لا تسعفه في جعل عينه محركا بالرؤى الفنية تلتقط الجميل في كل شيء اعتمادا على التلميح والتعبير الرمزي"(سعيد بنكراد، 2006، ص 68)، وبالتالي فالإشهار المرجعي إشهار تنازعي تنافسي يدعو إلى شراء المنتج والمزيد من الشراء لكن وراء هذا الشراء مجموعة من القيم المتضمنة فيه والتي لها ارتباط مباشر بالبعد النفسي والاجتماعي والثقافي لذات المستهلك والتي لا يستطيع الإشهار المرجعي الكشف عنها ولا يأخذ بعين الاعتبار خصوصية المستهلك الثقافي، فالإشهار المرجعي إشهار ركلامي يوجه نظره نحو المستهلك انطلاقا من المنتوج وكما يعتمد على مبدأ المثير والاستجابة للحصول على نتيجة مباشرة هذا النمط من الإشهار ثبت فشله نتيجة الأزمة الاقتصادية سنة 1929م التي ضربت العالم والدول الغربية الرأسمالية صاحبة الشركات الصناعية الكبرى، التي عرفت كسادا كبيرا في إنتاجها كمرحلة أولى وإفلاسها في مرحلة ثانية، هذه الأسباب الاقتصادية والاجتماعية كما يقول جيرار لانيو هي التي "أقنعت المعلنين باعتماد نظرة المستهلك وكان العامل المحدد هو الانسداد التدريجي للنظام الصناعي الذي كان يجعل النمط المثالي للسوق الذي كان الاقتصاديون

قد اعتادوا على إحالة الواقع إليه نمطا تتناقض معقوليته يوما بعد يوم، باعتبار أن كينز Keynes كان يتخذ من الميل إلى الاستهلاك متغيرا استراتيجيا لكل سياسة مضادة للانكماش"(جيرار لانيو، 1996، ص 32)، وبهذه الرؤية أصبح ينظر إلى المنتج بعين المستهلك، هذه الأخيرة خلقت نمطا جديدا من الإشهار تحت عنوان العلاقات العامة التي كان هدفها تكوين صورة ذهنية إيجابية للمستهلك عن الشركات الكبرى "فالعلاقات العامة تنفي بشدة كل غاية إيجابية للمستهلك عن الشركات الكبرى، العلاقات تنفي بشدة كل غاية تجارية (مركنتيلية)، وبالعكس تدعي الكرم والسخاء، فهي تعلن ثقتها بفضائل الحوار والإرادة الطيبة، والتفاهم والصدق المتبادل بين المعلنين والرأي العام، وحين يتلاعب العلائقيون بفضائل الجدل الإعلاني بين حقيقة التبادل ومظهر العطاء، إنما يعملون على الإثارة والمحافظة على الصور الجماعية للماركات وتحسينها وكذلك الحال بالنسبة إلى صور المؤسسات والشخصيات التي تتوقف ثروتها وقوتها على سمعتها نسبيا"(جيرار لانيو، 1996، ص 31) فإشهار العلاقات العامة هو إشهار ذو هوية سوسيوثقافية جمالية تعزز انتشاره حسب جون بوديار نتيجة "الطفرة التكنولوجية التي عرفتها المجتمعات الغربية، التي مكنتها من الانتقال من اقتصاد العلامات إلى اقتصاد وسائل الاتصال"(عبد العالي معزوز، 2014، ص 30) الحديثة والتي تعتبر الانترنيت قمتها كوسيط إشهاري إلكتروني جديد. "وينطلق الداعون إلى الإشهار الجمالي (الثقافي) من مسلمة تقول أن فعل الشراء وفعل التسوق عامة يحيل إلى عالم روتيني وممل يثير التقزز ولاشمئزاز، فهو يومي ومعاد ومرتبط بالحاجات النفعية التي لا لذة فيها ولا متعة وللخروج من هذا العالم على الإشهار أن يخلص فعل الشراء اليومي من الملل من خلال إضفاء غطاء الأحلام على الأشياء، فبدون هذه الأحلام لن تكون الأشياء ماهي عليه"(سعيد بنكراد، 2006، ص 70)، ويتميز بكونه لا يقدم معنى جاهز وإنما يدعو المتلقي من خلال إيحاءاته في إنتاج المعنى وتوليد الدلالة كما يتجلى بعده الجمالي في تجنب التركيز على المضامين التجارية(محمد خاين، 2010، ص ص 118/117)، وتتحقق هذه الجمالية من خلال طريقتين في تمثيل الموضوع الإشهاري، تمثيل مجازي وآخر أسطوري، يبنى الاتجاه الأول استنادا إلى كل الانزياحات الممكنة على المعنى المباشر والوضعيات المألوفة مستعملا في ذلك كل الوسائل إلى الوصول إلى وجدان المستهلك (الغايات التجارية)، بما فيها السخرية وخلق وضعيات غريبة وقلب الأدوار الاجتماعية وتجسيد حالات الفرح الإنساني من خلال التمثيل لجزئيات الحالة لا الاكتفاء بتسميتها أن الأمر يتعلق بالقفز على حقائق الواقع من أجل صياغة ينسي الفرد روتينية الاستهلاك أما الأسلوب الثاني فيتحقق من خلال التصوير لوضعيات تحتفي بالحلم والأبعاد السحرية في السلوك الفردي والجماعي، كما تستعين بالمحاكات الإنسانية الكبرى"(سعيد بنكراد، 2009، ص 93) فالإشهار الجمالي ليس مجرد تقنية لتسويق السلع والخدمات بل ثقافة في حد ذاتها كونه يروج لمجموعة من القيم والأفكار والمعتقدات التي لها ارتباط وثيق بمنتج السلعة أو الخدمة فهذا النوع من الإشهار كما يقول بيرنار كاتولا Bernard Cathelat، "يقدم نماذج سوسيوثقافية مرجعية، أن تشتري منتجا معناه أنك تشتري هوية أكثر مما تشتري شيئا نفعيا بل أكثر من ذلك تثبت فيه أخلاقا وفلسفة تتجاوز الأفكار الجيدة"(برنار كاثولا، 2012، ص 51)، فالإشهار الجمالي إشهار ثقافي وهو أداة للتنميط التي لا تهدف إلى مخاطبة الانسان بوصفه

شخصا وإنما يروم إلى إدماجه في الأيقونة الجماعية بحكم أن "الإشهار مرآة حية لثقافة حية، إنه يؤسس ثقافة شعبية جماهيرية ويؤسس قيمتها ومعاييرها ويفرض نماذجها ويكرس بلاغتها ولغتها"(برنار كاثولا، 2012، ص 296).

IV–طبيعة الرموز القيمية الثقافية الموظفة في الإشهار الإلكتروني الجزائري:

يعتبر الإشهار الإلكتروني بوصفه شكلا رمزيا أصليا يترجم المظاهر الموضوعية الفردية لتفكير المستهلك وتمثيلاته وتصوراته للعالم الخارجي، ليصل في الأخير إلى الوظيفة الأداتية التي نفهم بها المظاهر الموضوعية المجتمعية خصوصا التفكير الجماعي للحياة والمنظومة القيمية الاجتماعية والثقافية من خلال استمرارها أو تغيرها، هذا التحليل يؤكد فكرة الروائي البريطاني نورمان دوغلاس القائلة: "يمكن أن تقرأ أفكار أي أمة من خلال إشهاراتها"، فمن خلال الإشهار وتقنياته وثيماته نستطيع قياس درجة وعي الشعوب ودرجة تحضرها بل يمكن التعرف على طابوهاتها ومحرماتها ومناطق التقديس عندها(سعيد بنكراد، 2009، ص 75) وانطلاقا من هذا فإن الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية تؤكد أن طبيعة القيم الثقافية والاجتماعية في المجتمع الجزائري ذات منظومين تقليدية وانتقالية مختلفين بحكم الظروف والعلاقات التي أصبحت تسيطر على واقع الأفراد والجماعات، فالمنظومة القيمية الثقافية والاجتماعية التقليدية تجرنا للحديث عن طبيعة النظام الثقافي برمته، لقد شكلت الثقافة التقليدية من جهة واحدة ثقافة متكاملة بمعنى من نوع التوافق المتبادل بين العناصر الثقافية وعدم وجود صراع واضطرابات بينهما، أي وحدة المعتقدات والأفكار والأفعال(محمد السويدي، 1996، ص 102)، ومن جهة أخرى اتسمت بطابعها الأخلاقي سيما في إطار السيطرة أو الضبط الاجتماعي للمحافظة على النظام والاستقرار. وحسب علماء الاجتماع والانثروبولوجيا فإن طبيعة القيم والمعتقدات في مجتمع ما ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط الإنتاج والبناء الطبقي وبشكل التنظيم الاجتماعي أي نمط الأسرة، إذا ألقينا نظرة سريعة على طبيعة هذه العوامل في المجتمع الجزائري التقليدي نجد ما يلي:

– الطابع الزراعي الرعوي هو المهيمن على التشكيلة الاقتصادية.

على صعيد المستويات الاجتماعية يصف الطيب شنون "النظام الاجتماعي في الجزائر خلال القرن 19م بأنه قائم على أساس ترابط بنيتين اجتماعيتين: الأولى تشكلها العلاقات الأسرية أو العائلية من جهة وتغذيها علاقات القرابة من جهة ثانية.

الثانية: يهيكلها سلم تراتبي اجتماعي طبقي تشمل قمة هرمه الأرستوقراطيين القبلية والطرقية".

– تعتبر العائلة كأسرة أبوية ممتدة الخلية الاجتماعية الاساسية للتنظيم الاجتماعي(محمد الطيبي، 1992، ص 31)إن هذه العوامل مجتمعة أوعزت للثقافة التقليدية بالتركيز على علاقة القرابة واعتبارها الركيزة الأساسية في العلاقات الاجتماعية، التركيز على التراتبية أو السلمية في العلاقات بين كبار السن والصغار من جهة وبين الذكور والإناث من جهة أخرى والتركيز على المصلحة الجماعية واعتبارها أهم من المصلحة الفردية وكان لابد من مسوغ ومبرر لهذا الواقع الاجتماعي، أي وعاء ايديولوجية شكلت جانب منه القيم العشائرية والقبلية: متمثلة في "النعرة"

وهي الإسراع للدفاع عن القريب وعن حرمة القبيلة وفي "الشجاعة" لأنها أساس البقاء في هذا العالم المملوء بالصراعات وبالكرم لأنه يمثل جانبا من التساند والتكافل الاجتماعي في الداخل وجانبا من الفخر والتطاول في الخارج"(مزيان عبد المجيد، 1988، ص 264) أما الجانب الآخر فشكلته القيم العائلية متمثلة في الطاعة، أي خوع الصغار للكبار والنساء للرجال وفي "الجماعية" أي انصهار الفرد ومصلحته في الجماعة ومصلحها وفي "الشرف" لتنظيم النشاط الجنسي وحفظ الحدود بين العائلات الأبوية(تريكي حسان، 2013، ص 92).

أما المنظومة القيمية الثقافية والاجتماعية الانتقالية التي جاءت كنتيجة مباشرة عن الاستعمار وعقلية التحديث التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال وتحديدا بعد الانفتاح الاقتصادي والتطورات التكنولوجية التي أحدثت انفتاحا إعلاميا بداية التسعنيات حيث "طغت في هذه المرحلة الازدواجية على عناصر الثقافة الاجتماعية جراء تصادم المنظومة الثقافية والقيم التقليدية التي تركز على قيم الشرف والطاعة والجماعية ...إلخ" ومنظومة الثقافة الحديثة التي تتبنى قيم الفردية، ومعايير البضاعية التبادلية ومعايير الشيئة الأداتية، هذا كله أدى إلى تغيير قيمي كان له أثار جوهرية على نسق القيم المركزية المحددة لهوية المجتمع الجزائري، إذ تراجعت اثر تقدم قيم جديدة، ففي مجال القيم الأسرية نجد أن العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية لعبت دورا واضحا في تغيير النسق والبناء العائلي في الجزائر بعد الاستقلال فالعائلة الجزائرية في حال تحول مستمر من عائلة ممتدة إلى عائلة نووية ويرجع إلى أسباب كثيرة أهمها أزمة السكن، كما أخذت السلطة الأبوية تتدهور مما أدى إلى تغيير المفاهيم السائدة فيها، وأصبح للأم والأبناء دور كبير فيها كما تعززت مكانة المرأة داخل الأسرة والمجتمع بفضل تطور وضعها التعليمي وخروجها للعمل.

كما نلاحظ في عصرنا الحالي أن القيم الذاتية المرتبطة بالمصالح الشخصية قد طغت على حساب القيم الاجتماعية المرتبطة بمصالح المجتمع العليا، فالانتهازية والوصولية والنفاق هو المثل الأعلى الذي تقدمه وسائل الإعلام للشباب، من جهة أخرى لم يبقى الجزائري أكثر حرصا وتمسكا بعاداته وتقاليده، مثل ذي قبل بل اكثر من ذلك أصبح العديد من الأفراد أكثر حرصا على اتباع الموضة، مما أدى إلى اختفاء العديد من الأنماط الثقافية المميزة للمجتمع الجزائري(تريكي حسان، 2013، ص ص 93/92) وهي كلها مؤشرات قيمية سوسيوثقافية هامة تعكس الظروف السياسية والاقتصادية السائدة في الجزائر حاليا. ونظرا للقدرة التحويلية الرمزية للإشهار الإلكتروني التي تستطيع إنشاء تمثيلات للأشياء أو لعناصر الواقع واستخدامها فالمستهلك والمجتمع الجزائري يتعاملون مع محتوياته من خلال رمزية خطابه اللساني (اللغوي) والصوري (ثابتة أو متحركة) ومن ثم فإن تأثيره كبير عليه.

فالإشهار الإلكتروني بلغة نظرية الحتمية القيمية لعزي عبد الرحمان رأسمال رمزي جديد، هذه الرمزية ذو طبيعة ثلاثية الأبعاد "فهو أولا رأسمال مادي بوصفه بنية اقتصادية يحتاج إلى موارد مادية وبشرية من أجل صناعته وثانيا رأسمال رمزي على اعتباره بنية فوقية تقترب أو تبتعد عن الواقع المعاش إما ثقافيا أو اجتماعيا أو تاريخيا وثالثا رأسمال قيمي بحكم أن يحمل الكثير من المعاني التي تشكل نظريا أساس الحراك الثقافي والاجتماعي والتي تستمد

أصولها المرجعية من المعتقد والممارسات التاريخية المترتبة عن ذلك(عزي عبد الرحمان، 2013، ص 25)، والترابط بين العناصر الثلاث المكونة للإشهار الإلكتروني كرأسمال رمزي أساس البناء الحضاري والثقافي لأي مجتمع، ويضيف بيار بورديو أنه يمكن تحويل "الاستثمار" الرأسمال الرمزي إلى رأسمال مادي هذه الآلية حاضرة في حالة الإشهار الإلكتروني بحكم أن هذا الأخير يكتسب قيما وعادات وتقاليد ورؤى وأفكار كرأسمال قيمي رمزي فتتحول إلى رأسمال مادي تتنافس عليه وسائل الإعلام الإلكترونية "الانترنيت".

انطلاقا من هذا فإن الإشهار الإلكتروني الجزائري لا يعكس حقيقة الرموز القيمية الثقافية الوطنية وان وظفت فهي قليلة، استنادا إلى أن الرسالة الإشهارية الجزائرية عموما والإلكترونية خصوصا هي رسالة سياسية وتجارية، فقد لعبت التجربة الإشهارية في الجزائر في الفترة الممتدة (1962 إلى غاية 1990) دورا رياديا في إحلال الدعاية كنشاط سياسي والتي كان هدفها تعبئة الجماهير حول مبادئ سياسة الحزب الواحد وهذا يعني الخط الاشتراكي المنتهج من طرف الدولة، كان مناوئا لكل شكل من أشكال الإشهار التجاري بل أكثر من ذلك فقد كانت الدولة تلغي في الوقت عينه كل مبرر لكل شكل إشهاري سواء كان اقتصاديا أو ثقافيا بحيث لا يكون الإشهار تقويميا رمزيا وقد ساعدها على ذلك غياب منافسة القطاع الخاص، وبعد الانفتاح الاقتصادي وفي فترة التسعينات من القرن 20م عرفت الجزائر حركة انفتاحية إشهارية عكسية كون أن المستقبل على حد تعبير جيرار لاينو "الممكن توقعه للإعلان في العالم وحتى العام 2000م يتسم بأن اقتصاديات السوق في طريقها لتحويل إعلاناتها إلى اتصال أو تواصل فيما تحاول البلدان الشيوعية السابقة التفاوض على انتقالها من الدعاية إلى الإعلام والكلام التجاري"(جيرار لانيو، 1996، ص 99)، وهذا ما يؤثر على صناعة المحتوى القيمي الثقافي للإشهار الإلكتروني الجزائري وينظر إليه كرأسمال مادي ولس أداة تعكس القيمة الثقافية والاجتماعية الوطنية ويكون هذا الأمر في توجه هذا الرأسمال إلى الإشهارات الإلكترونية الترفيهية والهابطة.

وبالرغم من العدد الهائل لوكالات الإشهار في الجزائر الذي وصل سنة 2009 إلى "1494 وكالة" كما وصل عدد وكالات الاتصال والإشهار في نفس السنة إلى "2292 وكالة"(مريم عبد اللاوي، 2009) حيث أن عدد قليلا جدا منهم كما يقول الدكتور عبد النور بوصابة،"من تخصص في تصميم الإشهارات الإلكترونية حيث تعتبر وكالة "med.and.com" الوكالة الأولى التي انطلقت في تصميم الإشهار الإلكتروني منذ سنة 2009 وان وجدت بعض الوكالات المتخصصة في تصميم الإشهار الإلكتروني إلا أنها تقوم بالمرور عبر هذه الوكالة لقيام بالحملات الإشهارية"(عبد النور بوصابة، 2015، ص 420)، بالإضافة أن معظم الوكالات تفضل عدم ولوج الإشهار الإلكتروني نظرا لعدم وجود قوانين تقنن هذا المجال ومجالات أخرى مرتبطة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال فالتشريع العربي الذي تتبعه الجزائر بخصوص المعاملات الإلكترونية بصفة عامة هو بمثابة استنساخ للقوانين المتعلقة بالتعاملات التقليدية وهو أيضا استنساخ للقانون التونسي للمعاملات الإلكترونية بالإضافة إلى نقص الثقافة الإلكترونية"(عبد النور بوصابة، 2015، ص 428).

كما يؤكد أن هناك مجموعة من المواقع التي تقدم مختلف العروض التجارية بهدف التسويق والبيع على شبكة الانترنيت والتي انتشرت في السنوات الأخيرة تبقى مواقع للبيع على الشبكة وتتميز هذه المواقع بإعادة استنساخ بعضها البعض بغية اقناع المستخدمين لممارسة التسويق الإلكتروني وهي تتشابه في الغالب في المحتوى وأنواع الإعلانات التي تقدمها (عبد النور بوصابة، 2013، ص 176).

الخاتمة:

وعلى هذا الإساس فإن الإشهار الإلكتروني الجزائري من الناحية السميولوجية يفتقد إلى البنية السردية القصصية الثقافية الجمالية كما أن بنيته بسيطة البناء كونه إشهار إعلامي (ركلامي) وليس إيحائي، إذ أنه لا يقدم المظاهر والأنماط الحقيقية للحياة الفعلية التي يريدها المستهلك الجزائري والمجتمع ككل بسبب أنه لا يقدم تمثيلا رمزيا مباشرا لهذه الذات الجزائرية الفردية والجماعية، بل أكثر من ذلك فإن نوع التمثلات الثقافية للإشهار الإلكتروني الجزائري تؤثر سلبا على المحتوى القيمي الثقافي للإشهار كالظهور العاري للمرأة مع منتوج المؤسسة المعلنة وكأنها سلعة معروضة، كما يؤثر على مستواه الشكلي والفني الذي لا يرقى إلى المستوى المطلوب حيث يروج لقيم وسلوكيات وثقافة غريبة عن مجتمعنا مثل الاختلاط بين الجنسين، الإغراء، الإثارة جنسية وغيرها، وكلها قيم سلبية، الأمر الذي يدل على عدم اهتمام مصممي الإشهار الإلكتروني التابعين للمؤسسات الاقتصادية بالبعد النفسي والاجتماعي والثقافي للمستهلك والمجتمع الجزائري إما لنقص الخبرة أو عدم الكفاءة وقلة التكوين.

قائمة المراجع:

سكة قيمية إعلامية: يقصد بها عزي عبد الرحمان أن يحمل المضمون الإعلامي ختم أو دلالة قيمية أنظر إلى: عزي عبد الرحمان: **منهجية الحتمية القيمية في الإعلام**، الدار المتوسطية للنشر، ط01، تونس، 2013، ص 27.

F. De Saussure :**cours de linguistique générale** ; Payot, paris, 1971 ; p 33.

عبيدة صبطي: **الدلالة والمعنى في الصورة**، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2009، ص 152.

عبيدة صبطي: **الدلالة والمعنى في الصورة**، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2009، ص 192.

محسن بوعزيزي: **السيميولوجيا الاجتماعية**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2010، ص 75.

أرنست كاسيرر: **مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية**، ترجمة إحسان عباس، دار الأندلس، بيروت، 1961، ص 69.

أمبرتو إيكو: **العلامة تحليل المفهوم وتاريخه**، ترجمة سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2010، ص ص 10/9.

محمد التهامي العماري: **حقول سيميائية**، مطبعة أنفو، مكناس، المغرب، 2007، ص ص 10/09.

عبد المجيد العابد: **السيميائيات البصرية، قضايا العلامة والرسالة البصرية**، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 92.

السيد حافظ الأسود: **الأنثروبولوجيا الرمزية**، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2001، ص ص 46/45.

علي زيعور: **الأحلام والرموز**، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2002، ص ص 46/45.

شاكر عبد الحميد: **الفنون البصرية وعبقرية الإدراك**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2007، ص 377.

روجي البعلبكي: **المرود الثلاثي – قاموس ثلاثي اللغات عربي، إنجليزي، فرنسي**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 2008، ص 49.

عبد الحميد العابد: **السيميائيات البصرية، قضايا العلامة والرسالة البصرية**، الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 71.

شاكر عبد الحميد: **الفنون البصرية وعبقرية الإدراك**، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2007، ص 335.

غي غوتيي: **الصورة المكونات والتأويل**، ترجمة سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2012، ص 15.

سعيد بنكراد: **سيميائيات الصورة الإشهارية – الإشهار والتمثلات الثقافية –**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 33.

أحمد منير حجاب **المعجم الإعلامي**: ، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة، 2004، ص 541.

عبد العالي معزوز: **فلسفة الصورة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص 31.

برنار ميج: **الفكر الإتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة**، ترجمة أحمد القصوار، دار تويقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2011، ص 76.

منى سعيد الحديدي: **الإعلان**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط01، 1999، ص 67.

سعيد بنكراد: **الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة**، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، 2009، ص 48/47.

سعيد بنكراد وآخرون: **استراتيجيات التواصل الإشهاري**، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط01، اللاذقية، سوريا، 2010، ص 83.

سعيد بنكراد وآخرون: **استراتيجيات التواصل الإشهاري**، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط01، اللاذقية، سوريا، 2010، ص 84.

محمد خاين: **النص الإشهاري ماهيته، إنبناؤه وآليات اشتغاله**، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010، ص 117.

سعيد بنكراد:, **سيميائيات الصورة الإشهارية – الإشهار والتمثلات الثقافية –**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006 ص 68.

جيرار لانيو: **سوسيولوجيا الإعلان**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار منشورات عويدات، بيروت، ط01، 1996، ص 32.

جيرار لانيو: **سوسيولوجيا الإعلان**، ترجمة خليل أحمد خليل، دار منشورات عويدات، بيروت، ط01، 1996، ص 31.

عبد العالي معزوز: **فلسفة الصورة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص 30.

سعيد بنكراد: **سيميائيات الصورة الإشهارية – الإشهار والتمثلات الثقافية –**، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 70.

محمد الخاين: **النص الإشهاري ماهيته، إنبناؤه وآليات اشتغاله**، عالم الكتب الحديث، عمان، 2010، ص ص 188/117.

سعيد بنكراد: ، **الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة**، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، 2009، ص 93.

برنار كاثولا: **الإشهار والمجتمع**، ترجمة عيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2012، ص 51.

برنار كاثولا: **الإشهار والمجتمع**، ترجمة عيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2012، ص 296.

سعيد بنكراد: **الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة**، المركز الثقافي العربي، ط01، الدار البيضاء، 2009، ص 75.

محمد السويدي: **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص 102.

محمد الطيبي: **الجزائر عشية احتلالها أو سوسيولوجيا قابلية الاحتلال**، وحدة البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1992، ص 31.

مزيان عبد المجيد: **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأساسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي لدراسة فلسفة اجتماعية**

والجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، الجزائر، ص 264.

تريكي حسان: **التحديث وانعكاساته عن نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري**، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 31/30 ماي، 2013، ص 92.

تريكي حسان: **التحديث وانعكاساته عن نسق القيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري**، مرجع سابق، ص ص 93/92.

عزي عبد الرحمان: **منهجية الحتمية القيمية في الإعلام**، الدار المتوسطية للنشر، ط01، تونس، 2013، ص 25.

جيرار لاينو: **سوسيولوجيا الإعلان**، مرجع سابق، ص 99.

المركز الوطني للسجل التجاري، مديرية خدمات الإعلام الآلي، مريم عبد اللاوي 22 جوان 2009.

عبد النور بوصابة: **ثقافة الإشهار الإلكتروني واشكاليات التلقي في المجتمع الجزائري – دراسة تحليلية استطلاعية لعينة من الجمهور المتلقي في ولايات الوسط، الشرقّ، الغرب الجزائري،** دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2015، ص 420.

45. عبد النور بوصابة: : **ثقافة الإشهار الإلكتروني واشكاليات التلقي في المجتمع الجزائري – دراسة تحليلية استطلاعية لعينة من الجمهور المتلقي في ولايات الوسط، الشرقّ، الغرب الجزائري،** دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2015، ص428.

عبد النور بوصابة: **الإشهار الإلكتروني في الجزائر ومدى تلقي الجمهور لمضامينه،** مجلة الحكمة للدراسات الاتصالية والإعلامية، العدد 15 السداسي الأول 2013 ص 176.

تاريخ الاستلام: 2017/03/22- تاريخ التحكيم: 2017/05/17 -تاريخ النشر2017/06/30

معايير التوجيه الجامعي وتأثيرها على اكتساب جودة المعرفة الجامعية

د. سمـير أبيـــش

جامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل – الجزائر

الملخص:

تضاعفت الرهانات المنتظرة من الجامعة في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى لقيادة قاطرة التنمية وإنجاح تحديات الاستثمار ومتطلبات الازدهار الاقتصادي والاجتماعي، مما يعني زيادة التأكيد على ضمان جودة المعرفة الجامعية وتحسين أدائها العلمي والبحثي لتحقيق هذه الرهانات.

ويتوقف الوصول إلى هذا المستوى من المعرفة العلمية القادرة على الوفاء باحتياجات التنمية على عدة عوامل أهمها نوعية المدخلات التي يزود بها نظام التوجيه الجامعي مؤسسات التعليم العالي.

ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مدى نجاعة معايير التوجيه الجامعي للطلبة في التأثير على اكتساب جودة المعرفة العلمية من خلال اعتماد أقسام علم الاجتماع كنموذج للدراسة

الكلمات المفتاحية: التوجيه الجامعي، جودة المعرفة، المعرفة السوسيولوجية، أقسام علم الاجتماع.

Abstract:

The bets expected from the university have multiplied more than ever before to lead the development locomotive and to ensure the success of investment challenges and the requirements of economic and social prosperity, which means increasing the emphasis on ensuring the quality of university knowledge and improving its scientific and research performance to achieve these bets.

Access to this level of scientific knowledge capable of meeting development needs depends on several factors, the most important of which are the quality of the inputs to which higher education institutions are provided.

The aim of this study is to determine the effectiveness of university guidance standards in influencing the quality of scientific knowledge through the adoption of sociology departments as a model for study

Keywords: university orientation, quality of knowledge, sociological knowledge, sociology departments.

مقدمة :

يمثل التعليم العالي قمة المنظومة التعليمية، وتتويج المسار الدراسي ونهاية المطاف التعليمي بالنسبة للدارسين، وحجر الزاوية للعملية التنموية المعاصرة والاستثمار في رأس المال البشري، وموطنا لرسم التوجيهات الإستراتيجية والنخب الجامعية من القيادات الفاعلة والمؤثرة في المجتمع.

إن هذا الدور الملقى على عاتق التعليم العالي في الوقت المعاصر جعل المنشغلين داخل الحقل الجامعي يسعون إلى إيجاد السبل والوسائل الكفيلة بتأسيس نظام تربوي ذو جودة عالية، قادر على تخريج كوادر بشرية مؤهلة

ومتخصصة في المجالات المختلفة تلبي احتياجات المجتمع الحالية والمستقبلية، بما يتواءم وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية مستمرة وحقق الآمال المعقودة على التعليم العالي.

هذا ولم يقتصر الاهتمام المتزايد على دور الجامعة والبحث العلمي على الأوساط الأكاديمية وتلك المنشغلة بقضايا العلم والمعرفة، بل أصبح مطروحا أكثر من أي وقت مضى على خارطة أولويات المسئولين واهتماماتهم السياسية والاقتصادية، نلمسه في خطاباتهم وبرامج الأحزاب وغيرها من الفعاليات السياسية، وأصبح الحديث عن ضرورة مضاعفة الإنفاق على التعليم والبحث العلمي والاستثمار في الأدمغة ورعاية الكفاءات الوطنية حديث الساعة داخل الساحة الوطنية.

كما أخذت الأنظار تتجه نحو الجامعة والتعليم العالي من طرف جميع طبقات المجتمع من أجل التكيف مع المتغيرات المتسارعة التي يعيشها العالم اليوم، وهي التغيرات التي ألقت بظلالها على المجتمعات وحتّمت عليهم التفاعل معها ومع مكتسباتها العلمية والمعرفية.

أدّى هذا التركيز الشديد الذي أضحت توليه مختلف الهيئات للمعرفة الجامعية والبحث العلمي بمؤسسات التعليم العالي إلى ضرورة ضمان جودة نوعية للمعرفة العلمية، تضمن لهذه المؤسسات العلمية تلبية المطالب الاجتماعية والاقتصادية ومواكبة التطورات الحاصلة والقدرة على المنافسة داخل عالم لم يعد يؤمن إلاّ بالأجدر والأحسن.

وتمثل جودة التعليم اليوم إحدى القضايا المهمة والحيوية في نظام التعليم المعاصر، خاصة أن النظام الحالي في العديد من البلدان لا يهيئ الطلبة كمخرجات جيدة لسوق العمل بصورة كافية، ولا يمنحهم الفرصة للإبداع والابتكار(دخيخ، ص، 2012: 2).

وتجد العلوم الاجتماعية نفسها اليوم في خضم هذه التطورات الحاصلة والحراك الجاري مطالبة بإثبات جدارتها وأحقيتها للمشاركة في خطط التنمية والمساهمة في معالجة مشاكل المجتمع المعاصر خاصة مع التقدم والتطور الذي تشهده باقي فروع المعرفة العلمية خاصة التكنولوجية منها.

ولذلك يجتهد المنشغلون بالمعرفة الاجتماعية والقائمين على المؤسسات التي ترعى هذه المعرفة العلمية على تمحيص وتشخيص العوامل المتسببة في تدهورها وجعلها قابعة في آخر الاهتمامات، بغية إيجاد حلول كفيلة بالارتقاء بمستوى جودة هذه المعرفة داخل أقسام العلوم الاجتماعية لتتمكن من خلالها إلى أخد فرصتها ومكانتها داخل المجتمع.

وإضافة إلى جملة المشاكل والصعوبات التي تعاني منها مختلف فروع المعرفة العلمية يرى الباحثون أن التوجيه الجامعي ومعايير انتقاء الطلبة لهذه الأقسام والفروع العلمية تمثل أكبر العوامل المساهمة في نوعية وجودة المعرفة بداخلها وهي العوامل التي سنحاول الوقوف عليها من خلال هذه الورقة البحثية.

أولا– التوجيه الجامعي:

1- مفهوم التوجيه الجامعي: يعرف التوجيه الجامعي على أنه الأساس العلمي لتصنيف طلبة المدارس الثانوية مع وضع الأساس الذي يمكن بمقتضاه تحديد احتمال نجاح الطالب في دراسة من الدراسات أو مقرر من المقررات(زغنية، ع، 36:2006).

2- أهداف التوجيه الجامعي: تستهدف عملية التوجيه الجامعي تحقيق الأهداف التالية:

- ✓ تمكين الطالب من اختيار نوع الدراسة الملائمة لقدراته واستعداداته وميوله والتكيف معها.
- ✓ ضمان أكبر قدر ممكن من فرص النجاح والتحصيل الدراسي والعلمي لدى الطالب.
- ✓ تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بين الطلاب.
- ✓ تحقيق جودة المعرفة الجامعية.
- ✓ التقليل من الهدر التربوي.

3- أهمية التوجيه الجامعي: يقدم التوجيه الجامعي السليم مجموعة من الفوائد التي تنعكس على أداء الطلبة والمؤسسة التعليمية أهمها.

3-1- على مستوى التحصيل الدراسي والعلمي للطالب الجامعي:

- ✓ تحقيق تعليم فعّال بفضل التوافق الحاصل بين رغبات الطالب وميوله وقدراته ومتطلبات المعرفة المنشودة.
- ✓ تحقيق أكبر قدر ممكن من التفاعل الإيجابي بين الطلاب وهيئة التدريس.
- ✓ زيادة معدلات الأداء و الكفاءة الإنتاجية لدى الطالب.
- ✓ زيادة معدلات فرص النجاح.

3-2- على مستوى أداء المؤسسة التعليمية:

- ✓ ضمان الجودة المعرفية للمؤسسة التعليمية.
- ✓ تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بين الطلاب.
- ✓ التقليل من معدلات الهدر التربوي الناتجة عن معدلات الرسوب الكبيرة العائدة إلى التوجيه غير السليم.
- ✓ التوزيع الناجع لقدرات الطالب على فروع وتخصصات المؤسسة التعليمية.

4- معايير التوجيه الجامعي: يستند التوجيه الجامعي لمؤسسات التعليم العالي في الجزائر إلى المعايير والاعتبارات التالية:

- ✓ الرغبات المعبر عنها من طرف الطالب الحاصل على شهادة البكالوريا للتعليم الثانوي العام.
- ✓ الشعبة والنتائج المحصل عليها في امتحان البكالوريا: المعدل العام للبكالوريا، التقدير، نقاط المواد الأساسية.
- ✓ قدرات استقبال مؤسسات التعليم والتكوين العاليين.
- ✓ الدوائر الجغرافية للطلاب.

تتطلب المشاركة في الترتيب من أجل التوجيه لبعض ميادين التكوين والمدارس والأقسام معدلات عامة دنيا للبكالوريا، ولا تمنح هذه المعدلات الحق آليا للتسجيل النهائي.

ويتم الترتيب للتوجيه الجامعي على أساس المعدل العام المحصل عليه في امتحان البكالوريا، وهناك شروط تكميلية مطلوبة للتسجيل من أجل التوجيه لبعض الفروع والتخصصات الجامعية.

وإضافة إلى الشروط السالفة، فإن الالتحاق ببعض الفروع العلمية مشروط حسب الحالة إما بالنجاح في مسابقة الدخول لهذه الفروع أو اختبار كفاءة أو على إثر مقابلة شفوية أمام لجنة انتقاء(**وزارة التعليم العالى والبحث العلمي، 2012-2013).**

علما أن عملية التوجيه الجامعي إلى مختلف فروع وميادين وأقسام المعرفة العلمية تتم عن طريق المعالجة الآلية ولا تخضع لاعتبارات العامل الشخصي، إذ يتعامل المعالج الآلي للتوجيه الجامعي مع توجيه الطلاب وتوزيعهم عبر مختلف الفروع والأقسام وحتى المؤسسات التعليمية وفقا لقاعدة البيانات والمعطيات المبرمج عليها، فمن خلال ملأ الطالب الراغب في الحصول على التوجيه الجامعي لبطاقة الرغبات المودعة في موقع خاص بالعملية توفره وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وفقا لترتيب تنازلي حسب رغباته وفي حدود العشرة لتقلص سنة 2016 إلى ست فقط، تتكفل المعالجة الوطنية الآلية بمجمل بطاقات رغبات الطلاب التي تم ملأها وإرسالها عبر الخط إلى تلبية إحدى الرغبات المعبر عنها من بين الرغبات العشر، وفي حالة عدم استجابة جميع الرغبات المعبر عنها للمعايير المعتمدة في التوجيه يتم اقتراح توجيه أخر بديل من غير العشرة للطالب.

ثانيا- جودة المعرفة الجامعية:

1- مفهوم جودة المعرفة وما ارتبط بها من مفاهيم: يمثل مفهوم جودة المعرفة من المفاهيم المعاصرة داخل النظام المعرفي، فرضته التغيرات الكبيرة التي عرفتها الساحة العالمية ولا تزال، وجملة الأدوار الجديدة المعقودة على الجامعة ومؤسسات البحث العلمي:

1-1- مفهوم الجودة داخل القواميس اللغوية: على الرغم من حداثة مفهوم الجودة إلا أن القواميس العربية لم تخلوا من الإشارة إلى مفهوم الجودة، حيث ذكر في لسان العرب مثلا تحت مادة الجودة بأن أصلها جود والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جوده، وجوده أي صار جيدا وأحدث الشيء، فجاد والتجويد مثله قد جاد، جوده وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل.(**ابن منظور، 1984:72).**

1-2- التعليم الجامعي: عبارة عن مؤسسة تعليمية وتربوية ذات طابع علمي وتربوي ونفسي في بنائها وتركيبها وطبيعتها الممتدة من المجتمع وثقافته وفلسفته وطبيعة المتعلم وحاجاته ورغباته وطبيعة المنهج الدراسي والاتجاهات العلمية في التطور ومنها البحث العلمي والتكنولوجي، أو هو نظام له أغراض عدة لتزويد المتعلم بالتعليم الجيد.(**الإبراهيمي، م، 2012: 9).**

وهو المرحلة التعليمية التي تلي مرحلة التعليم العام، وأهم مميزاتها الاختصاص في فروع المعرفة العلمية الممنوحة للمنتسبين إليها والشهادة التي يتوجون بها عند تخرجهم.

ويعرف المشرع الجزائري التعليم الجامعي بأنه مؤسسة عمومية خصوصية ذات طابع علمي تكنولوجي لتحقيق نشاطات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي، تتمتع هذه المؤسسة العمومية ذات الصبغة القطاعية أو المشتركة بين القطاعات بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، تتمثل مهمته في تنفيذ برامج البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في الميادين المحددة لها في النص المتضمن إنشاءها، يمكن لهذه المؤسسة إنشاء مؤسسات فرعية ذات طابع اقتصادي والمساهمة في مؤسسات أخرى بتثمين نتائج البحث(**دخيخ، ص، 2012: 4**).

1-3 – ضمان الجودة: يشير مفهوم ضمان الجودة إلى مجموعة النشاطات والإجراءات التي تتخذها الجامعة وفقا لمعايير محددة مسبقا للمنتج أو الخدمة يتم بالفعل الوصول إليها بانتظام، وهي القوة المرشدة وراء نجاح أي برنامج أو نظام أو مقرر دراسي وتهدف دائما إلى التقليل من الوقوع في أخطاء الفشل، ومن أمثلتها تطوير المقرارات الدراسية، وإجراء مراجع مراجعات مستمرة للبرامج الأكاديمية ووضع الحوافز وتطوير كفايات أعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعة(**النجار ، ف، 73:1999**).

1-4- جودة المعرفة: تعرف جودة المعرفة بأنها الفعالية العظمى والكفاءة المرتقبة في العقل العلمي والتي تؤدي في النهاية إلى التفوق والتميز.(**القانون التوجيهي والبرنامج الخماسي حول البحث العلمي والتطوير التكنولوجي1998-2002 المعدل والمتمم للمادة17**).

كما تعرف بأنها كل ما يؤدي إلى تطوير القدرات الفكرية والخيالية عند الطلاب وتحسين مستوى الاستيعاب لديهم ومهاراتهم في حل القضايا والمسائل وقدرتهم على توصيل المعلومة بشكل فعّال(**سالي وآخرون، ب،99:1997**).

في حين يعتبرها البعض بأنها الكفاءة التي يصل إليها الطالب من كافة الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية، وتجعل منه مطلوبا بعد تخرجه في سوق العمل وإرضاء كافة أجهزة المجتمع(**أحمد إبراهيم، أ، 2003: 166**).

أما رشدي أحمد طعيمة فيرى أن المقصود بالجودة في الميدان التربوي هو مجموعة الخصائص والسمات التي تعبر بدقة وشمولية عن جوهر التربية وحالتها، بما في ذلك كل أبعادها، مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعة وكذلك التفاعلات المتواصلة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع(**طعيمة وآخرون، ر، 2009: 21**).

وتتجلّى سمات جودة المعرفة الجامعية في إعداد طلبة بسمات وخصائص معينة تجعلهم قادرين على التكيف مع تدفق المعلومات، وعمليات التغيير المستمرة والتقدم الثقافي الهائل، بحيث لا ينحصر دورهم في استهلاك المعرفة، بل في كيفية التعامل مع هذه المعلومات والاستفادة منها في عملية التعلم، ونمو الخبرات وتخريج طلبة قادرين على ممارسة دورهم بصورة أفضل في خدمة المجتمع(**دخيخ، ص، 2012: 2**).

2- مبررات ضمان جودة المعرفة الجامعية:

ظهرت على الساحة العالمية والوطنية خلال السنوات الأخيرة مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي كانت سببا في الدعوة إلى ضرورة إعادة النظر في مستوى المعرفة العلمية نذكر منها:

- ✓ من الناحية العلمية أوجب التقييم والتصنيف الأكاديمي للجامعات على المستوى العالمي، من جعل جودة المعرفة والبحث العلمي في صلب اهتمامات الأكاديميين، حيث تقاس منهجية الجامعات وجودتها بأربعة معايير أساسية تتمثل في جودة التعليم وجودة هيئة التدريس ومخرجات البحث العلمي وحجم المؤسسة(حلاوة، ج، 2000 :22).
- ✓ – أن جودة المعرفة الجامعية أصبحت الأداة الأنجع لتحقيق مطالب التنمية والتقدم والوفاء باحتياجات المجتمع من الكوادر المتخصصة والمؤهلة والقادرة على المنافسة.
- ✓ – الزيادات المتتالية التي يشهدها قطاع التعليم العالي في أعداد الطلبة المنتسبين إلى هذا النوع من التعليم، حتّم الانتقال من السياسات المبنية على ضرورة ضمان الكم إلى السياسات الرامية إلى تحقيق النوعية من مخرجات التعليم.
- ✓ – سقف الطموح الاجتماعي الذي لم يعد مقتنعا بمستوى المعرفة الحالية.
- ✓ المنافسة الشديدة بين مختلف المؤسسات والمراكز التعليمية والبحثية على تبوء المراتب الريادية والانفراد بالسبق العلمي والمكانة المرموقة.
- ✓ الحاجة الماسة من الكفاءات الأكاديمية العالية التي أصبحت تفرضها الساحة الاقتصادية والاجتماعية القائمة بالأساس على ثورة المعلومات.
- ✓ مواكبة التغيرات التكنولوجية والمعرفية الكبيرة التي يشهدها عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- ✓ المزايا الإيجابية المترتبة عن ضمان جودة المعرفة الجامعية، بحيث تحافظ على ما يقارب من 45% من تكاليف الخدمات التي تضيع هدرا بسب غياب الجودة.
- ✓ تؤدي إلى رضا العاملين التربويين والطلاب وأوليائهم والمجتمع.

3– معايير جودة المعرفة الجامعية:

تتحقق جودة المعرفة الجامعية من خلال المعايير ومستويات التالية:

أولا– على مستوى المؤسسة التعليمية:

1– التواجد في مراتب متقدمة ضمن التصنيف الأكاديمي العالمي للجامعات.

2– الأبحاث والدراسات المنجزة والمعتمدة والمصادق عليها من طرف الهيئات والمؤسسات العالمية المختصة في هذا المجال.

3– الإنتاج الفكري والعلمي التي تساهم به المؤسسة.

4– عدد الأساتذة من الدرجات والرتب العالية.

5– التظاهرات والفعاليات العلمية المنظمة من طرف المؤسسة

6- عدد فرق ومخابر البحث المعتمدة.

ثانيا- على مستوى الطلبة:

1- القدرة على الاستيعاب الكامل والجيد للمقررات الدراسية للتخصص.

2- القدرة على توظيف المعرفة الجامعية المكتسبة في ميدان العمل.

ثالثا- على مستوى هيئة التدريس:

1- المساهمة في الإنتاج العلمي للمؤسسة الجامعية.

2- القدرة على إيصال المعرفة للطلبة.

3- عدد الأساتذة إلى عدد الطلبة.

4- الإحاطة بالمادة العلمية.

5- تنمية التفكير والإبداع لدى الطلبة.

6- التمكن من طرق وأساليب التدريس.

أما المعايير التي وضعتها لجنة التقويم الدائمة لجودة التعليم الجامعي في الجامعات البريطانية والمجلس الأعلى لتقويم جودة التعليم الجامعي في الجامعات الأمريكية فقد جاءت كالأتي: المستوى العلمي والخلفية المعرفية، الانتظام في العملية التعليمية، تقبل التغذية الراجعة، تنمية الحس الوطني والوازع الأخلاقي، تنمية الاتجاه التحليلي، درجة التفاعل الشخصي، إدراك احتياجات الطلبة، الالتزام بالمنهج العلمي، العمل على تنمية المهارات الفكرية التنافسية، معرفة أهداف الأساليب التدريسية المستخدمة، تنمية النظرة المتعمقة، الوعي بدور القدرة العلمية(شهيب وآخرون، م، 20 مارس،2017)

ثالثا- المعرفة الاجتماعية:

إن الحديث عن جودة المعرفة الجامعية داخل أقسام علم الاجتماع يقودنا لا محالة إلى الحديث عن المعرفة الاجتماعية، وعن الجذوة من هذه المعرفة والدعوة إلى تدريسها، وسبل الاستفادة منها في هذا العصر الذي يوصف بأنه عصر التكنولوجية.

كما أنه ينبغي علينا أن ندرك أن المعرفة الاجتماعية بوصفها معرفة علمية ليست متعلقة أو مقصورة على أقسام علم الاجتماع فقط، بل تشارك في إنتاجها عديد الفروع والتخصصات الجامعية من علم النفس وعلوم التربية إلى الاقتصاد والفلسفة والتاريخ، غير أن علم الاجتماع يمثل مربط الفرس وحجر الزاوية من بين هذه العلوم بوصفه الأكثر اتصالا بالمجتمع وتأثيرا في مجالات التنمية، ولذلك اخترنا قسم علم اجتماع ليكون نموذجا لدراستنا:

1- نشأة وتطور علم الاجتماع في الجزائر:

لقد مرت التجربة السوسيولوجية في الجزائر بالعديد من المراحل والتطورات حتى انتهت إلى الواقع الذي هي عليه اليوم، وكانت تشهد لها تغيرات كبيرة داخل كل مرحلة تمر بها، وأهم هذه المراحل:

1- المرحلة الاستعمارية: إذا حاولنا الحديث عن علم الاجتماع في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، فيمكن القول أن علم الاجتماع بوصفه علما أيديولوجيا فقد شكّل إحدى أدوات السيطرة على المجتمع الجزائري مند أول أيام الاحتلال، حيث رافق عالم الاجتماع الشهير أليكسي دوتكفيل الماريشال ديبرمون في حملته لاحتلال الجزائر،(وتم تكليفه من طرف السلطات الفرنسية بدراسة المجتمع الجزائري بغية تسهيل إدارة الدولة الفرنسية لشؤون مستعمرتها)، ولذلك تعرف السوسيولوجيا الكلونيالية بأنها الدراسات والأعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية في الجزائر والتي عملت على دراسة المجتمع الجزائري والتنقيب في بنياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وذلك محاولة منها لفهم الميكانيزمات التي تتحكم في البنى الاجتماعية والثقافية(**معتوق، ج،2007: ص7**).

وعن طريق السوسيولوجيا الكلونيالية دخل علم الاجتماع إلى الجزائر بغض النظر عن أهدافها الاستعمارية أو العلمية، حيث تتلمذ على روادها بعض من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون علم الاجتماع ضمن معهد الفلسفة الذي تم إحداثه في جامعة الجزائر سنة 1952 وهم الطلبة الذين سيشكلون بعد الاستقلال النواة الأساسية لأقسام علم الاجتماع في الجزائر.

2- مسيرة علم الاجتماع خلال عقد الستينات: وهي المرحلة التي أعقبت نهاية الاحتلال الفرنسي وخروج أساتذة علم الاجتماع الفرنسيين من جامعة الجزائر ليرث عنهم التركة تلاميذهم الجزائريين، وأهم ما يميز هذه المرحلة من مسيرة علم الاجتماع في الجزائر هو(أن الجامعة الجزائرية كانت تابعة للمدرسة الفرنسية موضوعا ومنهجا، وكان النظام التعليمي الجزائري مرتبطا ارتباطا وثيقا بالجامعة الفرنسية من حيث البرامج والغايات والاستراتيجيات، كما ظل التوجه الفرانكفوني للخطاب السوسيولوجي قائما حتى عام 1971، وكان علم الاجتماع يفتقر للدراسات الواقعية ويعمل على نقل الإرث السوسيولوجي الفرانكفوني إلى الطلبة، ويصب جل اهتماماته على أعمال المدرسة الدوركايمية غالبا، ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل وعلى التحصيل دون التحليل وبالرغم من انتصار الثورة الجزائرية إلا أن المقررات الفرنسية في السوسيولوجيا ظلت تعالج مسألة الاستعمار على أنها مسألة إنسانية جاءت لخدمة الشعب الجزائري ونقل الحضارة من الضفة الغربية إلى شمال 'فريقيا)(**معتوق، ج، 2006: 81**).

3- مسيرة علم الاجتماع في ظل التوجه الاشتراكي للجزائر: وهي المرحلة التي شهدت تحولات كبيرة داخل الجزائر على مستوى الحقل الاجتماعي والسياسي والثقافي، وأهم ما يميزها هو تبني الجزائر للتوجه الاشتراكي بخياراته الاقتصادية والتنموية المبنية أساسا على الصناعة، ولقد أوكلت إلى علم الاجتماع في هذه المرحلة مهمة الدفاع عن اختيارات الدولة التنموية وتعبئة الطاقات البشرية من أجل ذلك، ووجهت جميع البحوث الإمبيريقية نحو التنمية والصناعة والزراعة ووجدنا تخصصات كعلم اجتماع الريفي والحضري هي التخصصات المدروسة داخل أقسام علم الاجتماع، في حين شكّلت النظرية الماركسية التوجه الوحيد للبحوث الاجتماعية.

4- مسيرة علم الاجتماع في الجزائر ما بعد التعددية السياسية: وأهم ما يميز هذه المرحلة من مسيرة علم الاجتماع في الجزائر هو انتهاء العلاقة الحميمة التي كانت تربط العلم بأجهزة السلطة وانتقل من علم السلطة إلى علم منبوذ،

وذلك كله نتيجة التوجه الجديد للدولة في التنمية المبني أساسا على التوجه العلمي والتكنولوجي للتعليم مقابل الإقصاء الصريح لسائر العلوم الاجتماعية وفي مقدمتها علم الاجتماع، تجلى ذلك في خطابات المسئولين الجزائريين وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية في خطاب له ألقاه بمناسبة افتتاح السنة الجامعية، ليدخل علم اجتماع مرحلة انتكاسة حقيقية.

5- مسيرة علم الاجتماع في مرحلة ما بعد الإصلاح الجامعي: لقد فرضت التغيرات العالمية على الجامعة الجزائرية القيام بإصلاحات على هيكلة التعليم الجامعي قصد مواكبة التغيرات الحاصلة، كما عمدت الجزائر إلى توسيع مراكز ومؤسسات التعليم العالي ضمن خططها الرامية إلى التنمية الشاملة، فكان حظ علم الاجتماع منها فتح العديد من الأقسام التي تدرس علم الاجتماع داخل هذه المؤسسات، وتضاعف عدد الطلبة إلى الحد الذي جعلت أحد علماء الاجتماع في الجزائر يقول أن عدد طلبة علم الاجتماع في الجزائر أكثر من أمريكا نفسها.

غير أن هذا الازدياد الكبير في أعداد الطلبة والأقسام التي تدرس علم الاجتماع أضر بالعلم وتدريسه أكثر مما نفعه، خاصة على مستوى جودة المعرفة ومخرجات الأقسام من الطلبة، وظهر كأنه تم تعمد دخول العلم هذا النفق المظلم عن طريق تميعه وفصله عن واقع المجتمع عن طريق العشوائية في اعتماد أقسام علم الاجتماع وحشو طلابه بالمراجع الملوثة وغيرها من المعوقات، وذلك حتى لا يؤدي الدور الذي أشار إليه بورديو بأنه يعمل على معرفة قوانين إنتاج العمل ويزودنا بوسائل السيطرة، وأصبح علم الاجتماع عنوانا للبطالة والإخفاق الجامعي، ووجد المنشغلون بالدراسات السوسيولوجية أنفسهم خارج الحسابات التنموية ولا يعتد ببحوثهم وأرائهم.

2- أهمية المعرفية الاجتماعية:

في حديثها عن علم الاجتماع والواقع الاجتماعي بدأت إحدى الباحثات كلامها بأن تنمية مجتمعنا وتطوره مشروط بتقدم العلوم الاجتماعية(**يمينة، م،**91:2009)، ولذلك يعتبر المفكر مالك بن نبي رحمه الله أن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، التي تعتبر خطرا في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق كثيرا من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق، وهو الواقع الذي يؤكده تحليل مسار التنمية العلمية والتكنولوجية للبلدان المصنعة التي غالبا ما تساق كمثال، حيث يظهر أن هذا المسار لم يتحقق إلا بعد توفر شروط أهمها ارتفاع مستوى الثقافة للمجتمع عن طريق توظيف المعرفة الاجتماعية.

ويذهب سفير ناجي إلى أن كل اختيار يؤمن بإمكانية التنمية العلمية والتكنولوجية مضحيا بالعلوم الاجتماعية، يكون مجرد زيغ مآله الفشل نظرا لافتقاره إلى الوسائل الكفيلة بتمكينه من بلوغ أهدافه الخاصة، كما أن مثل هذا الاختيار يكون شبيها ببتر ذاتي في مرحلة يحتاج فيها المجتمع إلى كافة قدراته الخلاقة لبلوغ أهداف تنموية شاملة، كما يؤكد على أن العلوم الاجتماعية تشكل العمود الفقري للتفكير المعاصر للإنسان، وأنها وحدها العلوم الاجتماعية هي القادرة على الارتقاء إلى مستوى المهمة التاريخية الإستراتيجية المتمثلة في توفير الظروف لبروز التحديث من الداخل(**ناجي، س:** 121).

إن هذا الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه المعرفة الاجتماعية في خدمة المجتمع وتطويره والرقي به، جعل العديد من الباحثين والمهتمين بالشأن الاجتماعي يؤكدون على أن تدريس العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، يمثل استثمارا حقيقيا وإن صعب تقديره أو تبيين مجالات تصريف مخرجاته، ويمكن التذكير بما وصلت إليه عوائد المنتجات الثقافية في البلدان المتقدمة من أرقام فاقت المداخيل االسلعية الأخرى.

كما تعتبر المعرفة الاجتماعية محور التغير الاجتماعي والنمو الاقتصادي لأنها بمثابة المحرك لعمليات التغير والتنمية والمحدد والمؤثر على فاعلية وكفاءة مختلف العناصر التي تتشكل منها العملية الإنتاجية.

ولهذا يرون أن الوصول إلى جودة المعرفة الاجتماعية وتطور التعليم في هذه المجالات يساهم في توعية الإنسان وترقية نظرته إلى العلم من حوله ويدفع إلى الكشف عن مناطق وجوانب جديدة سرعان ما تنعكس ثمارها على الخدمات والرفاهية الإنسانية(**زمام، ن، و مليكة، ج، 2008: 97**).

رابعا– تأثير معايير التوجيه الجامعي على اكتساب جودة المعرفة داخل أقسام علم الاجتماع:

يتوقف اكتساب المعرفة السوسيولوجية على مجموعة من الخصائص والمواصفات التي يرى الباحثون في علم الاجتماع أنه ينبغي توفرها في طلاب هذا التخصص حتى تكون لديهم المقدرة على التعامل مع رموز هذا العلم، وأنه دون هذه المهارات الفنية والمواصفات العقلية والعلمية يبقى طلاب علم اجتماع دون المستوى المطلوب وغير قادرين على اكتساب معرفة سوسيولوجية نوعية، أو حتى القدرة على القيام ببحوث ودراسات يمكنها تقديم إضافات للمعرفة العلمية والمساهمة في خدمة المجتمع، ولذلك يشدد علماء الاجتماع على ضرورة مراعاة هذه الخصائص في عملية توجيه وانتقاء الطلبة لأقسام علم الاجتماع، فمدير مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة الذي أنشأ خصيصا من أجل المساهمة في تشخيص المشاكل التربوية لمختلف المستويات التعليمية ومنها المعرفة الجامعية وبالأخص السوسيولوجية منها، البرفسور نورالدين زمام يؤكد على أنه لا يمكن تحسين المستوى العلمي مع إغفال حقيقة أن الطلبة هم مدخلات العملية التعليمية برمتها، مما يفرض وضع مقاييس مضبوطة لانتقاء الطلبة وتوجيههم(**زمام، ن، و مليكة، ج، 2008: 95**).

ومن بين أكثر المجالات التي تجعل من المعرفة الاجتماعية معينا ومساهما في تحديات التنمية، هي دون أدنى الشك ميدان البحث التجريبي الذي يعمل على تشخيص الظواهر الاجتماعية والكشف عن عللها مما يسمح من وضع خطط وسياسات لعلاجها، تجنب المجتمع مشاكل تقف عائقا أمام جهود التنمية.

ومن أجل القيام بهذه البحوث التجريبية المستندة أساسا إلى الخلفية السوسيولوجية، يحتاج الباحث الاجتماعي إلى التفكير من زاوية فلسفة العلوم في العلاقة التي تربط البحث التجريبي بالإشكالية النظرية في الإطار الأوسع لشروط إنتاج المعرفة العلمية...لأن التفكير من زاوية فلسفة العلوم يسمح لأسباب عديدة من خلال طرحه لمسألة شروط إنتاج المعرفة العلمية، بتصور الطرح السليم لشروط تلقين هذه المعرفة(**ناجي، س: 145**).

إضافة إلى مهارة التفكير السوسيولوجي يحتاج طالب علم الاجتماع من أجل التعامل مع البحوث والدراسات الميدانية إلى استيعاب مهارات الإحصاء الوصفي والاستدلالي التي تمكنه من حسن التعامل مع مجتمع وعينة

البحث موضوع الدراسة بأكثر صرامة منهجية، وذلك من خلال اختيار نوع العينة وحجمها وتوزيعها واختبار فروضه وقياس صدق الأداة المعتمدة في جمع المعطيات.

كما تمثل النصوص الأساسية للمعرفة السوسيولوجية إحدى أهم مصادر جودة المعرفة الاجتماعية، وهي النصوص التي لا يمكن التعامل معها أو استيعابها دون التحكم في لغاتها الأصلية التي كتبت بها، أما الترجمة لهذه النصوص على قلتها وندرتها إلى اللغة العربية، فإنه يفقدها الكثير من قيمتها، هذا إذا لم تحريف معناها بالكامل، خاصة وأنّ ترجمة كثير منها يفتقد إلى الصرامة المنهجية بسب أن القائمين بهذه الترجمات يفتقدون إلى التخصص، مما يجعلهم غير قادرين على التحكم في مفاهيم هذا العلم، حيث نجد أن أطباء ومحامين ومهندسين وغيرهم يعملون على ترجمة نصوص سوسيولوجية، كما نجد أن أعمالا ترجمة عن لغة وهي أصلا ليست لغتها الأصلية، فكم من مؤلف سوسيولوجي ترجم من الانجليزية وهو في الأصل كتب بالإيطالية أو الاسبانية أو حتى اللاتينية.

ومن مخاطر هذه المراجع على اكتساب جودة المعرفة هو التشويش على عقول المتكونين في علم الاجتماع، وتشويه المفاهيم والأطروحات العلمية.

ولقد أكّدت إحدى الدراسات السوسيولوجية التي أجريت حول الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي، أن الباحث الذي يتقن لغة وحيدة (اللغة العربية) لا يستطيع التعرف على الرموز والقواعد الدلالية التي تمنح مرجعية ومعنى لمفاهيم ذلك الخطاب لا تستطيع لغة أخرى غير التي صنع بها أن تقوم مقامها(دناقة، أ، 2010 :174).

فالتفكير من زاوية فلسفة العلوم أو من ابستومولوجيا علم الاجتماع والتحكم في تقنيات البحث الاجتماعي الميداني، واستيعاب النصوص والنظريات الأساسية من خلال اللغات التي كتبت بها، تمثل أهم المهارات التي تستوجبها اكتساب معرفة سوسيولوجية نوعية، وينبغي توفرها في طلبة قسم علم الاجتماع، وهو ما لا يتوافق مع المعايير التي تشترط في الانتساب لهذه الأقسام، الأمر الذي يجعل المعرفة الاجتماعية أمام ورطة ضعف المدخلات.

ففي دراسته النقدية لمسار علم الاجتماع في الجزائر يبين الدكتور جمال معتوق بأن أغلبية الطلبة الوافدين إلى أقسام علم الاجتماع، ليسوا من الطلبة المتفوقين أو ذوي المستوى العالي ولا حتى المقبول، بل الضعفاء والذين وجدوا جميع أبواب التخصصات الأخرى مغلقة في وجوههم.

وإضافة إلى الطلبة الموجهين من البكالوريا يجد الطلبة الفاشلين دراسيا في تخصصات أخرى ملاذا آمنا في قسم علم الاجتماع لكي تشيلهم من الضياع الجامعي، ولذلك نجد نسبا معتبرة مثلا من الذين فشلوا في تخصصات كالتكنولوجيا والحقوق والاقتصاد والأدب العربي وغيرها من التخصصات يقدمون ملفات للتحويل إلى علم الاجتماع وهذه الملفات تقبل دون أي دراسة تراعي ما يتطلبه التخصص من معايير تم ذكرها، فقط من أجل ضمان الكم في كل سنة على حساب النوعية(معتوق، ج، 2007 :24).

يضاف إلى الجحافل من الطلبة الفاشلين في باقي التخصصات الجامعية الأخرى وذوي المستوى المحدود من القادمين من التعليم الثانوي، الطلبة الذين وجّهوا إجحافا أو أخطئوا في اختيارهم لشعب الدراسة نتيجة نقص

الموارد الإعلامية حول التعليم العالي ومجالاته، ففي دراسة حول موجهات اختيار التخصص لدى الطالب الجامعي بينت أن (40% من أفراد العينة أقروا بأن اختيارهم لشعبة العلوم الاجتماعية كان بالخطأ لاعتقادهم بأن العلوم الاجتماعية هي التاريخ والجغرافيا وأن العلوم الاجتماعية تؤدي إلى الإعلام والاتصال لاحقا لاعتقادهم أن علم اجتماع الاتصال هو الإعلام والاتصال)(**بوشي، ف، وسيكوك، ق، 2015 :138)** ، والكل يعلم العلاقة الموجودة بين الدافعية نحو التعلم ورغبة الطالب، فعندما يتعارض المشروع الدراسي للطالب مع رغباته وميوله فإنه يفقد الرغبة في دراسة التخصص مما يؤثر سلبا على اكتسابه لجودة المعرفة.

ويتعدّى تأثير التوجيه على اكتساب جودة المعرفة داخل أقسام علم الاجتماع التوجيه الجامعي إلى التوجيه المدرسي الذي يتعرض له التلاميذ خلال مرحلة التعليم الإعدادي أو المتوسط من أجل الانتقال إلى التعليم الثانوي، من خلال تصنيف التلاميذ إلى تلاميذ متفوقين يوجهون إلى الفروع العلمية والتكنولوجية وتلاميذ ضعفاء يحشرون لملأ الفروع الأدبية، حيث بينت التجربة السابقة لنا كمستشارين للتوجيه المدرسي حجم التأثير الذي يمارسه التوجيه على مستقبل التلاميذ وجودة المعرفة فيما بعد خاصة بالنسبة للأقسام التي تتغذى من الفروع الأدبية.

كما بينت لنا هذه التجربة أنا العلوم الاجتماعية لا تدخل أبدا ضمن الخطط التنموية للسياسة العامة للدولة عكس الفروع العلمية والتقنية، حيث تعمل المناشير والقرارات الوزارية المنظمة لعملية التوجيه المدرسي على تكريس هذه النظرة التصنيفية من خلال العملية المعروفة في سلك التوجيه بسياسة التحجيم، وهي السياسة التي تلزم مستشاري التوجيه على توجيه ما نسبته 70% من التلاميذ المنتقلين إلى الطور الثانوي إلى الجذوع العلمية و30% من التلاميذ إلى الفروع الأدبية، مع العلم أن هذه النسبة في الغالب ما تكون أكبر لصالح الفروع العلمية، وذلك بسبب الضغوط الممارسة من طرف مديري المدارس والأولياء الذين أصبحوا لا يرون في التعليم الأدبي يلبي لهم طموحهم وطموح أبنائهم المهني والاجتماعي، وذلك كله راجع إلى الخطاب السياسي الذي يضع تصنيفا واضحا بين الفرعين من جهة وإلى النظرة المادية التي أصبحت تسيطر على المجتمع في الوقت الحالي.

كما بينت التجربة التي مررنا بها في سلك التوجيه أنّ التلاميذ الذين يوجهون إلى الأقسام الأدبية كما أشرنا سابقا هم في الحقيق التلاميذ الذين لم يحصّلوا شهادة التعليم الأساسي، وإنما حققوا التحاقهم بالطور الثانوي عن طريق معدل القبول، وهو المعدل 10 فما فوق الذي يحصل عليه التلميذ الراسب في امتحان الشهادة من خلال حساب معدّله خلال العام الدراسي مضافا إليه معدل الشهادة، وأهم مميزات هذا الصنف من التلاميذ أنهم من التلاميذ المتقدمين في السن والذين سبقت له الإعادة أكثر من مرة وبمؤهلات علمية ضعيفة، ولا تسمح لهم علاماتهم بالحصول على مقاعد في التعليم التكنولوجي.

وإضافة إلى هذا الصنف من التلاميذ هناك صنف التلاميذ الذين يعادوا توجيههم في السنة الأولى، حيث يقوم هؤلاء التلاميذ بالتردد على مكتب مستشار التوجيه عند نهاية وبداية كل سنة من أجل طلب إعادة توجيههم إلى الفرع الأدبي بسبب فشلهم في دراسة التخصص العلمي ولم يعد بمقدورهم مواصلة الدراسة.

فكيف بتلاميذ يحملون هذه المواصفات والمؤهلات العلمية الضعيفة سيعملون فيما بعد عند حصولهم على البكالوريا على تغذية مختلف الفروع والتخصصات الاجتماعية والأدبية أن يتمكنوا من اكتساب معرفة بجودة نوعية، ولذلك نجد أن أغلب طلبة علم اجتماع في غالب الأحيان لا يتمكنون من استيعاب دروس مقياس الإحصاء الوصفي مثلا نظرا لتكوينهم المتواضع في المواد العلمية خلال مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، ونفس الأمر ينطبق على اللغات الأجنبية التي يعتبر حظ التلاميذ منها في هذه المرحلة التعليمية قليل جدا خاصة بالنسبة للطلاب الوافدين من المناطق الداخلية والجنوبية، وهو ما تؤكده أحدى الدراسات التي أشارت إلى أنّ (الضعف في اللغة يتعدّي منظومة التعليم العالي إلى منظومة ما قبل التعليم العالي، فمخرجات ما قبل التعليم العالي أصبحت تؤثر سلبا على التعليم العالي من حيث ضعف تكوينها في مجال اللغات) (**دناقة، أ، 2010 :122**).

علما أنّ الطلبة المتفوقين أو الذين حصّلوا معدلات مقبولة في شهادة البكالوريا لا يضعون تخصص علم الاجتماع كأولوية في اختياراتهم، بل إن غالبيتهم يفضل المدارس العليا للأساتذة وتخصصات اللغات الأجنبية والحقوق وكليات الإعلام.

ونعتقد أنّا هذا التأثير أو التصنيف الذي تمارسه عملية التوجيه ليس تصنيفا اعتباطيا وإنما يرجع إلى مجموعة عوامل ساهمت فيه، أبرزها المكانة التي يحظى بها علم الاجتماع في الوطن العربي، حيث يعاني من وجود أزمة ثقة مع تنظيمات مختلف المؤسسات الرسمية بعكس ما يحصل في الدول الأوروبية المتقدمة صناعيا، حيث لا تزال المؤسسات الرسمية في الوطن العربي تتجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير الإيجابي في ما يخص التحولات الجارية في المجتمع(**بوقرة، ك، وهمال، ع،2016:238**)، كما يلعب الخطاب السياسي الذي يعتبر العلوم الاجتماعية علوما ثانوية بالمقارنة مع العلوم الأخرى التي توصف بالنبيلة، دورا حاسما في التأثير الذي تمارسه معايير التوجيه على اكتساب جودة المعرفة الجامعية داخل أقسام علم الاجتماع.

خاتمة:

تلعب المعرفة الاجتماعية دورا كبيرا في توجيه وتعبئة الطاقات البشرية نحو الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لأي جهد تنموي، وهو الأمر الذي استطاع أن يدركه فلاسفة النهضة الأوروبية خلال رسمهم لخارطة أوروبا من أجل النهوض والتقدم، وهو ما يتطلب زيادة الاهتمام بهذه العلوم والدور الذي يمكن أن تحققه داخل المجتمعات النامية أو السائرة في طريق النمو.

وتتجلى أبرز صور هذا الاهتمام في توفير الشروط الأساسية التي تمكّن العلم الاجتماعي من التأسيس للمعرفة الاجتماعية، إضافة إلى إزاحة العراقيل والصعوبات التي من شأنها أن تعيق تقدمه وعمله.

ويقف التوجيه الجامعي الناجع كأحد الشروط التي ينبغي مراعاتها في الانتساب إلى أقسام علم الاجتماع، لأنه الشرط الوحيد القادر على إمداد هذه الأقسام بالمدخلات اللازمة لإنتاج جودة المعرفة الاجتماعية ودون الوفاء بهذا الشرط ستبقى المعرفة الاجتماعية حبيسة مدخلات ضعيفة لا يمكن معها أبدا الحديث عن جودة المعرفة الاجتماعية.

مراجع البحث:

1- ابن منظور.(1984) لسان العرب: ج2. القاهرة. دار المعارف.

2- الإبراهيمي، مكي فرحان. (2012، 25-28 أفريل). معايير وتطبيقات إجرائية مقترحة لتطوير وحدة ضمان الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي. بحث مقدم في المؤتمر الدولي حول تكامل مخرجات التعليم، عمان. الأردن.

3- إبراهيم، أحمد أحمد.(2003). الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية. الإسكندرية. دار الوفاء.

4- بوقرة، كمال. وهمال، عبد المالك.(جوان2016). علم الاجتماع في الوطن العربي النشأة والتطور، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، (16)، جامعة الوادي، ، ص(228-238).

5- بوشي، فوزية. وسيكوك، قويدر.(2015). موجهات اختيار التخصص لدى الطالب الجامعي، مجلة الحوار الثقافي . جامعة مستغانم.

6- براون، سالي وآخرون.(1997) معايير تقويم جودة التعليم لدى المدرسين. ترجمة أحمد مصطفى. لبنان. دار البيارق.

7- دناقة، أحمد.(2010). الأستاذ الباحث وواقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي، رسالة ماجستير. قسم علم الاجتماع. جامعة ورقلة. الجزائر.

8- دخيخ، صالح. (2012، 25-28 أفريل). معايير وتطبيقات إجرائية مقترحة لتطوير وحدة ضمان الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي. بحث مقدم في المؤتمر الدولي حول تكامل مخرجات التعليم، عمان. الأردن.

9- زمام، نورالدين. مليكة، وجابر. (25-26 نوفمبر 2008). ضمان جودة التعليم العالي في ميدان العلوم الاجتماعية، بحث مقدم للملتقى البداغوجي 4. ضمان جودة التعليم العالي. المبررات والمتطلبات. جامعة بسكرة. الجزائر.

10- زغنية، عمار.(2006). التوجيه المدرسي والجامعي، أطروحة دكتورة ، قسم علم النفس، جامعة قسنطينة، الجزائر.

11- حلاوة، جمال.(أفريل 2000). دور البحث العلمي في دعم التنمية المستدامة، أماراباك مجلة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم التكنولوجية، (2).(4). 8-22.

12- طعيمة، رشدي أحمد وآخرون.(2009). الجودة الشاملة في التعليم، عمان، دار المسيرة.

13- مساك، يمينة (جانفي 2009)، علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين البرامج الأكاديمية والواقع الاجتماعي، دفاتر المخبر، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة بسكرة، (4).

14-معتوق، جمال. (جانفي 2009). قراءة نقدية لواقع علم الاجتماع بالجزائر، دفاتر المخبر، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة بسكرة، (4).

15-معتوق، جمال.(2006). علم الاجتماع في الجزائر، ط2، الجزائر.

16-معتوق، جمال. (2007). السوسيولوجية الكلونيالية من أجل قراءة نقدية جديدة، مجلة أفاق لعلم الاجتماع، (1)، البليدة، 5-17.

17-ناجي، سفير. محاولات في التحليل الاجتماعي، ترجمة، بن ناصر، ج1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

18-النجار، فريد.(1999). إدارة الجامعات بالجودة الشاملة. مصر. إينراك للنشر.

مواقع الانترنت

19- شهيب، محمد على وآخرون. تقيم جودة العملية التعليمية في كلية التجارة، استرجع بتاريخ (20 مارس) 2017: شبكة الإستراتيجية http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post_19.html .

مناشير وزارية:

20-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.(2012-2013.)منشور رقم 02 مؤرخ فى03 رجب 1433هـ، الموافق ل24 مايو 2012 المتعلق بالتسجيل الأولي وتوجيه حاملي شهادة البكالوريا للسنة الجامعية، الجزائر.

21-القانون رقم 11-98 المؤرخ في 22 ربيع الثاني عام 1419 الموافق ل22 أوت 1998، القانون التوجيهي والبرنامج الخماسي حول البحث العلمي والتطوير التكنولوجي1998-2002 المعدل والمتمم للمادة17.

تاريخ الاستلام: 2017/03/15- تاريخ التحكيم: 2017/05/28 -تاريخ النشر2017/06/30

الريادة التنموية لرأس المال البشري في ظل تحديات القرن الواحد والعشرين.

د.زبير عياش، جامعة أم البواقي، الجزائر
أ. رشيد بوخالفة ، جامعة جيجل ، الجزائر
أ.زينب ڤريوة، جامعة سكيكدة، الجزائر

الملخص:

تحظى الموارد البشرية بأهمية بالغة في التنظيمات الحديثة باعتبارها رأس مال فاعل وقادر على الإبداع والابتكار بالنظر إلى جملة المهارات ،والخبرات ،والمعرفة التي يتميز بها ، ويعد رأس المال البشري مصدرا لقيمة مضافة بالنسبة للتنظيمات الحديثة إذا ما توفرت له الشروط الهيكلية والزبونية، والظروف المناسبة لخلق مزايا تنافسية وتدعيمها في ظل مؤشرات الجودة والكفاءة والإبداع ،فكلما استجابت المخرجات التنظيمية لمعايير الجودة والكفاءة ومتطلبات البيئة الاقتصادية والاجتماعية كلما ساهمت في التنمية بصفة مباشرة .

الكلمات المفتاحية: رأس المال البشري، التنمية البشرية، التنمية المستديمة ، الميزة التنافسية.

Abstract :

Human resources are of paramount importance in modern organizations because they are a creativity and innovation actor, providing a number of skills, experience and knowledge that characterize human capital as a source of Added value for modern organizations if they had the right conditions to create competitive advantages and quality enhancement, subject to the existence of innovation indicators that meet regulatory standards of quality, efficiency and Requirements of the economic and social environment that enable organizations to contribute directly to development

Keywords: sustainable development, human development, human capital.

مقدمة:

يعد مفهومي رأس المال البشري والتنمية مجالا لتقاطع العديد من النظريات والأدبيات التنظيمية سواء في مجالها الاقتصادي أو الاجتماعي وحتى السياسي ، فحيث أن الهدف الأساسي والصحيح للعلم هو خدمة الإنسانية فإن كل الأبحاث والدراسات الإدارية والتنظيمية ترتكز بالأساس على سبل تحقيق جودة الحياة العملية وتحسين مستوى المعيشة من خلال مؤشرات الأداء الجيد والحوكمة الاجتماعية ، ومع الحركية المتسارعة في مجال منظمات الأعمال والتنظيمات الحديثة أصبحت هذه الأخيرة في مواجهة مع غيرها من المؤسسات في ظل التنافس على معايير الجذب سواء بالنسبة للطاقات البشرية أو بالنسبة لتسويق المخرجات التنظيمية وكسب العملاء ، وهنا

أصبحت الموارد البشرية هي مرتكز التنمية على الصعيد الآني والمستديم، فالتنمية المستدامة تعني العدالة الاجتماعية بين حرية الاستفادة من الموارد المتوفرة بالنسبة لأجيال المستقبل و أجيال الحاضر ، وهو ما يعني أن الاستدامة هي احد أهم استراتيجيات التنمية البشرية .

أولا: الإطار المفاهيمي :

1-رأس المال البشري:

هو مجموعة من المهارات والقدرات والإمكانيات والخبرات التي يمتلكها الفرد او يكتسبها وتمكنه من المشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتي يمكن تحسينها من خلال الاستثمار في التعليم والرعاية الصحية والتدريب وغيرها من أشكال الاستثمار الأخرى (البراهيمي،ن، 2013، ص4)

إن رأس المال البشري إذن يتعلق بمدى الاستعداد الفطري والمكتسب للموارد البشرية اتجاه الإبداع والابتكار في أساليب العمل والتفكير، في ظل ما يمكنه أن تضيفه عمليات الاستثمار قصد توفير حاجاته الأساسية و رعايته بالتالي تحفيز الروح المعنوية والرغبة والقدرة على الانجاز.

2-الميزة التنافسية:

هي القدرة التي تتفوق بها المنظمة عن باقي المنظمات وتسمح لها بأداء أنشطتها بكفاءة وفاعلية أكثر مقارنة بالمنافسين،وبالتالي جني الأرباح ،وتحقيق البقاء في عالم الأعمال، وجوهرها هو الإبداع ،وخلق القيمة للزبون تفوق القيم التي يحققها المنافسون (فرحاتي، ل،2016،ص152)

يبدو هنا جليا أن هذه المزايا ترتبط مباشرة بطبيعة المدخلات التنظيمية والعمليات المنفذة لتحوليها لمخرجات ذات جودة عالية نتيجة ظروف العمل وإمكانات الإبداع للمؤسسة والعاملين فيها، وسمعة طيبة في السوق نتيجة رضا العملاء فهي بمثابة رأي مال استراتيجي للشركة غير قابل للتقليد يضمن بقاءها في عالم متغير شديد المنافسة.

3-التنمية المستدامة:

عقدت الأمم المتحدة ثلاث مؤتمرات دولية ذات علاقة بالتنمية الأول في ستوكهولم عام 1972 تحت اسم مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والإنسان ،والثاني في ريو ديجانيرو عام 1992 تحت اسم مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية والثالث انعقد في جوهانسبورغ سنة 2002 تحت اسم مؤتمر الأمم المتحدة حول التنمية المستدامة ،ويدل تغير أسماء المؤتمرات على تطور مفهوم التنمية المستديمة ،وزيادة استيعاب العالم للعلاقة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش ويمارس نشاطه فيه .(البراهيمي، ن،2013، ص26)

ويقصد بمضمون التنمية المستدامة هو الترشيد في توظيف الموارد المتجددة بصورة لا تؤدي إلى تلاشيها أو تدهورها أو تنقص من فائدة تجنيها أجيال المستقبل ،كما أنها تتضمن الحكمة في استخدام الموارد التي لا تتجدد بحيث لا تحرم الأجيال القادمة من الاستفادة منها (التنمية المستديمة في الوطن العربي،2006 ،ص40)

ثانيا: جودة الحياة العملية للموارد البشرية وتأثيرها على نوعية المخرجات التنظيمية بالمؤسسة:

تعد الموارد البشرية فاعلا استراتيجيا في كل العمليات الإدارية والتنظيمية باعتباره المصمم لأساليب العمل تحسين معدلات الأداء وجودة مخرجاته بالإضافة لكونه المنفذ والمطبق لهذه السياسات ،ولقد أكد اغلب منظري الإدارة والاقتصاد أن نجاح المؤسسة وتحقيق أهدافها يتوقف على مؤشرات الرضا والانتماء لدى موظفيها ،فلكما كانت ظروف العمل جيدة كلما ساهم ذلك في انضباط العمال وتحسن أدائهم ، وبالتالي فالموارد البشرية تعد ثروة حقيقية قادرة تحقيق التميز وتحظى بأهمية كبرى اسبق حتى من باقي الموارد المادية والمالية الأخرى.

" فالموارد البشرية هي التي تؤدي الأعمال وتسعى إلى تحقيق مختلف العائدات والنتائج وتؤدي إلى التطور والتقدم لمنظماتها ودولها-وعلى ذلك تعمل منظمات الأعمال وغيرها من الجهات إلى جانب الدولة على إعطاء الأولوية لإدارة وتنمية الموارد البشرية حتى تصبح أكثر قدرة على مواجهة المواقف والتعامل بإيجابية واحترافية مع التأثيرات الناتجة عن المتغيرات المؤثرة داخليا أو خارجيا .(الموارد البشرية الفكرية ،2012، ص55).

إن هذا يعني إن الأفراد يجب أن يعاملوا باعتبارهم طاقة خام تمتلك قوى خارقة للتكيف وإيجاد حلول للمشاكل والابتكار في حالة توافر البيئة المناسبة والإمكانات اللازمة."إن الإبداع مرتبط بالذكاء والفطنة وسرعة البديهة ،ويرتكز على قاعدة معرفية عريضة وتعبر عن نزعة التفوق ،والاستعداد الفطري الذي يتمتع به الفرد ، والذي ينمى بالتدريب والتعليم ،واهم ما يؤدي إلى نجاحه توافر المعلومات واستخدامها ، فالمجتمع والمنظمة المبدعين يعشقان المعرفة ويوظفان الحواس للتعلم ،وبما يجعلهما محفزين لتوظيف المعرفة من اجل الإبداع ،كما يسعى إلى اكتساب المعرفة الجديدة باستمرار لتعزيز الإبداع."(بن ثامر، ك و ، فراحتية ، ا ، 13و14 ديسمبر2011،ص10)

ويأتي دور إدارة الموارد البشرية كأحد أهم الأدوار في مجال تنمية رأس المال البشري الفكري ،وبالتالي الحصول على مخرجات تتسم بالجودة والكفاءة والقدرة على التنافس وذلك من خلال: (الموارد البشرية الفكرية 2012،ص ص، 95،96)

-تصميم وتحليل الوظائف بالشكل الذي يحقق الإثراء الوظيفي ، وبما يضمن إثارة التحدي لدى العاملين نحو انجاز مهام ابتكاريه .

-وضع خطة دقيقة طويلة الأجل لاحتياجات المنظمة من الموارد البشرية ذات القدرات الإبداعية والابتكارية .

-تهيئة المناخ لتنظيم فرق عمل بحثية تكون مسؤولة عن عمليات الإبداع والابتكار في المنظمة.

—إعداد برامج تدريبية غير تقليدية تساهم في تنمية مهارات العاملين وقدراتهم والابتكارية ،بما يؤدي في النهاية إلى تحقيق ما يسمى بالتراكم المعرفي .

-تصميم نظام فعال للأجور والحوافز والمكافآت يساهم في تشجيع المبدعين.

-توفير المتطلبات اللازمة للتعلم الذاتي والاستفادة من التجارب العالمية في مجال التعلم التنظيمي .

-التركيز على تطوير الموارد البشرية في الأجل الطويل وعدم الاقتصار على عمليات التدريب والتعليم مع ضرورة الاستفادة من الخبرة العالمية من خلال التربصات وإرسال العاملين في دورات تدريبية نحو الخارج والتوأمة بين المؤسسات.

-يجب أن تقوم إدارة الموارد البشرية بدور حيوي في زيادة إدراك الإدارة العليا لأهمية تأمين بيئة العمل وحماية الأفراد ذوي القدرات الإبداعية والابتكارية المتميزة .

-بناء نظام فعال لمكافأة وتحفيز العمل الابتكاري الذي يتسم بالمخاطرة وعدم التأكد .

-بناء وتصميم نظام لتقييم الموارد البشرية المتميزة يعتمد في المقام الأول على الرقابة الذاتية.

إن المؤشرات السابقة تمكننا من وجه آخر من قياس مدى جودة الحياة العلمية داخل المؤسسات باعتبارها مرتكز أساسي للحصول على مخرجات تستجيب للأهداف التي وجد من أجلها التنظيم ،حيث لابد أيضا أن تؤخذ الهيئات الإدارية العليا مسؤولية الاستجابة لاحتياجات البيئة الخارجية والتكيف مع المتغيرات العالمية التي تجعل من العلم والتكنولوجيا سبيلا لترقية الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد "فأتمتة إجراءات الموارد البشرية يمنح موظفي الموارد البشرية القدرة على انجاز المزيد من المهام بفاعلية اكبر ...حيث يتم التعامل مع أعباء العمل الجديدة من خلال ابتكار عمليات وإجراءات جديدة وغالبا ما يتوافق ذلك مع تطبيق تقنيات جديدة...، وتتطلب جهود التغيير المعقد إتباع نهج صارم لإدارة برنامج التحديث ، بهدف تتبع أهم الانجازات والارتباطات ،ولاستخلاص كبار القادة للمعلومات الهامة التي يحتاجونها لاتخاذ القرار في وقت مبكر بشكل كاف لإحداث التغيير. (إدارة التغير في القطاع العام ، نوفمبر2014، ص ص، 8،15)

تعمل الخطط السابقة على تنمية المواطنة التنظيمية لدى الموارد البشرية العاملة بالمؤسسة حيث يتوفر المناخ التنظيمي الداعم في إطار المشاركة في اتخاذ القرارات والمرونة في الاستجابة للتغيرات والأحداث والتقييم الموضوعي للأداء والعدالة والإحساس بالمسؤولية والتميز في ظل الاتصال المفتوح والفعال ، وغياب عوامل الاغتراب التنظيمي من روتين إداري ومركزية التسيير ...وكلها عوامل تتداخل لتقدم بدورها تغذية عكسية تعبر عن وجود بيئة أنسب لتحقيق أهداف المؤسسة وتلبية احتياجات العاملين داخليا والمتعاملين خارجيا .

ثالثا: الدمج بين رأس المال الفكري والبشري لتحقيق المزايا التنافسية:

إن رأس المال البشري كأحد مكونات رأس لمال الفكري يعد واحدا من أكثر الموارد أهمية التي تعتمد عليها الشركات والمنظمات عامة لتحسين الكفاءة وبالتالي تحقيق مزايا تنافسية ويمثل رأس المال البشري ما لدى الشركات من الموظفين ذوي المهارة وما لديهم من معارف وفلسفات إدارية تساعد المنظمة على تحسين الأداء.(الموارد البشرية الفكرية ،2012،ص81)،حيث يتمثل رأس المال البشري بالأساس في جملة المهارات والخبرات والمعارف التي تمنح الفرد فرصا للابتكار في ظل الهيكل التنظيمي المناسب ومناخ العمل المشجع لخلق مزايا تنافسية بناءا على توافر مؤشرات الجودة في الأداء والكفاءة في العمل والإبداع التنظيمي وإدارة المعرفة استجابة للتغيرات المحيطة في بيئة الأعمال وحتمية تعزيز القيم التنافسية ."إن المعرفة عملية معقدة ومرتبطة بالعقل الإنساني ولا يمكن أن تضمن بمفردها استخدام الفرد أو المنظمة لها استخداما صحيحا لحل المشكلات أو تحسين الإنتاج أو تعزيز الميزة التنافسية للمنظمة ،ويبقى تجسيد الفجوة بين المعرفة والعمل تحديا إداريا مهما في إدارة المعرفة ،فالمعرفة هي ملك للعاملين ولكن المسؤولية تقع أولا وأخيرا على عاتق قيادة المنظمة في إيجاد ثقافة تشجع الإبداع والمشاركة في المعرفة .(بن ثامر، ك و فراحتية ، ا ، 13و14 ديسمبر2011، ص7).

ويشير كل من تومازكارتر وباربارا كارتل (2009) إلى أن عملية تكوين وبناء المزايا التنافسية من أجل المنافسة والتميز تتطلب مصادر معينة... و تمت الإشارة في أدبيات الإدارة الإستراتيجية إلى هذه الموارد في جانبين أولهما: العوامل الخارجية النابعة من بيئة المنظمة .وثانيهما:العوامل الداخلية حيث تكمن في موارد المنظمة وإمكاناتها وقدراتها والمعرفة وغيرها.وفي واقع الأمر تكون العوامل الداخلية أكثر أهمية في تحقيق المزايا التنافسية وفي رفع أداء المنظمة ،وعادة يتم تصنيف الموارد الخاصة بالعوامل الداخلية من زاوية موارد مادية ومالية وبشرية والموارد التنظيمية ،أو يمكن تصنيفها بدرجة اكبر من البساطة على أنها موارد ملموسة وغير ملموسة ،ويكاد يجمع الكتاب والباحثون على أن الموارد غير الملموسة (مواد بشرية وتنظيمية) أكثر ملاءمة وأهمية في تكوين وبناء الميزة التنافسية عن الموارد الملموسة (المادية والمالية) وذلك بالرغم من ضرورتها في القيام بالأداء وتحقيق نجاح المنظمة ولاشك أن من بين أهم مسببات تحقيق الأداء المتميز واكتساب مزايا تنافسية ترجع بشكل أساسي إلى رأس المال البشري والمعرفة إضافة إلى رأس المال الخاص بالعملاء وهما يشكلان المكونين الأساسيين في تكوين رأس المال الفكري البشري.(الموارد البشرية الفكرية ،2012،ص57) .

فلا يمكن الحديث عن مزايا تنافسية دون التأكيد على الدور الريادي للموارد البشرية في الأخذ بمتطلبات العمل الإداري والتنظيمي الجاد والمستجيب لعوامل التنمية الفكرية والبشرية في إطار المؤسسة وتداعيات البيئة الخارجية لسوق العمل والاستهلاك ف"القيمة الحقيقية لأي منظمة تكمن في رأس المال المعرفي آو رأس المال

الفكري البشري ،ويعني مصطلح رأس المال الفكري البشري المقدرة العقلية القادرة على توليد أفكار جديدة ومناسبة وتتمتع بمستوى عال من الجودة ،كما تمثل القدرة على تحقيق التكامل والتناغم بين مختلف المكونات والمتغيرات للوصول إلى الأهداف المنشودة للمعرفة المفيدة التي يمكن توظيفها واستثمارها بشكل فعال لصالح المنظمة ،كما يعني توافر المعرفة اللازمة والكفاءات والقدرات ذات الأهمية الكامنة في توليد القيمة وفي تحقيق التنمية والتطوير ويتم ذلك بشكل أساسي من خلال تحويل المعارف الضمنية في العقل البشري إلى معارف ظاهرة أو صريحة يستفاد بها.(الموارد البشرية الفكرية ،2012،ص75)

تستطيع المنظمة الاستمرارية في امتلاك الميزة التنافسية من خلال المعرفة لأنها المصدر الأساسي للميزة،وبالتالي على المنظمات أن تعرف كيف تمتلكها وكيف تديرها ،لأن ما ينتج عنها هو رأس المال الفكري ،وبالتالي تقوم بإدراك كيفية امتلاكه ،إدارته وقياسه، وتشبه العلاقة بين رأس المال الفكري والميزة التنافسية النظام ، مدخلاته هي مكونات رأس المال الفكري، أما المعالجة فتتمثل في تطبيق مبدأ(القيمة ،الندرة، صعوبة التقليد، الاستغلال الأمثل) على مكونات رأي المال الفكري، أما مخرجات النظام فتتمثل في امتلاك المنظمة لرأس مال فكري استراتيجي متميز، يشتمل على مكوناته المتمثلة في رأس مال بشري متميز، رأس مال هيكلي متميز، ورأس مال زبوني متميز،وعندما تحوز المنظمة على هذه المكونات تتمكن من تحقيق الميزة التنافسية المتمثلة في الجودة المتفوقة ،الإبداع المتفوق ،الكفاءة المتفوقة،والاستجابة المتفوقة.(فرحاتي، ل،2016ص151)

رابعا: التنمية البشرية كمتطلب ومؤشر للتنمية المستديمة:

بما أن التنمية البشرية هي إعادة الاعتبار للموارد البشرية والاهتمام بها كرأس مال قادر على الإبداع والابتكار وهو مصدر القيمة المضافة للمؤسسة ،في إطار مؤشرات الأنسنة والأخلقة للتنظيمات الإنتاجية الخدماتية في مقابل الإهمال الذي كانت تعاني منه سابقا وحظيت به الموارد المالية والمادية على حساب الفاعل الرئيسي والعلامة الفارقة في العملية التنموية ككل، فانه لابد من القول بان الموارد البشرية أصبحت أكثر تحديا وأكثر إبداعا خاصة في ظل التحديات العالمية والصعوبات التنظيمية التي تعاني منها مؤسسات القرن الواحد والعشرين لفرض وجودها حيث لابد أن تمتلك الموارد البشرية القيادية جملة من الخصائص والسمات التي تؤهلها لرفع راية التحدي لتحقيق أهداف المؤسسة وضمان الربحية وجودة العرض في ظل عالم يشهد صراعا متناميا حول من الأجود والأقدر على التكيف والبقاء وتلبية الاحتياجات الداخلية والخارجية ، ويمكن إجمال هذه المهارات اختصارا في الشكل التالي:

مهارات القرن الحادي والعشرين :

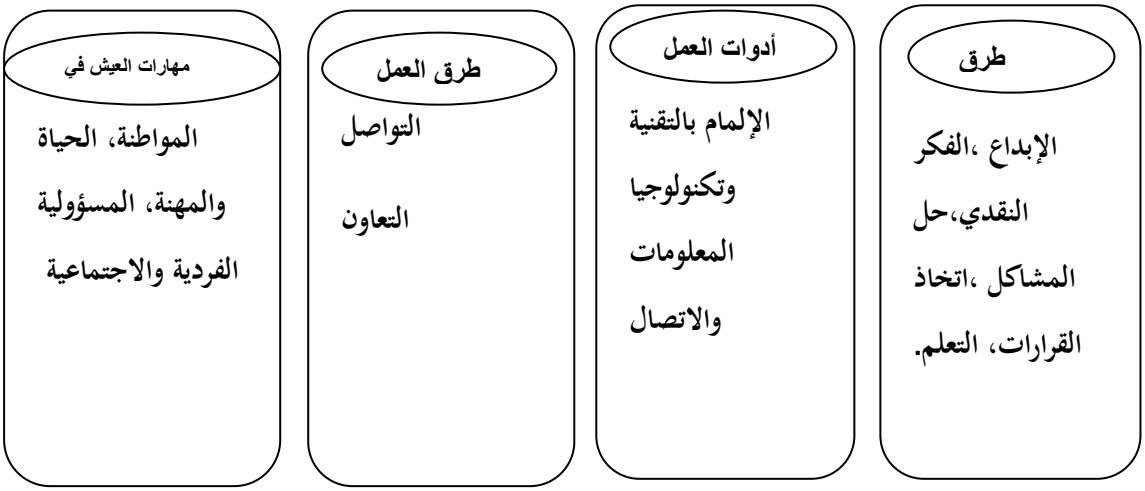

المصدر: تقرير التنمية البشرية 2016 ،ص23

"يركز تقرير التنمية البشرية لعام 2016 على كيفية تحقيق التنمية للجميع في الحاضر وف المستقبل وذلك بسرد انجازات التقدم البشري والتحديات والآمال ويستمد التقرير رؤية وأساسا ينبني عليه من خطة التنمية المستدامة لسنة 2030 التي أقرتها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وعددها 193 في العام الماضي وكذلك أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر التي التزم العالم بتحقيقها حيث تركز التنمية البشرية على ثروة الحياة وليس ثروة الاقتصاد.(تقرير التنمية البشرية 2016 ،ص11)

أبعاد التنمية البشرية :

1البعد الإنساني:

يهتم بتنمية قدرات الإنسان وطاقاته البدنية والعقلية ،النفسية ،الاجتماعية ، المهارية ...

2البعد التنظيمي:

يتصل باستثمار الموارد والمدخلات والأنشطة التي تولد الثروة لتنمية القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتطوير الهياكل والبنى المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى الناس.(البراهيمي، ن،2013،ص21)

ويدمج دليل التنمية البشرية المركب الأبعاد الأساسية الثلاثة للتنمية البشرية ، حيث يعكس متوسط العمر المتوقع عند الولادة القدرة على عيش حياة مديدة وصحية ،ويعكس متوسط سنوات الدراسة و العدد المتوقع لسنوات الدراسة القدرة على اكتساب المعرفة ،كما يعكس نصب الفرد من الدخل القومي الإجمالي القدرة على تحقيق مستوى معيشي لائق (تقرير التنمية البشرية2016،ص13)

وإذا كان الهدف تحقيق التنمية البشرية للجميع ،ينبغي أن يكون النمو شاملا، تدعمه أربعة أركان متآزرة هي استراتيجيات النمو الذي يحرك التشغيل والشمول المالي والاستثمار في أولويات التنمية البشرية ،والتدخلات المتعددة الأبعاد العالية التأثير التي تأتي بالمكاسب على الجميع (تقرير التنمية البشرية2016،ص21).

وترتبط إبعاد التنمية البشرية بأبعاد التنمية المستدامة ،فبرامج وخطط الارتقاء بالحياة الاجتماعية للأفراد تظهر في مستوى الحياة الاقتصادية التي يتمتعون بها، وفي دول العالم المتقدم حيث تزداد فرص الاهتمام بالأفراد والعمل على تنميتهم للمساهم بشكل فعال في ترقية المستوى المادي والمعنوي للحياة والرفاهية الاجتماعية تعبر عن معنويات مرتفعة تعكس الإحساس بالأمن والأمان البشري والرضا عن الظروف المحيطة ففي ظل هذه التغيرات لم تعد"مفاهيم التنمية في القرن الحادي والعشرين تركز على الجوانب الاقتصادية فحسب بل أصبحت فكرة ذات أبعاد متعددة تقوم على خمس دعائم أساسية كلها لازمة للتوصل إلى تنمية مستدامة:

***رأس المال:**

تخطيط اقتصادي عام حكيم وإدارة كآلية رشيدة.

***الممتلكات العينية:**

ملكية البنية التحتية من مباني وماكينات وطرق ومحطات توليد طاقة وموانئ.

***القوى البشرية:**

الصحة الجيدة والتعليم اللازم للحفاظ على سوق العمالة

***الرصيد الاجتماعي:**

حرفية الناس ومقدراتهم والمؤسسات والعلاقات والأعراف التي تشكل كفاءة وكمية التعامل الاجتماعي

***الثروة الطبيعية:**

الموارد الطبيعية التجارية وغير التجارية ، والخدمات البيئية التي توفر متطلبات الحياة (التنمية المستدامة في الوطن العربي... ،2006 ،ص6)

إن توافر كل هذه المقومات في وجود خطط إستراتيجية واقعية ترعاها المؤسسات الحكومية والخاصة من شأنه أن يضمن الاستدامة التنموية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي ، فرأس المال المالي لا يكفي في غياب الرأس مال البشري والفكري والثقافي والاجتماعي إذ أن التغيرات العالمية الناتجة عن العولمة والتقدم العلمي والتكنولوجي تقتضي :

-التحول التركيزي من النمو إلى التنمية ، لم يعد النمو الاقتصادي معيارا للسباق ،فالتوجه لحالي هو التنمية ، أي ترجمة النمو في واقع الشعوب، بحثا عن مصدر جديد للنمو ،ووجهته الجديدة هي الإنسان. وهنا يمكن القول ان التنمية تؤدي إلى النمو حيث عجز النمو أن يؤدي إلى التنمية.

- التحول النسبي من النظرة الكلية إلى النظرة الجزئية ومراعاة الخصوصيات الجزئية دون التغاضي عن التكامل مثل إنشاء مراكز للبحث و للتفكير والإبداع وللمتميزين.

-التحول من المركزية إلى اللامركزية ،بهدف إعطاء حرية ومرونة اكبر في النشاط دون الالتزام الحرفي بنموذج معين او سلطة عليا وهذا ما يمكن من استيعاب الخصوصيات في التخطيط والتنفيذ.

-التحول من كلية التكنولوجيا الى جزئيتها ،وهذا لأن التنمية تتطلب التركيز على مناهج البحث والمعرفة والابداع والتنوع .(موساوي، ع، ...ص ص،55،56).

ويمكن حصر متطلبات التنمية المستديمة فيما يلي :

-القصد في استهلاك الثروات والموارد الطبيعية

-سد الاحتياجات البشرية مع ترشيد الاستهلاك

-العناية بالتنمية البشرية في المجتمع.

-التنمية الاقتصادية الرشيدة.

-الحفاظ على البيئة.

-الشراكة في العلاقات الداخلية والخارجية

وتشير نظريات التنمية الاقتصادية إلى بأن تراكم رأس المال البشري محرك أساسي للنمو الاقتصادي ،كما ركزت الدراسات الحديثة للتنمية الاقتصادية على الاستثمار في العنصر البشري بوصفه مفتاحا للنمو الاقتصادي، حيث بينت وجود علاقة وارتباط بين النمو الاقتصادي وتراكم رأس المال البشري وان الاستثمار في هذا العنصر له اثر ايجابي على النمو الاقتصادي (الإنتاج ، التوظيف القطاعات الاقتصادية التقدم الاقتصادي).(البراهيمي، ن،2013،ص15)

" إن التنمية عملية متكاملة ، غير خاضعة في واقعها للتجزئة ، إذ ترتبط مكوناتها ارتباطا عضويا على عكس أدبيات التنمية المحشوة بالاتجاه الانفصالي والتجزيئي بين مختلف عوامل التنمية :اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية ، نفسية وروحية ، لابد من إدراك كلي لهذه العوامل في تفسير التنمية أو التخلف ، وغالبا ما يحدث الانفصال بين الاقتصادي وغير الاقتصادي وإغفال الهوية الاجتماعية للاقتصاد، وهذا ما أدى إلى عدم إدراك حقيقة النجاح او

الفشل ،،إذ أغفلت العوامل السوسيو ثقافية للتنمية ، فقد قلدنا الغرب ماديا ولكننا غفلنا عن الإعداد الاجتماعي –الثقافي اللازم لذلك .(موساوي، ع، ص56).

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه في هذه المقال يتضح لنا جليا العلاقة المتبادلة وثيقة الصلة بين الموارد البشرية ومسؤولية تحقيق أهداف المؤسسة ، والاستجابة للتحديات المسارعة مع بدايات القرن الواحد والعشرين الذي يتميز بارتفاع معايير الجودة والتميز ، ولهذا أصبح من الواجب على المنظمات والدول على حد سواء تسطير خطط إستراتيجية من اجل الاهتمام بالطاقات البشرية ، باعتمارها رأس مال تنافسي ذو علامة فارقة في بيئة الأعمال التي تتطلب الاستجابة لمعايير الحوكمة والمسؤولية الاجتماعية ذات المدى المتوسط والبعيد للحفاظ على وجودها واستدامة التنمية للأفراد والمنظمات والمجتمعات على حد سواء.

قائمة المراجع المعتمدة:

-إدارة التغير في القطاع العام ، نوفمبر2014، مجلة صدى الموارد البشرية، الهيئة الاتحادية للموارد البشرية الحكومية ، (1).

-البراهيمي، نادية، 2013، دور الجامعة في تنمية رأي المال البشري لتحقيق التنمية المستدامة، رسالة ماجستير،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير،جامعة فرحات عباس، سطيف1

-التنمية المستدامة في الوطن العربي...بين الواقع والمأمول،2006 ، نحو مجتمع المعرفة،سلسلة دراسات يصدرها مركز الإنتاج الإعلامي، الإصدار الحادي عشر ،،جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

-الموارد البشرية الفكرية :الثروة الحقيقية لمجتمعات المعرفة،2012، نحو مجتمع المعرفة، سلسلة يصدرها مركز الدراسات الإستراتيجية ، الإصدار الثلاثون ،جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

-بن ثامر ،كلثوم ، فراحتية، العيد،2011، 13و14 ديسمبر، الاستثمار في رأس المال البشري وأثره على ادارة الإبداع في المنظمات المتعلمة، دراسة حالة مجموعة عنتر تراد لأنتاج الالكترونيات بولاية برج بوعريريج ،مداخلة مقدمة للملتقى الدولي حول: رأس المال الفكري في منظمات الإعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة ،بجامعة الشلف

-تقرير التنمية البشرية 2016: تنمية للجميع ، صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

-فرحاتي، لويزة ،2016،دور رأ المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية في ظل اقتصاد المعرفة ،أطروحة دكتوراه ،قسم علوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة

-موساوي، عبد الله، دور الدولة في التنمية البشرية في البلاد النامية في ظل العولمة ، مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا،(6).

تاريخ الاستلام: 2017/03/08- تاريخ التحكيم: 2017/04/08 - تاريخ النشر2017/06/30

تحليل الفعالية اللغوية لدى ثنائيي اللغة:دراسة مقارنة لدى تلاميذ الطور الإبتدائي بمدينة تمنراست

د. زهير عمراني

جامعة العربي بن مهيدي. بأم البواقي – الجزائر

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى دراسة وتحليل الفعالية اللغوية من وجهة نظر نفس–لغوية لدى عينة من ثنائيي اللغة من تلاميذ الطورين الرابع والخامس ابتدائي، مستعملين في ذلك منهج دراسة حالة لتحليل مدونات كتابية عادية لأولئك الأطفال، ولتأكيد ذلك قمنا بدراسة مقارنة لفعالية اللغة لدى عينة من ثنائيي اللغة (تارقية/عربية) مع عينة اخرى من أحاديي اللغة (عربية).

الكلمات المفتاحية: اللغة، أحادية اللغة، ثنائية اللغة، الفعالية اللغوية، علم النفس اللغوي، شبكة التحليل.

Abstract :

This paper seeks to study and analyze the degree of language efficacy from psycholinguistic standpoint for bilingual pupils who study at the 4th and 5th range of elementary school. To do this, we used a case study method to analyze normal written corpus from those pupils. We compared two samples of pupils, the first containing bilingual pupils (Tergui/Arabic) and the second including monolingual pupils (Arabic only).

مقدمة:

يعود اصل هذه الدراسة إلى التساؤلات المطروحة والدراسات المنجزة حول تأثير اختلاف اللغة الام عن لغة المدرسة وكذا تأثير تعددية اللغات على النمو المعرفي واللغوي والإكتسابات الأكاديمية للتلميذ، حيث تشير دراسات أمريكية إلى أن العديد من التلاميذ الذين يأتون من بيئات تستعمل لغة عامية (Non standard English) تختلف عن الإنجليزية الفصحى (Standard English) يجدون صعوبات أكاديمية جمة، لأن لغتهم الأم تتداخل وتؤثر على تعلمهم باللغة الإنجليزية، سواء تعلق الأمر باختلاف المفردات، أو البنى التركيبية والصرفية (Labov,1973, p.314)، بينما نجد دراسة جزائرية لـ: (راقم، 2008) تؤكد أن تلاميذ المرحلة الإبتدائية ثنائيي اللغة لديهم فاعلية لغوية أفضل من أقرانهم وحيدي اللغة... ويتضح لنا تباين واختلاف نتائج الدراسات بين من يرى ان اختلاف لغة الأم عن لغة المدرسة يشكل خطرا على الإكتسابات المدرسية للتلميذ وبين من يرى العكس في ذلك. مم دفعنا إلى القيام بالدراسة الحالية التي جاءت متممة ومكملة للدراسات السابقة ومتعلقة بجانب معرفي لغوي مهم، وتهدف إلى تقصي فاعلية اللغة عند أولئك التلاميذ الذين تختلف لغتهم الأم عن لغة المدرسة، مستعملين في ذلك طريقة نفس لغوية لتحليل مدونات كتابية عادية (غير مرضية)، مبتعدين

تماما عن المعيار المدرسي القائم على غنى وتنوع وتعقد المفردات وسلامة التراكيب النحوية والصرفية كمؤشر على سلامة وغنى اللغة. وقد استعملنا مصطلح ثنائية اللغة «Bilinguism» للدلالة على اولئك التلاميذ الذين تختلف لغتهم الأم (التارقية) عن لغة المدرسة (العربية الفصحى)، وذلك في مقابل مصطلح إزدواجية اللغة «Diglossia» الذي يعني استخدامات مختلفة للسان واحد كما هو الحال بالنسبة للعربية الفصحى والعامية عندنا.

سنحاول من خلال دراستنا هذه تسليط الضوء على فاعلية اللغة لدى ثنائيي اللغة (عربية /تارقية) من تلاميذ الطورين الرابع والخامس إبتدائي، وذلك من خلال مقارنتهم بأقرانهم وحيدي اللغة، مم دفعنا إلى طرح الإشكالية التالية:

هل توجد فروق في فعالية اللغة بين ثنائيي اللغة وأقرانهم وحيدي اللغة؟

انطلاقا من إشكالية الدراسة والدراسات السابقة (انظر: راقم:2008، عبد السلام:2012، تعوينات:2014 .....) التي توصلت في مجملها إلى ان ثنائيي أو متعددي اللغة لديهم خبرات لغوية متعددة من حيث المفردات والبنى التركيبية أو السير والأفعال اللغوية...، ولديهم مرونة ذهنية وانفتاح فكري بحكم علاقة اللغة بالعمليات الذهنية والمعرفية، وأن عملية تعلم لغة ثانية من الناحية المعرفية هي أصعب وأكثر تعقيدا من عملية اكتساب اللغة الأم التي تعتبر مجرد عملية روتينية بين الطفل ومحيطه، هذا مايجعلنا نفترض أن ثنائيي اللغة (عربية /تارقية) في دراستنا هذه لديهم فعالية لغوية أكثر رقيا مقارنة بأقرانهم وحيدي اللغة (عربية فقط)، وهو مانسعى إلى التحقق منه من خلال الدراسة الحالية.

إن تعددية اللغات في البلدان العربية بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة استقطب اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات اللغوية، المعرفية، النفسية والتربوية، بهدف دراسة تأثير ذلك على شخصية الطفل ونموه المعرفي ومساره التربوي، وقد كانت نتائج تلك الدراسات متضاربة بين من يرى أن تعددية اللغة مكسب وغنيمة لغوية معرفية (خصوصا النفسانيين والمعرفيين)، وبين من يرى خطورة تعددية اللغات على اللغة المحلية وعلى مستقبل الناشئة (خصوصا اللغويين)، وبالأحرى خطورة ذلك على الإكتسابات الأكاديمية للطفل (خصوصا التربويين) .... ومرد ذلك هو اختلاف التوجهات والإيديولوجيات للباحثين من جهة، ومن جهة أخرى اختلاط وتداخل مفاهيم من قبيل: تعددية اللغة، ازدواجية اللغة، ثنائية اللغة...، وإذا مارجعنا إلى الجزائر نجد أن مشكل تعددية اللغة يبقى يطرح نفسه بإلحاح خصوصا وأننا نعلم تنوع اللغات المحلية من شاوية، قبائلية، تارقية، ميزابية، عامية وعربية فصحى، ناهيك عن اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية التي بدأت تفرض نفسها بقوة في الآونة الأخيرة. وقد حصرنا دراستنا هذه لمحاولة استكشاف فعالية اللغة لدى ثنائيي اللغة (عربية/ تارقية) مقارنة باقرانهم وحيدي اللغة كخطوة أولى، في انتظار تعميم هذه الدراسة على باقي اللغات المحلية الأخرى كالشاوية والقبائلية.

وقد صادفنا في بداية البحث مجموعة من الصعوبات في تحديد مصطلحات الدراسة، ويتعلق الأمر بترجمة المصطلحات اللاتينية «Diglossia» «Bilinguism»، بل حتى المراجع العربية تحتوي على خلط كبير بين هاذين المصطلحين، فبعض المراجع (انظر: كايد، 2002، ص55-57) تستعمل أو تترجم مصطلح «Bilinguism» على أنه ثنائية اللغة لأنه يتركب من سابقة لاتينية هي (Bi) وتعني مثنى أو مضاعف، و (Lingual) وتعني لغوي، ولاحقة (ism) الدالة على السلوك المميز أو الحالة، وحاصل الترجمة: سلوك لغوي مثنى أو مضاعف، وهذا يعني الثنائية اللغوية. بينما تترجم أو تستعمل مراجع أخرى مصطلح «Diglossia» على أنه ازدواجية اللغة لأنه يتركب من سابقة يونانية هي Di والتي تعني مثنى أو ثنائي، أو مضاعف، و (gloss) والتي تعني لغة، ولاحقة هي (ia) للحالة، وحاصل الترجمة: حالة لغة مثناه أو مضاعفة، وهذا يعني الثنائية اللغوية أيضا أي أن المصطلحين مترادفين ظاهريا. كذلك نجد تضارب كبير بين استعمال المصطلحين باللغة العربية: ثنائية اللغة وازدواجية اللغة، ففي الدراسات المشرقية (انظر: عمايرة: 2007، ص56-96. أبو الحسن وآخرون: 2014، ص43-45. شطاح: 2014) يستعمل مصطلح ثنائية اللغة «Bilinguism» للدلالة على حالة الفرد الذي يمتلك لغتين مختلفتين في مفرداتهما وقواعدهما، أما مصطلح «Diglossia» فيقابل مصطلح ازدواجية اللغة الذي يستعمل للدلالة على وجود مستويين من اللغة: مستوى رسمي وهو الفصحى، ومستوه يومي دارج وهو العامية، والذي يعرفه (André Martinet) -مصطلح ازدواجية اللغة- على أنه موقف لغوي إجتماعي تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلا لغويا مكتسبا ومستخدما في الحياة اليومية، وتكون الثانية لسانا يفرض استخدامه في الظروف والمعاملات الرسمية (أندريه مارتيني، 1990، ترجمة ن.سراج، ص24)، مع العلم أن مصطلح «Diglossia» وضعه العالم «C, Ferguson, 1959». أما الدراسات المحلية (في الجزائر) فتستعمل مصطلح ازدواجية اللغة للدلالة على حالة الفرد الذي يمتلك لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية، أو العربية والأمازيغية (انظر: تعوينات: 2014، راقم: 2008). والذي يترجح عندنا أن الدراسات المشرقية أقرب إلى الصواب من الدراسات المحلية في استخدام المصطلحين، لأن كلمة ثنائية تعني شيئين منفصلين عن بعضهما، وبالتالي يصبح مصطلح ثنائية اللغة يدل على وجود لغتين منفصلتين عن بعضهما سواء في المفردات أو القواعد النحوية والتركيبية، أي كما هو الحال بالنسبة للعربية والفرنسية، أو العربية واللغات الأمازيغية. أما كلمة مزدوج فتعني شيء واحد له جانبان، كقولنا فرد مزدوج الشخصية فهذا نعني به أن شخصيته لها جانبان غير متطابقان ولكنهما يتشابهان في بعض الحالات لأنهما صادرتين عن شخصية واحدة في الأصل. وعليه سنستخدم في دراستنا هذه مصطلح ثنائية اللغة «Bilinguism» للدلالة على ذلك الطفل الذي يمتلك لغتين مختلفتين (تارقية/عربية في هذه الدراسة)، وذلك في مقابل مصطلح أحادية اللغة «Monolinguism» الذي نقصد به حالة الطفل الذي يمتلك لغة واحدة فقط (عربية فقط في هذه الدراسة). أما مصطلح ازدواجية اللغة «Diglossia» الذي نعني به حالة الطفل الذي يمتلك لغتين متداخلتين إلى حد كبير (عامية/فصحى). وفي الحقيقة نجد أن غالبية أفراد المجتمع الجزائري (خاصة

المتعلمين منهم) مزدوجو اللغة، لأنهم يستعملون العامية في حياتهم اليومية، بينما يستعملون الفصحى في معاملاتهم الرسمية، هذا مايجعل ذلك المصطلح ثابت وليس متغير لأن كل التلاميذ المدرسة الجزائرية مزدوجو اللغة (عامية/فصحى)، وبالتالي لايمكننا استعمال هذا المصطلح كمتغير للتمييز بين أفراد العينتين طالما أنه ثابت.

وللإشارة أننا سنبتعد في دراستنا هذه كل البعد عن المعيار المدرسي المتبع للحكم على سلامة اللغة والتعبير، فهذا المعيار يستند مقوماته أساسا من تنوع المفردات وتعقدها وعدم تداولها من جهة، ومن جهة أخرى سلامة البنى النحوية التركيبية والصرفية... إن هذا المعيار بسيط ولايمكن له أن يعكس لنا النشاطات المعرفية التي يستخدمها مستعمل اللغة وصولا إلى إنتاجات لغوية ثرية ومتنوعة، ونقصد بذلك إدماج مختلف أدوار اللغة من وصف وشرح وتبرير وخطاب منقول ومونولوغ، مع الحفاظ على انسجام مكونات النص وتسلسل عناصر القصة التي تحمل في طياتها وضوح التعبير «H, Nouani ; 1994». ويجب أن نأخذ بعين الإعتبار أن استخدام اللغة لايتحدد بوضع أو اتفاق وتخطيط مسبق، بمعنى أن تعلم اللغة ليس هو استخدام قوالب وصيغ لغوية سبق تعلمها أو سماعها من قبل كالعادات السلوكية مثلا، بل يتمتع استعمال اللغة بخاصية الإبداع لإنتاج أشكال وقوالب أو صيغ لغوية لم يتم سماعها ولا تعلمها ولا استعمالها من قبل من أجل إشباع حاجات اتصالية بالآخرين مثلما تنص عليه النظرية التوليدية التحويلية لـ «N, Chomsky»... هذا مايجعلنا نلجأ بجدية إلى استعمال مرجعية نفسولغوية والمتمثلة في شبكة تحليل الخطاب المقترحة من طرف «H, Nouani ; 1995». وفي الحقيقة فإن الطفل عندما يكتسب اللغة فإنه لايكتسب قواعد نحو تلك اللغة – مثلما هو الحال بالنسبة للمعيار المدرسي الذي يفرض على التلميذ تعلم واستخدام تلك القواعد–، وإنما يكتسب الرموز التحتية، أما قواعد النحو فإنها تكتسب فيما بعد في وضعيات خاصة. ولهذا فالطفل لايتعلم أن الجملة مبنية من فعل وفاعل ومفعول به، وأن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، وإنما سوف يتعلم بأن الجملة في حد ذاتها تعكس سيرورة معينة وتؤدي مهمة اتصالية معينة، وما يخص جانبها النحوي فسوف ينتبه إليه في المستقبل، حيث أن الطفل يكتسب أولا بنى لغوية تحتية أي سير لغوية، وبعدها يطور القواعد النحوية تدريجيا، وأن التطور النوعي في لغة الطفل يكمن في قدرته على إدماج مختلف هذه السير، التي تكتسب أساسا من خلال الحوار الذي يعتبر كذلك مصدرا لكل الإكتسابات اللغوية، ونؤكد على أهمية دخول الطفل في حلقة الحوار والتي تصبح شرطا أساسيا في اكتساب اللغة بشقيها المنطوقة والمكتوبة، وليس مجرد إعادة جمل وصياغات لغوية سبق سماعها من طرف المعلم كما هو الحال في المدرسة للأسف. إذن فالكفاءة الإتصالية بالآخرين تسبق الكفاءة اللغوية، ودخول الطفل في الحلقة التفاعلية ينتج عنه إنماء الرصيد المعجمي، اكتساب المزيد من البنى التحتية للغة، ثم إكتساب القواعد النحوية والصرفية والتركيبية.... ومايتنتج عن ذلك من تعلم: الحوار، السرد (المونولوج)، ثم اللغة المكتوبة. بعد هذا العرض الموجز حول مفاهيم الدراسة واستعمالنا الإجرائي لها، نبدأ الآن في عرض بعض التعريفات والمفاهيم المرتبطة بالدراسة كاللغة، مستوياتها، فعالية اللغة، شبكة التحليل.....

1/ اللغة والكلام:

يعرف «Nelson, 1998» اللغة على أنها شفرة إجتماعية مشتركة والتي تستعمل نظام اصطلاحي من الرموز الإعتباطية لتمثيل الأفكار عن العالم من حولنا، وهذه الأفكار تكون مفهومة من طرف الآخرين الذين يستعملون نفس الشفرة. (Laura, 2010, p.10)

اللغة هي نظام رمزي منظم يسمح بالتواصل، يتألف من عناصر حرفية، نحوية، صرفية ودلالية، حيث تنتظم الأصوات في سلسلة لتكوين كلمات تكون خاضعة لقواعد معينة، وتعكس دلالة معينة يريد المتكلم إيصالها للأخرين. (Nicolosi, 1989, p.16)

أما «Chomsky» فيرى بأن اللغة هي ملكة فطرية عند الناطقين بها لفهم وتكوين جمل صحيحة. وقد أوضح «Chomsky» مفهومه الخاص بمستويات المعالجة المتضمنة لفهم العلاقات النحوية (النحو التوليدي التحويلي) بأن اللغة عملية سيكولوجية أساسية تنشأ عن مجموعة محدودة من القواعد لتعطي أنماطا مختلفة من الإنتاج اللغوي (التنوع اللغوي). (جمعة، 2010، ص19).

إن الكلام هو الوسيلة التي من خلالها يستطيع الفرد التعبير عن عالمه الداخلي: رغباته، أحاسيسه، مشاعره وأفكاره.... أي ان الكلام هو استعمال الفرد للغة التي يمتلكها، وبعبارة أخرى هو ترجمة الفرد لرغباته وحاجاته وأفكاره عن طريق كلمات وجمل مفهومة، فالكلمات تنظم وترمّز الإحساسات الواردة من أو إلى الإنسان وتعطيها المعنى. لقد تم تحديد الرابط بين نضج المراكز العصبية في القشرة المخية وبين اكتساب اللغة، هذه المراكز متواجدة في المنطقة الصدغ قفوية الجدارية وترابطاتها مع المهاد، هذه المنطقة يتم تنشيطها بين سن 4 إلى 12 سنة من عمر الفرد. إضافة إلى ذلك توجد العديد من القدرات الداخلية التي تبنى عليها اللغة كتمييز صوت الأم والتعرف عليه، والتهيؤ لإكتساب القواعد اللغوية، زيادة على هذا فإن مشاركة الوالدين في التفاعل اللغوي مع الطفل وتنمية إدراكه السمعي وتفكيره في العالم الخارجي يسمح له بالإكتساب السريع لمهارات اللغة، نأخذ على سبيل المثال المناغاة التي تظهر في سن مشترك لدى كل الأطفال، تتطور هذه المناغاة إلى كلمات عديمة المعنى فكلمات ذات معنى فجمل لدى الأطفال الأسوياء لأنهم يستفيدون من التفاعل الإجتماعي والتواصل اللفظي والخبرات التي يسمعونها، على العكس من الأطفال الذين يعانون من إعاقة سمعية والتي سوف تتوقف المناغاة لديهم بسبب عدم حصولهم على تغذية مرتدة من الوسط الذي يعيشون فيه.

خلال السنة الأولى من عمر الطفل يتنشط النظام اللغوي من خلال السلوك، فالطفل يلتفت إلى جهة الصوت الذي يسمعه، يحدق في وجه الشخص الذي يكلمه، يستجيب ويميز بين الأصوات المألوفة وغير المألوفة. خلال السنة الثانية تحدث زيادة في القاموس اللغوي للطفل، أين يحاول فهم كلام الآخرين ويكرر الكلمات البسيطة التي يسمعها، ويعيد استعمالها من أجل التواصل اللغوي واكتساب مفردات جديدة. هذه الزيادة تجعل الطفل إبتداء من السنة الرابعة يركز انتباهه إلى القواعد التي تحكم ترتيب وتعاقب الكلمات داخل الجملة، التمييز بين المفرد

والجمع وبين المذكر والمؤنث في العربية. وهكذا يطور الطفل لغته من استعمال الإشارات إلى استعمال الرموز اللغوية التي تتنشط من خلال التنظيم المعرفي للعالم، وكذلك ومن خلال التفاعل مع المحيط الإجتماعي. (Eco, 1983, p.266)

وكخلاصة، فبالإضافة إلى العوامل الوراثية التي تسمح للطفل باكتساب اللغة، هناك كذلك دور كبير للسياقات والخبرات الإجتماعية التي تساهم في تباين واختلاف الرصيد اللغوي لدى الأطفال، والنتيجة هي أن إدراك اللغة وتأويل الكلمات والجمل يختلف إختلافا جوهريا من فرد لآخر حسب خبرات التي مر بها.

يكتسب الطفل كذلك الكلام الداخلي (Inner speech) الذي يتكامل مع الفكر، فالطفل الذي يطور جيدا كلامه الداخلي سوف يصبح قادرا على معالجة المعلومات والإستجابة بسرعة على عكس الطفل الذي يعاني من فقر في الكلام الداخلي، أي أن الكلام الداخلي يساعد الطفل على التفكير ومحاورة النفس ومراقبة الذات والتحكم في سلوكه، فهو يلعب دورا هاما في التنشيط والكبت (Inhibition & Arousal. (Dykman et al, 1970, p.340)، وهو مايحرر الطفل من القيود المباشرة لمحيطه، ويحضّره للقيام بالنشاطات المستقبلية من خلال التخطيط، الأمر، ومراقبة سلوكاته، والأهم من ذلك أنه يسمح للطفل بالدخول في مناقشة مع الآخرين وإثراء معارفه اللغوية والخبراتية.

تلعب اللغة دورا كبيرا في النمو العاطفي، فمن خلال الكلمات تترابط الأحاسيس مع الصورة الذهنية لها، وهو مايسمح بتشكيل مفهومنا للذات الذي يعتبر أساسا هاما لتعلم ونمو الفرد. إن معظم الأطفال يكتسبون اللغة قبل سن المدرسة سواء تعلق الأمر بالفهم أو الإنتاج، إن تفسير سرعة إكتساب الطفل للغة باعتبارها مهارة معرفية عالية التعقيد شيء مختلف فيه، لايسعنا المقام هنا للخوض في النظريات المفسرة لذلك.

لقد وزع اللغويون اهتمامهم باللغة على ثلاث مجالات هي: (جمعة، 2010، ص37-38)

- نظام تآلف الكلمات داخل الجمل (النحو).
- معاني الكلمات والجمل (علم الدلالة).
- أصوات اللغة.

أما علماء النفس اللغويون فقد وزعوا اهتمامهم على ثلاث مجالات أخرى، هي:

- العمليات العقلية المعرفية التي يستخدمها الفرد لفهم اللغة.
- العمليات العقلية المعرفية التي يستخدمها الفرد لإنتاج اللغة.
- طريقة اكتساب الفرد للغة.

2/ مكونات النظام اللغوي:

تحتوي اللغة على بنى تحتية تعتبر مكونات النظام اللغوي عند الفرد وذلك بغض النظر عن نوع اللغة التي يتكلمها، هذه المكونات هي:(Lerner et al, 2012, p.326-327)

2-1/ الصوتيم Phoneme:

هو أصغر وحدة صوتية داخل الكلمة ويمثل الحرف في العربية وهو ساكن، فكل لغة لديها مجموعة من الصوتيمات الخاصة بها، والعلم الذي يدرس ذلك هو علم أصوات الكلمة (Phonology)، إن تمييز والتعرف على الصوتيمات ودمجها مهارة ضرورية لإتقان اللغة الشفهية والقراءة، فكلمة (حبل) تتكون من ثلاث صوتيمات هي: ح/ب/ل، وهي تختلف عن كلمة (جبل) باختلاف الصوتيم /ح/ عن الصوتيم /ج/. وكذلك فإن كلمة (نملة) تتكون من أربع صوتيمات هي: ن/م/ل/ة، وهي تختلف عن كلمة (نخلة) باختلاف الصوتيم /م/ عن الصوتيم /ح/.... إن إتقان هذه المهارة أمر صعب بالنسبة لبعض الأطفال الذين يعانون من ضعف الوعي الفونولوجي Phonological Awareness Disorder.

2-2/ الصرفيم Morpheme:

وهو أصغر وحدة دلالية داخل الكلمة، والعلم الذي يعنى بدراسة الصرفيمات هو علم أصوات الكلمة (Morphology)، فمثلا الفعل (ذهب) يتكون من صرفيم واحد، أما الفعل (يذهب) فيتكون من صرفيمين: /ي/ التي تدل على الحاضر، بمعنى أن الفعل مضارع، والفعل /ذهب/ الذي يدل على الذهاب. أما الفعل (يذهبون) فيتكون من ثلاثة صرفيمات هي: /ي/ للفعل المضارع، /ذهب/ وهو الفعل، /ون/ للإشارة إلى جمع المذكر السالم.

الأطفال الذين يعانون من نقص الوعي بالصرفيمات قد لايميزون بين الفعل الماضي والحاضر، أو لايميزون بين جمع المذكر السالم(ون) وجمع المؤنث السالم (ن)....، وهو مايجعلهم يرتكبون أخطاء لغوية سواء ماتعلق بالفهم أو بالإنتاج.

2-3/ التركيب Syntax:

ونقصد به قواعد اللغة التي تتحكم في تتابع وتعاقب الكلمات داخل الجمل، إن اللغة العربية لها قواعد صارمة تتحكم فيها فعندما نقول: ضرب عمر خالد، تختلف في معناها عن: ضرب خالد عمر، وذلك تبعا لتغير الفاعل والمفعول فيه، بالإضافة إلى أنه توجد عدة طرق لتغيير ترتيب الكلمات داخل الجملة مع الإحتفاظ بالمعنى أو مايسمى توليد الجمل مثل: طبخت الأم الطعام. الطعام طبخته الأم. الأم طبخت الطعام. طبخ الطعام من طرف الأم... والأطفال الذين يعانون من مشكل في التركيب لايتمكنون من رصف الكلمات لتشكيل جمل صحيحة ومعبرة.

2-4/ الدلالة Semantic:

وتشير إلى المعجم اللفظي أو معاني الكلمات للغة، والذي يتحدد من خلال عدد الكلمات التي يعرفها الفرد، أو المترادفات والمتناقضات، وهو على العكس من النظام الصوتيمي والصرفيمي والقواعدي الذين يكتسبهم الطفل في سن قبل المدرسة، فالفرد يواصل اكتساب النظام الدلالي طوال مراحل عمره. إن الأفراد الذين لديهم قاموس لغوي غني يستطيعون فهم وإنتاج لغوي متنوع، يسمح لهم باستعمال مختلف نشاطات اللغة، على عكس الذين يمتلكون قاموس لغوي فقير والذين من الممكن أن تكون لديهم صعوبة في إنتاج الكلام والتعبير عن حاجاتهم أو اضطرابات في فهم دلالة الكلام.

2-5/ البراغماتية Pragmatic:

تعني البراغماتية الجانب النفعي للغة، ونقصد بها النواحي الإجتماعية للغة التي تسمح للمتكلمين بإنتاج اللغة ضمن المحيط الذي يعيشون فيه، والتي تأخذ بعين الإعتبار عدة عوامل مثل: طبيعة العلاقة بين المتحدث والمستمع، تقييم المتكلم لدرجة معرفة ووعي المستمع بالمعلومات حول الموضوع الذي يتكلم عنه، السلوكات اللغوية كأخذ الدور في المحادثة، البقاء في نفس الموضوع أو تغييره، طرح أسئلة توضيحية وإثراء النقاش.... إن بعض التلاميذ لديهم صعوبة في توظيف واستعمال الجانب الإجتماعي للغة، فهم يعانون من صعوبة في تنشيط الإتصال اللغوي وغالبا مايقطعون الحديث لطرح أسئلة توضيحية بسبب صعوبة فهم السياقات اللغوية الإجتماعية (Bryan et al, 2003).

3/ المهارات الفرعية للغة:

تتجلى اللغة من خلال شكلين رئيسيين هما: اللغة المنطوقة (والتي تشمل الإستماع والتحدث)، واللغة المكتوبة (والتي تشمل القراءة، والكتابة). هذه الأشكال أو المهارات مترابطة ومندمجة مع بعضها وتشكل النظام اللغوي لدى الفرد، أما التفاعل بينها فهو يخدم بنية ذلك النظام، فالطفل عندما يكتسب مهارة وألفة بأحد أشكال اللغة (عادة مايكون الإستماع) فإنه يبني معرفة وخبرة ببنية اللغة وهذا ماسيسمح له باكتساب شكل آخر من أشكال اللغة (وهو التحدث) وهكذا... فما يتعلمه الطفل عن النظام اللغوي من خلال اللغة المنطوقة يوفر له أساس المعرفة لتعلم واكتساب القراءة والكتابة، فمن خلال ممارسة اللغة الشفهية سوف يتعلم الطفل بنيات اللغة، ينمي قاموسه اللغوي (المعرفة الدلالية)، يكتسب مختلف أشكال الجمل (المعرفة التركيبية). وما يتعلمه الطفل عن النظام اللغوي من خلال القراءة سوف يخدم مهارات الكتابة واللغة الشفوية أيضا من خلال إكتساب سيولة لفظية، مفردات وقواعد جديدة... إضافة إلى ذلك فإن الطفل إذا صادف صعوبة في اكتساب أحد أشكال اللغة فسوف تظهر لديه صعوبات لغوية في أحد الأشكال الأخرى للغة. فمثلا: طفل عانى من تأخر لغوي في سن ثلاث سنوات، فمن المحتمل جدا أن يعاني من صعوبات في القراءة في سن ثماني سنوات، ومن صعوبات في الكتابة في سن الرابعة عشر (Ekland et al, 2005., Tomblin, 2006., Goldstein et al 2008, Lerner, et al, 2012, p.320).

لقد حدد اللغويون جميع مهارات اللغة المرتبطة بالتعلم الأكاديمي وهي: الإستماع، الفهم، التحدث، القراءة، الكتابة والتهجئة. كما وضعوا مناهج ومقررات لتعليم هذه المهارات للتلاميذ آخذين بعين الإعتبار النمو اللغوي للطفل، كما أسهموا في دراسة أسباب وأعراض اضطراب اللغة لدى التلاميذ غير العاديين وحاولوا وضع برامج علاجية لتنمية اللغة لدى هؤلاء.

إن اكتساب مهارات اللغة لدى معظم الأفراد يمر بتنظيم هرمي يسمح بالإكتساب التدريجي والتعاقبي لهذه المهارات، وهي: الإستماع، الحديث، القراءة، الكتابة. وهذه المهارات تتطلب لاكتسابها وجود قاعدة خبراتية عند الطفل باللغة الأم، وذكاء عادي فما فوق، وتحفيز من طرف المحيط... الشكل الموالي يوضح هذا التنظيم الهرمي.

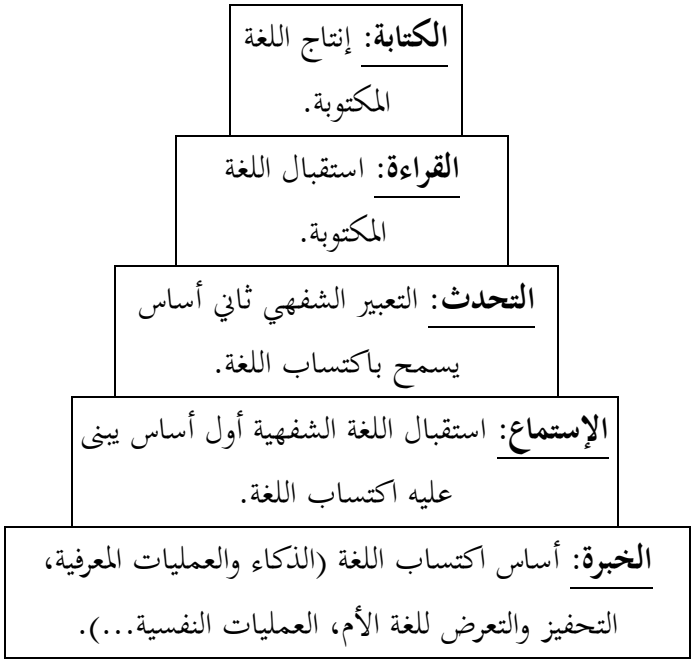

شكل هرمي يوضح ترتيب إكتساب مهارات اللغة (Brown, C. 1971, p.118)

ولأن مهارات اللغة الشفهية للإستماع والتحدث تنمو وتتطور أولا فقد سميت بالنظام اللغوي الأولي، أما القراءة والكتابة فسميت بالنظام اللغوي الثانوي لأنهما تتطوران في مرحلة لاحقة، إضافة إلى ذلك فاللغة المنطوقة هي ترميز للأفكار والخبرات، أما اللغة المكتوبة فهي ترميز للكلمة المنطوقة. ويمكن تصنيف شكلين من أشكال اللغة (الإستماع والقراءة) على أنهما مدخلات لغوية أو لغة إستقبالية، أما الشكلين الآخرين (التحدث والكتابة) فهما مخرجات لغوية أو لغة تعبيرية (Lerner et al, 2012, p.321)، وبالتالي فإن الإضطرابات اللغوية الإستقبالية تمس كلا من الإستماع (الفهم) والقراءة، أما الإضطرابات اللغوية التعبيرية فتمس كلا من التحدث والكتابة. والقاعدة التربوية أنه يجب بناء وترسيخ مدخلات لغوية متينة من أجل الوصول إلى مخرجات لغوية سليمة.

4/ الثنائية اللغوية *Bilingualism*:

تباينت واختلفت آراء العلماء حول مفهوم الثنائية اللغوية وحدودها، وهل تتطلب الإتقان التام لكلتا اللغتين بشكليها المنطوقة والمكتوبة، أم يكفي مجرد القدرة على استعمالها... وفيما يلي عرض لبعض تعاريفها: عرفها «Macnamara, 1967» بأنها امتلاك الفرد الحد الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة أخرى، أما «Bloomfield, 1933, p.132» فيعرفها بأنها إجادة الفرد التامة للغتين، ويعرفها كذلك «Albert & Obler, 1978» بأنها الإستخدام المثالي للغتين أو أكثر... ويرى البعض أن الثنائية اللغوية هي مقدرة الفرد على استعمال لغة ثانية غير لغة الأم بأي درجة من الإتقان وفي أية مهارة من المهارات المنطوقة أو المكتوبة. ويتضح لنا من التعريفات السابقة ان مصطلح الثنائية اللغوية يعني حالة الفرد الذي يمتلك لغتين مختلفتين، ويتمكن من استعمالهما بطلاقة بطريقة شفهية أو مكتوبة، استقبالا (فهما) وإنتاجا (تعبيرا). وعلى هذا الأساس لم نعتبر جميع أفراد العينة ثنائيي اللغة رغم تدريسهم اللغة الفرنسية كذلك بالمدرسة، لأنهم غير مسيطرين عليها ولايتكلمون بها.

5/ أداة الدراسة:

تم استعمال مجموعة من الصور المعبرة التي تحكي قصة طفل ذهب للتجول مع أمه، وفجأة وجد الطفل نفسه وحيدا وأخذ يبكي، حتى جاءه الشرطي وساعده على العثور على أمه. وطلبنا من التلاميذ أن ينجزوا تعبيرا كتابيا عن هذا الحدث، وتركنا لهم الوقت الكافي للقيام بذلك داخل القسم. وبعدها استعملنا شبكة التحليل النفسولغوية التي وضعها «H, Nouani ; 1995» من أجل دراسة وتحليل الفعالية اللغوية لديهم.

6/ عينة الدراسة:

شملت دراستنا هذه عينة قوامها 11 تلميذا وتلميذة، يزاولون دراستهم بالمدرسة الإبتدائية "تينهينان" بحي تافسيت، بلدية تمنراست، وقد كانت العينة موزعة كالآتي:

6 تلاميذ من الصف الرابع إبتدائي، منهم 3 ثنائيو اللغة، و 3 وحيدو اللغة.

5 تلاميذ من الصف الخامس إبتدائي، منهم 3 ثنائيو اللغة، و 2 وحيدو اللغة.

7/ تحليل الفعالية اللغوية:

7-1/ تحليل البنيات اللسانية:

نبدأ أولا بتحليل البنيات اللسانية لدى ثنائيي اللغة، والجدول الموالي يوضح ذلك:

الحالات	تحديد الإطار الزمكاني	تقديم الأشخاص	توزيع الجمل						خطاب منقول	ادخال الخيال	زيادة احداث
			خبر				استفهام	أمر			
			جواب	شرح	وصف	تبرير					
1	نعم/ نعم	نعم	0	0	6	0	0	0	1	0	1
2	نعم/ نعم	نعم	0	0	5	1	1	0	1	0	2
3	نعم/ نعم	نعم	2	0	9	0	2	0	4	0	0
4	لا/ نعم	نعم	0	0	11	0	0	0	0	0	0
5	نعم/ نعم	نعم	0	0	9	0	0	0	0	0	0
6	نعم/ لا	نعم	0	0	9	1	0	0	1	0	0

جدول رقم (1) يوضح تحليل البنيات اللسانية لمزدوجي اللغة.

من خلال الجدول نلاحظ أن جل الحالات قامت بتحديد الإطار الزمكاني للقصة مع تقديم الأشخاص، باستثناء الحالة (4) التي لم تذكر الإطار الزماني، والحالة (6) التي لم تذكر الإطار المكاني. وبالنسبة للسير اللغوية نلاحظ توظيف كبير للجوانب الخبرية مع إهمال كبير لصيغ الأمر والإستفهام والخطاب المنقول، باستثناء الحالة (3) التي قامت بتوظيف بسيط لصيغ الإستفهام والخطاب المنقول فقط، والحالة (2) التي قامت بتوظيف قليل لصيغ الإستفهام، الخطاب المنقول، وزيادة أحداث لم تقع بالقصة. وعند التدقيق في الصيغ الخبرية المستعملة من طرف الحالات ثنائية اللغة نلاحظ أنها تتشكل أساسا من سيرة الوصف التي هي أبسط السير اللغوية من الناحية المعرفية، كما هو الحال بالنسبة للحالات (1، 4، و 5) التي اقتصرت فقط على استعمال جانب الوصف، أما الحالتين (2، و6) فقد لجأت إلى إدخال التبرير، والحالة (3) التي لجأت إلى استعمال الجواب. وعموما نجد اختلال توظيف السير اللغوية لصالح سيرة الوصف التي تطغى على لغة التلاميذ ثنائيي اللغة.

ننتقل الآن إلى تحليل البنيات اللسانية لدى وحيدي اللغة، والجدول الموالي يوضح ذلك:

الحالات	تحديد الإطار	تقديم الأشخاص	توزيع الجمل						خطاب منقول	ادخال الخيال	زيادة احداث
			خبر				استفهام	أمر			
			جواب	شرح	وصف	تبرير					
1	لا/ نعم	نعم	4	1	15	2	3	0	3	0	3
2	نعم/ نعم	نعم	2	1	15	1	2	0	4	1	2
3	لا/ نعم	نعم	2	0	16	0	1	1	4	3	1

4	نعم/ نعم	نعم	2	1	15	0	1	1	6	0	0
5	نعم/ نعم	نعم	1	0	9	0	1	0	3	0	0

جدول رقم (2) يوضح تحليل البنيات اللسانية لأحادي اللغة.

من خلال الجدول نلاحظ أن جل الحالات قامت بتحديد الإطار الزمكاني للقصة مع تقديم الأشخاص، باستثناء الحالتين (1، 3) التي لم تذكرا الإطار الزماني. وبالنسبة للسير اللغوية نلاحظ توظيف كبير للجوانب الخبرية مع إشراك نسبي لصيغ الأمر والإستفهام والخطاب المنقول وإدخال الخيال، وبصفة عامة فقد لجأ وحيدو اللغة إلى إشراك وتوظيف جل السير اللغوية الأمرية والإستفهامية والخبرية بما فيها الوصف، الشرح، التبرير والجواب، مع إدخال الخيال وزيادة أحداث لم تقع أصلا بالقصة خاصة لدى الحالات (1، 2، و3)، وهي كلها مستويات لغوية تعكس تطورا ونضجا ذهنيا ولغويا.

7-2/ تحليل المحتوى:

ننتقل الآن إلى تحليل المحتوى لدى ثنائيي اللغة، والجدول الموالي يوضح ذلك:

الحالات	***التسلسلات الكبرى***		***التسلسلات الصغرى***					
	السينات	***الحقل***	***على المستوى النحوي***					***على المستوى المعجمي***
			روابط	***عوائد***	***اشارة***	***ضمائر***	***ظروف***	
1	افعال لغوية متجانسة تماما تقتصر على الوصف فقط	تقديم اشخاص وصولا الى العقدة ولكن دون ايجاد حل لها، ماجعل السرد غامض.	و/ف/ و/	ه/ ه/ ه/	---- --	---- ---	في/ من/ في	---------- -----
2	افعال لغوية متجانسة الى حد كبير تعتمد على الوصف	تقديم الاطار الزمكاني والاشخاص وصولا الى العقدة ولكن دون ايجاد حل لها، فالسرد هنا غامض.	و/ ف/	ه/ ه/ ه	---- ----	---- ---	في	---------- -----
3	افعال لغوية محدودة يطغى عليها الوصف مع توظيف الخطاب المنقول، الاستفهام والجواب	تقديم الاطار الزمكاني للقصة والاشخاص وصولا الى العقدة مع ايجاد حل لها، فالقصة تمتاز بالوضوح.	و/ و/ و/ ف/ ف/ ف/	ه/ ه/ ها/ ه/ ه/ ي/ ها/ ها/ ها/ ه/ ك/ ي/ ه	هذه/ هذه	هو	في/ الى/ بعد/ بعد/ بعد	هل هذه امك؟ نعم هي امي.

					ف			
4	افعال لغوية متجانسة تماما تقتصر على الوصف فقط	تقديم الاطار المكاني للقصة فقط والاشخاص وصولا الى العقدة مع ايجاد حل لها، فالقصة هنا واضحة.	ف/ ف/ ف/ ف/ و/ ف.	ه/ ه/ ها/ ه.	--- ---	--- ---	في	-------- ---
5	افعال لغوية متجانسة تماما تقتصر على الوصف فقط	تقديم الاطار الزمكاني للقصة والاشخاص مع عرض العقدة مباشرة دون تطور الاحداث، والوصول الى الحل اخيرا، فالقصة ينقصها الوضوح.	و/ و/ و/ و/ و/ و/ و/ و	ه/ هو/ ه/ ه/ ها	هناك	هو	في/ في/ الى	-------- ---
6	افعال لغوية محدودة يطغى عليها الوصف مع توظيف التبرير والخطاب المنقول.	تقديم الاطار الزماني للقصة فقط والاشخاص مع عرض العقدة مباشرة دون تطور الاحداث، والوصول الى الحل اخيرا، مم يجعل السرد يفتقر الى الوضوح	ثم/ ف/ ثم/ ثم/ ثم/ ثم	ه/ ه/ ه/ ه/ ه/ ها/ ه/له/ ه/ ه/	--- --	--- ---	في/ ثم/ ثم/ ثم/ ثم/ دائما/ دائما.	-------- -----

جدول رقم (3) يوضح تحليل المحتوى لمزدوجي اللغة.

عند تحليلنا لمحتوى السرد بالنسبة لثنائيي اللغة كما هو موضح بالجدول السابق سجلنا النقاط التالية:

بالنسبة للتسلسلات الكبرى فالسرد يطغى عليه سيرة الوصف كما ذكرنا ذلك سابقا، مما يجعل الأفعال اللغوية المستعملة متجانسة، كما نجد أن السرد ينقصه الوضوح بصفة عامة نتيجة لعدم احترام مجريات القصة كتقديم الأشخاص، عرض تطور الأحداث وصولا إلى العقدة، مع اقتراح حل للعقدة في الأخير، هذه العناصر الأساسية للقصة غير محترمة عند أولئك التلاميذ باستثناء الحالتين (3، و4) اللذين كان سردهما واضحا، أما بالنسبة للحالتين (4، و 6) فقد ذكرت العقدة مباشرة دون سرد كيفية تطور الأحداث مم جعل السرد ينقصه عامل التشويق، اما الحالتين (1، و 2) فقد ذكرت العقدة مباشرة دون تطور الأحداث، وزيادة على ذلك فهي لم تقدم أهم شيء في القصة وهو حل للعقدة، مم يجعل السرد عندهما غامضا. وعموما نجد السرد غير واضح من ناحية التسلسلات الكبرى عند جل الحالات ثنائية اللغة.

وبالنسبة للتسلسلات الصغرى نجد استخدام روابط على المستوى النحوي دون المستوى المعجمي باستثناء الحالة (3) التي لجأت إلى توظيف التسلسل على المستوى المعجمي مرة واحدة فقط، وعند التدقيق في الروابط على المستوى النحوي نجد تكرارا واقتصار على رابط واحد بالنسبة للحالة، كالحالتين (3، و4) التي اقتصرت على

استخدام حرف العطف (ف) مع توظيف قليل لحرف الربط (و)، والحالة (5) التي اقتصرت فقط على استعمال حرف الربط (و)، أما الحالة (6) فقد اقتصرت فقط على استخدام حرف العطف (ثم). وبالنسبة للعوائد أي الضمائر المتصلة والمنفصلة التي يستخدمها المتكلم لاسترجاع شخصيات ومواضيع سبق ذكرها، فنجد توظيف كبير لضمير الغائب المذكر والمؤنث كما هو الأمر بالنسبة لكل الحالات باستثناء الحالة (3) التي أدخلت ضمير المخاطب المذكر والمؤنث. أما بالنسبة لأدوات الإشارة والضمائر فإننا سجلنا غياب تام لتوظيفهما داخل السرد باستثناء الحالتين (3، و5) التي استعملت أداة إشارة (هذه، هناك) وضمير الغائب (هو). وأخيرا بالنسبة للظروف الزمكانية فإننا نلاحظ تنوعا في استخدامها لدى جل الحالات تقريبا، باستثناء الحالتين (2، و 4) التي اقتصرت على استعمال ظرف المكان (في). وعموما نجد السرد نمطي الشكل من ناحية التسلسلات الصغرى حيث يطغى عليه التكرار، واستخدام أدوات بسيطة لاتعكس النضج اللغوي والمعرفي للتلميذ.

ننتقل الآن إلى تحليل المحتوى لدى وحيدي اللغة، والجدول الموالي يوضح ذلك:

الحالات	التسلسلات الكبرى		التسلسلات الصغرى					
	السينات	الحقل	على المستوى النحوي					على المستوى المعجمي
			روابط	عوائد	اشارة	ضمائر	ظروف	
1	افعال لغوية متباينة حتى وان كان الوصف يطغى عليها لكن نجد ان الطفل استخدم كل من الاستفهام والجواب، الشرح والتبرير، الخطاب المنقول وزيادة احداث لم تقع بالقصة	تقديم الاطار المكاني للقصة فقط والاشخاص مع عرض تطور الاحداث وصولا الى العقدة، وتقديم حل لها، فالسرد هنا واضح.	لكي/ و/ و/ ف/ ف/ ف/ حتى/ ف/ ف/ لقد/ و/ ف/ ف/ و.	ه/ وا/ ه/ ه/ ه/ ي/ ه/ ما/ ه/ نا/ ك/ ي/ ها.	هذه.	انت.	الى/ في/ حتى.	-------- ----
2	افعال لغوية متباينة حيث نجد ان الطفل استخدم كل من الاستفهام والجواب، الشرح والتبرير، الخطاب المنقول وادخال الخيال وزيادة احداث لم تقع	تقديم الاطار الزمكاني للقصة والاشخاص مع عرض تطور الاحداث وصولا الى العقدة، وتقديم حل لها، فالسرد هنا كذلك يمتاز	و/ و/ ف/ ف/ و/ ف/ ف/ ثم/ ف/ ثم.	ه/ ت/ ه/ ه/ ت/ ي/ ه/ ه/ ك/ ه/ ت/ ها/	هذا.	--- --- -	في/ الى/ ثم	رايت طفلا مع امه، قالت له امه..... سادخل الى السوق وساعود،

	بالقصة	بالوضوح.		ه.				دخلت الام السوق..... سؤال، جواب.
3	افعال لغوية متباينة يطغى عليها الوصف ومع ذلك نجد ان الطفل استخدم كل من الاستفهام والجواب، الامر وادخال الخيال، الخطاب المنقول وزيادة احداث لم تقع بالقصة	عرض مباشر للعقدة دون تقديم الاطار الزمكاني للقصة ولا كيفية تطور الاحداث، تقديم الاشخاص في سياق السرد، وصولا الى حل العقدة اخيرا، فالسرد هنا واضح الى حد ما.	و/ و/ و/ و/ و/ و/ ف/ و/ و/ و/ و.	ه/ ه/ ه/ ه/ ه/ نا/ نا/ ك/ ه/ ون.	---- ----	هو/ انا.	الى.	-------- -----
4	افعال لغوية متباينة الى حد ما يطغى عليها الوصف مع ادماج كل من الاستفهام والجواب، الشرح والامر، والخطاب المنقول.	تقديم الاطار الزمكاني للقصة وعرض الشخصيات في سياق السرد، عرض العقدة مباشرة دون سرد تطور الاحداث، وتقديم حل لها، مايجعل السرد واضحا الى حد ما.	و/ ف/ ف/ ف/ ف/ و/ ف/ و/ و/ ثم/ ف/ و.	ه/ ه/ ه/ ي/ ي/ ه/ ك/ ان/	....	انا/ هو.	هناك.	-------- -----
5	افعال لغوية محدودة تعتمد أساسا على الوصف، مع استعمال ضئيل للاستفهام والجواب والخطاب المنقول.	عرض مباشر للعقدة دون تقديم الاطار الزمكاني لها، وعرض الشخصيات ضمن سياق السرد وصولا الى الحل.	و/ ثم/ و/ ف/ ف/ ف/ ثم/ و/ و.	ه/ ه/ ه.	هاهي.	هي.	هناك، ثم.	-------- -----

جدول رقم (4) يوضح تحليل المحتوى لأحادي اللغة.

عند تحليلنا لمحتوى السرد بالنسبة لوحيدي اللغة كما هو موضح بالجدول السابق سجلنا النقاط التالية:

بالنسبة للتسلسلات الكبرى فالسرد يطغى عليه سيرة الوصف، ورغم ذلك نجد أن جل الحالات قامت بتوظيف مختلف السير اللغوية كالإستفهام، الأمر، الخطاب المنقول، الشرح والتبرير... مما يجعل الأفعال اللغوية المستعملة متنوعة إلى حد ما. كما نجد أن السرد عموما يمتاز بالوضوح نتيجة احترام مجريات القصة كتقديم الأشخاص، عرض تطور الأحداث وصولا إلى العقدة، مع اقتراح حل للعقدة في الأخير، هذه العناصر الأساسية للقصة محترمة

بدقة عند الحالات (1، 2، و5) اللذين كان سردهم واضحا، أما الحالات المتبقية (3، و4) فقد ذكرت العقدة مباشرة دون سرد كيفية تطور الأحداث مم جعل السرد ينقصه عامل التشويق، ورغم ذلك فقد كان سردهما واضحا إلى حد ما. وعموما نجد السرد واضح من ناحية التسلسلات الكبرى عند جل الحالات أحادية اللغة.

وبالنسبة للتسلسلات الصغرى نجد استخدام روابط على المستوى النحوي دون المستوى المعجمي باستثناء الحالة (2) التي لجأت إلى توظيف التسلسل على المستوى المعجمي عدة مرات، وعند التدقيق في الروابط على المستوى النحوي نجد تنوعا في استخدام الروابط بالنسبة لكل الحالات، باستثناء الحالة (3) التي اقتصرت على استخدام حرف الربط (و) فقط. وبالنسبة للعوائد أي الضمائر المتصلة والمنفصلة التي يستخدمها المتكلم لاسترجاع شخصيات ومواضيع سبق ذكرها، فنجد تنوعا كبيرا في توظيفها بالنسبة لكل الحالات باستثناء الحالة (5) التي اقتصرت على توظيف ضمير الغائب المذكر، أما بقية الحالات فقد استعملت ضمير الغائب المذكر والمؤنث، ضمير المخاطَب المذكر والمؤنث، جمع المذكر السالم، والمثنى، وضمير الجمع. أما بالنسبة لأدوات الإشارة والضمائر فإننا سجلنا توظيفا بسيطا لها من طرف جل الحالات. وأخيرا بالنسبة للظروف الزمكانية فإننا نلاحظ تنوعا في استخدامها لدى جل الحالات تقريبا، باستثناء الحالتين (2، و 4) التي اقتصرت على استعمال ظرف المكان (في). وعموما نجد السرد نمطي الشكل من ناحية التسلسلات الصغرى حيث يطغى عليه التكرار، واستخدام أدوات بسيطة لاتعكس النضج اللغوي والمعرفي للتلميذ.

انطلاقا من استعمالنا لشبكة تحليل الإطار النفسولغوية لتحليل الفعالية اللغوية لدى تلاميذ الصف الرابع والخامس إبتدائي وحيدي وثنائيي اللغة، توصلنا إلى الفرق الشاسع بينهما في فعالية اللغة لصالح التلاميذ وحيدي اللغة، حيث عمد هذا الصنف الأخير من التلاميذ بصفة عمة إلى توظيف مختلف السير اللغوية الخبرية والإستفهامية بطرق متباينة، وإدخال الحقيقة والخيال، الخطاب المنقول، وتنويع الأدوات على مستوى التسلسلات الصغرى لإضفاء لمسة جمالية لغوية من شأنها توضيح المحتوى وتشويق القارئ للأحداث، وهو مايعكس تطور ونضج العمليات الذهنية واللغوية لدى أولئك التلاميذ، إضافة إلى احترامهم لمبادئ الوضوح والإنسجام في القصة مما يجعل سردهم يتصف بالفعالية اللغوية. وذلك على العكس من التلاميذ ثنائيو اللغة الذين اقتصر سردهم على استعمال سيرة الوصف فقط (واستعمال ضئيل لسير لغوية أخرى من طرف القلة منهم)، مع الإقتصار على استخدام أدوات محدودة على مستوى التسلسلات الصغرى وعدم تنويعها، مما يفقد النص من جماله اللغوي ووضوحه، وهو مايعكس ضحالة وضمور توظيف العمليات المعرفية واللغوية لدى أولئك التلاميذ، إضافة إلى عدم احترامهم لمبادئ الوضوح والإنسجام في القصة، مما يجعل سردهم لايتصف بالفعالية اللغوية. هذا مايجعلنا نصل إلى نفي فرضية دراستنا هذه التي تنص على أن ثنائيو اللغة هم أكثر فعالية لغوية مقارنة بأقرانهم وحيدي اللغة، حيث تبين لنا من خلال الدراسة والتحليل لعينة البحث أن الفعالية اللغوية كانت لصالح التلاميذ وحيدو اللغة (عربية فقط)، على العكس من ثنائيو اللغة (تارقية/عربية) الذين لايمتلكون هذه الخاصية.

الخاتمة:

إن تحليل اللغة من منظور نفسولغوي يتطلب منا القيام ببعض الخطوات بغية الوصول إلى فعالية اللغة من عدمها عند الحالة، على العكس من المعيار اللغوي الذي يستند أساسا إلى تنوع المعجم اللغوي وسلامة التراكيب النحوية والصرفية، هذا ماجعلنا نلجأ إلى استعماله في هذه الدراسة من أجل معرفة تأثير ثنائية وأحادية اللغة على الجانب اللغوي للتلميذ، التي جاءت نتيجتها أن وحيدي اللغة (عربية فقط) هم أكثر فعالية لغوية مقارنة بأقرانهم ثنائيي اللغة (تارقية/عربية)، حيث تبين لنا من خلال التحليل أن وحيدو اللغة بصفة عامة لديهم سيطرة على مهاراتهم اللغوية جعلتهم يقومون بتنويع السير اللغوية، واحترام مبادئ الوضوح على مستوى التسلسلات الكبرى، واحترام مبادئ الإنسجام على مستوى التسلسلات الصغرى، الأمر الذي جعل خطاباتهم تتصف بالفعالية اللغوية، الشيء الذي افتقدناه في تحليل نشاط السرد لدى ثنائيي اللغة.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1/ أندريه مارتينيه: الثنائية الألسنية والإزدواجية الألسنية؛ دعوة إلى رؤية دينامية للواقع، ترجمة نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد11، 1990، مركز الإنماء القومي، بيروت.

2/ جمعة سيد يوسف: اللغة والمرض العقلي، 1990، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

3/ حنان إسماعيل عمايرة: الإزدواجية والخطأ اللغوي، مجلة دراسات، العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد 34، العدد الأول، 2007، ص ص56-.69

4/ راقم سهام: أثر الإزدواجية اللغوية المبكرة على النشاطات المعرفية، إشراف: نواني حسين، أطروحة ماجستير في علم النفس اللغوي والمعرفي، جامعة الجزائر، 2007/.2008

5/ عبد السلام خالد: العلاقة بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية من منظور معرفي، مجلة دراسات، جامعة الأغواط، العدد 20ب، جوان 2012، ص ص1-.24

6/ محمود، إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية،" المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية"، المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة 1442هـ / آذار2002م.

قائمة المراجع باللغة الاجنبية:

1/ Albert, M. and Obler, L. (1978) The Bilingual Brain. NewYork: Academic Press.

2/ Bloomfield, L. (1933). Language. NewYork: Holt, Rinehart and Winston.

3/ Brown, C., Dubuque, W., (1971): Guiding Children's language learning, North Western University Publication.

4/ Dymman, A., et al: Children with Learning Disabilities; Conditioning, Differentiation and the Effect of Distraction. In; Westman, J: Handbook of Learning Disabilities; AMultisystem Approach, 1990, Allyn & Bacon, Boston.

5/ Eco, U, (1983): Semiotics and the Philosophy of Language. In; Westman, J: Handbook of Learning Disabilities; AMultisystem Approach, 1990, Allyn & Bacon, Boston.

6/ Laura, J. (2010): Communication ; Sciences & Disorders, 2nd Ed, Allyn & Bacon, Boston.

7/ Lerner, J., Beverly, J., (2012): Learning Disabilities and Related Mild Disabilities. 12th edition, Wadsworth, USA.

8/ Lerner, J., Beverly, J., (2012): Learning Disabilities and Related Mild Disabilities. 12th edition, Wadsworth, USA.

9/ Macnamara, J. (1967). The Linguistic independence of bilinguals, Journal of Verbal learning and verbal Behavior, 6, PP. 719-736.

10/ Nicolosi, L., et al. (1989): Terminology of Communication Disorder; Speech-Language-Hearing, Williams & Wilkins, Philadelphia.

11/ Nouani, H. (1994): Les conduites langagière et la norme scolaire. In psychologie, N°04, SARP, Alger.

12/ Nouani, H. (1995-1996): Ebauche d'analyse du discours » In psychologie. Université d'Alger N°05,06, CNC Unité d'édition Rouiba. Alger. PP213-239.

تاريخ الاستلام: 2017/01/18- تاريخ التحكيم: 2017/03/01 -تاريخ النشر2017/06/30

المسألة الديمغرافية لدى الفكر الخلدوني

د.فضيلة شعوبي (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)

د.عادل سيدي يخلف(جامعة تلمسان – الجزائر)

ملخص:

ينسب العديد من الديمغرافيين جذور نظرية الانتقال الديمغرافي إلى الأمريكي وارن تومسون سنة 1929، ويجري الاعتقاد بتطويرها على يد كلاً من أدولف لندري وفرانك نوتستاين، والحقيقة أن مثل هذا الطرح قد احتل حيزا هاما لدى الفكر الخلدوني؛ فابن خلدون (1332-1406م) سبق بمُقدمته الشهيرة الغرب في تحليله لمراحل نمو السكان، إذ أنه قسم هذا النمو لمراحل شبيهة إلى حد ما بالتقسيم الذي نادت به نظرية الانتقال الديمغرافي الحديثة، وعليه يمكن اتخاذ المقدمة ركيزة نبحث فيها عن ابن خلدون الديمغرافي الذي سبق زمانه. ونستعرض في هذه الورقة البحثية عرضا شاملا للنظرية الحديثة، وذلك بتناول جذورها المنسوبة لهؤلاء الغربيين لنعرج بعد ذلك على الفكر الديمغرافي الخلدوني ونستدل بعدها على سبقه وتمهيده لهاته النظرية.

الكلمات المفتاحية: الانتقال الديمغرافي، المواليد، الوفيات، الخصوبة.

Abstract :

The demographic issue with Khaldunien thought

Many demographers attribute roots of demographic transition theory to the American Warren Thompson in 1929 and believe that is developed by Adolphe Landry and Frank Notestein. In reality, such proposal occupied an important place in Khaldunien thought. Ibn Khaldun (1332-1406) have preceded west in his famous preface by his analysis of population growth stages, he divided this growth to steps similar to those described in the modern theory of demographic theory. For this, we can consider his preface as a basis to research on Ibn Khaldun the demograph who precede his time. In this paper we review a global description of modern theory, by addressing its roots affiliate to the western. After, we made a detour on demographic Khaldunien thought, with a deduction on its earliness over the theory.

Keywords: demographic transition, natality, mortality, Fertility.

مقدمة

يعد نمو السكان من أبرز الظواهر الديمغرافية أهمية في العصر الحديث، لذلك عادة ما تكتسيه الدراسات ذات الطابع الديمغرافي، بل من بين الأسباب التي دفعت الباحثين إلى التركيز على دراسة العوامل المؤثرة في تغير السكان ونموهم، هو تزايد عددهم أو تناقصه في المجتمع، ويلخص الديمغرافيون عوامل هذا النمو في عاملين اثنين

هما المواليد والوفيات؛ إذ يمثل الأول عامل الزيادة في المجتمع، بينما يمثل الثاني عامل التناقص فيه. والحقيقة أن تناول مثل هذه القضايا السكانية قديم قدم الحضارات البشرية، فلم يخفى عن العلامة العربي ابن خلدون مثلاً بحوثا من هذا القبيل، ليشكل منها نظرية عن الدورة السكانية للمجتمعات البشرية، والتي أخذت فيما بعد شكلا آخرا وصيغة جديدة تمثلت في نظرية الانتقال الديمغرافي الشهيرة، وذلك لاعتمادها الأسلوب العلمي في تفسير التغيرات السكانية للمجتمع وهو ما جعلها تبدو لنا جديدة في أيامنا هذه. وعليه سنقدم في مداخلتنا هذه توضيحا للجذور الحقيقية لهاته النظرية والتي نسبها الغرب إلى مفكريه من أمثال تومسون وأدولف لاندري ونوتستاين، وذلك بعد التعرف على ما جاء فيها والأسس التي تقوم عليها.

1- نظرية الانتقال الديمغرافي

يستخدم العديد من الباحثين في مجال السكان نظرية الانتقال الديمغرافي، والتي تعتبر من أكثر النظريات الحديثة شُهرة في علم السكان، ذلك أنها تمنح الباحث إطارا نظريا يُمكنه من تحديد وفهم التغيرات السكانية للمجتمع، وقد قدَّمها أصحابها سعيًا منهم لملء الفراغ النظري للدراسات السكانية. و"تشرح هذه النظرية الشهيرة العلاقة بين معدلات المواليد الخام ومعدل الوفيات الخام، وقد استخدمت لتفسير آلية معدلات النمو السكاني في دول أوروبا الغربية" (هاشم نعمة، ف. 2012: 6). هاته الدول التي يُعتقد أنها مرت بثلاث مراحل تطورية مختلفة، حيث انتقلت مع مرور الوقت من مرحلة معدلات مواليد ووفيات مرتفعة إلى مرحلة تنخفض فيها هذه المعدلات.

أ) جذور نظرية الانتقال الديمغرافي

تشير العديد من الدراسات السكانية إلى أن التصور النظري للانتقالية الديمغرافية ظهر مع بدايات القرن العشرين عندما حاول بعض الباحثين وصف الدول وفقًا لمعدلات النمو السكاني، والذي يتولد عن التغيرات الحاصلة في معدلات المواليد والوفيات، لذلك فقد "صيغت النظرية لأول مرة وبشكل كامل من طرف تومسون Thompson عام 1929، ودُرست العناصر الرئيسية من جانب الديمغرافي الفرنسي أدولف لندري Landry عام 1934" (هاشم نعمة، ف. 2012: 6)، لكن صياغتها المتكاملة وضعها الاقتصادي الأمريكي نوتستاين عام 1945.

بعد تجميع شامل لبيانات ديمغرافية خاصة ببعض الدول الأوربية حول المواليد والوفيات ودراستها من طرف وارين تومسون Warren Thompson عام 1929، توصل إلى أنه يمكن تقسيم هذه الدول إلى ثلاث مجموعات أساسية وفقا لنمط النمو السكاني الذي تتبعه، وقد جاءت تقسيماته لهذه الدول كما يلي:

1- المجموعة (أ) وتشمل شمال وغرب أوروبا، وقد بينت نتائج الدراسة أن هذه الدول انتقلت من معدلات نمو طبيعية للسكان مرتفعة إلى معدلات منخفضة، وذلك خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى عام

1927، وبسبب هذه المعدلات المنخفضة للنمو يمكن أن تصطدم هذه الدول بنمو طبيعي سالب يوشك أن يؤدي بها إلى الفناء.

2- المجموعة (ب) وتشمل إيطاليا واسبانيا وسلوفاكيا في وسط أوروبا، وبينت نتائج الدراسة أيضا أن هذه الدول تتميز بمعدلات منخفضة للمواليد والوفيات وبالتالي بمعدل نمو سكاني منخفض، واعتقد تومسون أن معدل الوفيات سيواصل انخفاضه بوتيرة أسرع من انخفاض معدل المواليد، كما بدا له أنه وخلال الثلاثين إلى الخمسين عاما الماضية قد عرفت هذه الدول ظروفا مشابهة لما كانت عليه المجموعة السابقة.

3- المجموعة (ج) وتشمل باقي دول أوروبا الغربية، حيث لم تكن هنا الصورة واضحة المعالم لتومسون فيما يتعلق باتجاه معدلي المواليد والوفيات، بل يمكن للنمو السكاني أن يستمر إلى أن يحقق حد الكفاف.

في عام 1945 قام فرانك نوتستاين بإعادة تناول ما درسه تومسون حيث اقترح إعطاء المسميات الآتية للمجموعات الثلاثة:

1- المجموعة الأولى أسماها الانخفاض الملموس.
2- المجموعة الثانية أسماها النمو التحولي.
3- المجموعة الثالثة أسماها النمو المرتفع.

استنادا إلى الجهود السابق ذكرها في محاولة فهم اتجاهات السكان والتغيرات السكانية للمجتمعات برز مفهوم الانتقال الديمغرافي، "وكان إطلاق هذا المفهوم محاولة للتنظير لهذا التحول الديمغرافي الكبير، ودراسة أسبابه وأبعاده وتأثيراته المستقبلية العميقة على البنية الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمعات دول أوروبا الغربية." (هاشم نعمة، ف. 2012: 7)

لم تتوقف الأبحاث حول الانتقالية الديمغرافية عند هذا الحد، بل تطورت من حالة وصف للنمو السكاني إلى التأكيد على أن كافة المجتمعات السكانية تعيش عملية انتقال ديمغرافي كل بحسب معطياته، فهي بذلك لم تقتصر على الدول الغربية وحسب، بل تعدت إلى الدول النامية لتصبح بعدها نظرية عالمية تركز على الحدود المجالية لفترات ارتفاع أو انخفاض محددات النمو السكاني من مواليد ووفيات وكذا تحديد الأسباب والعوامل المحددة لهذا النمو، هذا وقد قسم الباحثون مراحلها إلى أربعة مراحل اعتمادا على حركتي الخصوبة والوفيات، التي تنتقل معها المجتمعات من مرحلة تتصف بارتفاع لكليهما إلى مرحلة تنخفض فيها معدلات الخصوبة والوفيات مع تفاوت في بداية هذا الانخفاض لصالح الوفيات، وبناءًا عليه يمكننا إيجاز مراحل الانتقالية الديمغرافية فيما يلي:

ب) مراحل الانتقال الديمغرافي

المرحلة الأولى

وتعرف بمرحلة النمو السكاني البطيء وتتسم بمعدلات مواليد ووفيات جدُّ مرتفعة، وتوازنهما أدى إلى نمو ضعيف للسكان؛ ارتفاع معدلات الوفيات يعود إلى انخفاض مستوى الخدمات الصحية وبرامج التطعيم وكذا المجاعات والأمراض وغيرها من العوامل التي تدفع بالمجتمع إلى تبنى سياسة للحفاظ على الخصوبة عند قيمها العليا بُغية تعويض الوفيات، "وقد مرت كل شعوب العالم بهذه المرحلة التي سادت العالم في كل أجزائه حتى القرن السادس عشر تقريبا" (حماد، ع، ق، شقفة، ح. 2015: 103) ولا تزال بعض الشعوب إلى اليوم تعيش هذه المرحلة مثل "وسط وشرق أفريقيا والمجتمعات البدائية في جنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى"(إبراهيم أحمد، س. 1997: 48)

المرحلة الثانية

وتسمى بمرحلة الانفجار السكاني، وتتميز بنمو سريع للسكان يرجع إلى انخفاض ملحوظ في نسب الوفيات (15-25 بالألف) مع بقاء نسب المواليد مرتفعة (40-50 بالألف)، فتتسع الهوة بين المواليد والوفيات، وبالتالي ترتفع نسبة الزيادة الطبيعية لتتجاوز أحيانا 2.5% سنويا. "ويعد التطور التكنولوجي الكبير من أهم العوامل التي مكنت الدول من الدخول إلى المرحلة الثانية، حيث استطاعت بواسطته أن تسيطر على الأمراض الوبائية وأن تخفض من معدل الوفيات بها في فترة قصيرة مع بقاء معدل المواليد مرتفعا" (فتحي محمد، أ. 1989: 133) "فالشعوب في هذه المرحلة ومع وجود الاستقرار واستتباب الأمن وانتشار التعليم والتقدم التقني تدخل في ميادين الطب والزراعة والصناعة، وهذا كله يؤدي إلى انخفاض معدلات الوفيات"(حماد، ع، ق، شقفة، ح. 2015: 103)

المرحلة الثالثة

وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التزايد السكاني المتأخر أو التدني في النمو السكاني، وفيها تستمر الوفيات بالانخفاض وتبدأ معدلات المواليد في التراجع، وينخفض معدل النمو السكاني بعد أن كان قد وصل أقصاه في المرحلة السابقة، وفي هذه المرحلة يأخذ أفراد المجتمع بمحاولة التحكم في مستويات المواليد استجابة لانخفاض معدلات الوفيات، "وذلك عن طريق استعمال وسائل منع الحمل الحديثة وارتفاع معدلات التعليم خاصة تعليم المرأة" (اللجنة الوطنية للسياسات السكانية. 2012: 70)، وتمر بهذه المرحلة معظم الدول المتقدمة وبعض الدول النامية التي أخذت بطرق تحديد النسل وتنظيم الأسرة.

المرحلة الرابعة

وهي المرحلة الأخيرة من الدورة الديمغرافية وتعرف بمرحلة النضج السكاني، وفيها تواصل معدلات الخصوبة انخفاضها إلى أدنى مستوياتها، حتى أنه بإمكانها أن تصل إلى حد الإحلال أو دون ذلك (2.1 طفل/ لكل امرأة)، كما تتناقص الوفيات إلى أدنى مستوياتها ويقل معها تبعا لذلك النمو السكاني "حيث يتراوح بين 0.5 و1

بالمائة سنويا كما هو الحال في معظم دول شمال وغرب أوروبا. وفي أقصى حدود هذه المرحلة قد يحدث نقص طبيعي للسكان كما حدث في فرنسا مثلا بين عامي 1934-1938" (فتحي محمد، أ. 1989: 134).

ومن أهم مميزات هذه المرحلة طول متوسط العمر عند الإنسان ليبلغ 70 سنة أو أكثر، بالإضافة إلى "ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع نسبة الشيوخ وانخفاض نسبة الأطفال إلى مجموع السكان" (حماد، ع، ق، شقفة، ح. 2015: 104) وبذلك تكتمل في هذه المرحلة عملية التحول الديمغرافي، "وبالرغم من أنه يمكن التنبؤ بأن كثيرا من الدول ستصل إلى المرحلة الرابعة في النهاية، إلا أن ذلك الانتقال المرحلي يرتبط بتغيرات كبيرة في التركيب الاقتصادي والاجتماعي في هذه الدول يُمكنها من الهبوط بمعدلات المواليد والوفيات إلى المستوى المنخفض السائد في دول المرحلة الرابعة من الدورة الديمغرافية" (فتحي محمد، أ. 1989: 135).

عموما إن نظرية الانتقال الديمغرافي ما هي إلا اهتمام بمختلف الأطوار التي مرّ بها النمو الديمغرافي في أوروبا، ويمكن تطبيقها على باقي دول العالم التي سوف تشهد نفس المراحل، ولهذا السبب غزت هذه النظرية الدراسات السكانية بصورة مذهلة، لتبدأ بعدها محاولات كثيفة وجادَّة إبَّان ثمانينات القرن الماضي للعديد من الباحثين الديمغرافيين من أجل إحياء وإنقاذ هذه النظرية، لأن الانتقال الديمغرافي في الدول المتقدمة أو النامية أمرٌ معقد.

2- الانتقال الديمغرافي عند بن خلدون

رأينا فيما سبق كيف أن الانتقال الديمغرافي هو صيرورة حتمية تمرُّ بها معظم الدول المتقدمة وحتى النامية منها، ويمكن أن تطول مدة هذا الانتقال أو تقصر بحسب درجة تطور البنية الاجتماعية-الاقتصادية للدول. والحقيقة أن هذه الخاصية لا تقتصر على المجتمعات الحالية وحسب بل تمتد جذورها إلى الأمم الفارطة، لذلك لم تخلو كتابات المفكرين والباحثين القدامى من تناول مثل هذه القضايا الديمغرافية، فعلى غرار المفكر العربي ابن خلدون الذي أسهم بشكل كبير في إثراء المعرفة العلمية السكانية، كان من المدهش أن يتوصل في تفكيره إلى ما يُعرف اليوم بنظرية الانتقال الديمغرافي.

سنمهد في هذا الجزء من هذا البحث بتعريف وجيز لحياة ابن خلدون وما اكتنفه من ظروف واضطلع به من أعمال ساعدته على استخلاص أفكاره السكانية، لنحدد بعد ذلك مراحل الانتقالية الديمغرافية التي ذكرها هذا العلامة في مؤلفه المقدمة، محاولين بذلك المقارنة بينها وبين ما جاء به المفكرون من بعده، وستبدو لنا هذه الأمور شواهد على عبقريته، حتى أن معاصروه وكذا الذين جاؤوا من بعده على مدى القرون الأربعة التالية له، لم يتمكنوا من أن يتابعوه في تفكيره، فضلا على أن يحاولوا تكملة بحوثه وتنقيحها.

أ) العوامل المؤثرة في فكر بن خلدون

لا يمكن لأفكار المرء أن تولد من عدم، بل يحصل عليها تدريجيا بناءا على تراكمات يعيشها الفرد في المجتمع ويخضع لها. فعادة ما تقترن أفكارنا بطبيعة العالم الذي نعيش فيه وتتحدد وفقا للظروف التي تمليها علينا البيئة المحيطة بنا، فنتأثر بما حولنا ليكتشف بعضنا أسرارا قد تغيب عن البعض الآخر، ويندرج ذلك كله ضمن فطنة وذكاء الفرد الواحد منا وقوة انتباهه وملاحظاته وإدراكه لما يجري حوله، لذلك فقد تأثر ابن خلدون بمصطلح عصره وأحداثه، واستخدم ذلك المصطلح وتلك الأحداث من دون تمييز حتى صار من العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية.

وبصدد الحديث عن الانتقالية الديمغرافية عند ابن خلدون يكفينا النظر إلى عصره لنلمس حقيقة واقعه الذي انطلق منه في كتاباته في هذا الشأن، إذ أن جملة الظروف التي لابست حياة ابن خلدون أبرزت الحس العام بأفكاره السكانية في عالم تسوده الفتن والاضطرابات علاوة على الأمراض الوبائية كالطاعون الجارف الذي أودى بحياة العديد من السكان.

ولد ابن خلدون بتونس عام 1332 من أسرة تتصف بالعلم والأدب، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ. ولم تكن حياة ابن خلدون حياة هدوء واستقرار، بل كانت حياة صاخبة مضطربة، تفيض بما كان يخوضه من مغامرات، ويصيبه من كوارث. فقد "نشأ في عصر اتصف بالانحلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ففي أيامه بدأ ظل الدولة العربية الإسلامية يتقلص عن الأندلس، وكانت الثورات والفتن تعم شمال إفريقيا نتيجة للتقسيمات الإقليمية وتفشي العصبيات النسبية. وفي المشرق كان تيمولنك يجتاح الشام بجحافله وجيوشه ويهدد مرة أخرى العرب في وطنهم الكبير، بالإضافة إلى ما تعرض له عرب المشرق من طغيان الأعاجم وارتقائهم إلى مناصب الملك والأمارة يسوسون بلاد العرب ما جعل العربي بحق غريبا في بلاده" (محمد الدرويش، ع، ا. 2004: 55)، وعليه فقد نشأ ابن خلدون وترعرع على أنغام ذهاب أمجاد أسرته، وتفكك دولتهم، الأمر الذي جعله يقضي "قرابة الخمسة وعشرين عاما من حياته متنقلا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط وبعض بلاد الأندلس" (علي عبد الواحد، و. دون سنة نشر، 9).

لقد كان من بين أهم الأحداث المميزة لعصر مفكرنا هذا، هو حادث الطاعون الذي انتشر في معظم أنحاء العالم شرقيه وغربيه، والذي راح ضحيته والديه وأساتذته، وقد أطلق ابن خلدون على هذا الوباء اسم "الطاعون الجارف" لأنه طوى البساط بما فيه على حد تعبيره، وقد ذكره في مقدمته قائلاً: "لم أزل منذ نشأت وناهزت مكبًّا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دور العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهم الله". (وافي علي ،ع، و. 2014: 46).

اعتزل ابن خلدون الحياة أواخر أيام عمره، ليتفرغ للكتابة والتأليف وذلك بتسجيل ملاحظاته ومشاهداته فخرج لنا بمقدمته الشهيرة، واتخذ من العلم طريقا وبه ختم حياته عام 1406 م، واستطاع بتلك التجربة القاسية من حياته أن يمتلك صرامة موضوعية في البحث والتفكير، وسعة اطلاع على ما كتبه القدامى على أحوال البشر.

وقد كان ذهنه المتوقد وتفكيره الناضج واستعداده العلمي خير دافع له على التعمق في الظواهر السكانية، ويبقى ابن خلدون هذا المعجزة العربية، شاهدا اليوم على عظمة الفكر العربي والإسلامي المتميز بالدقة والجدية العلمية والقدرة على التجديد لإثراء الفكر الإنساني.

ب) ملامح الفكر الديمغرافي الخلدوني

يعد ابن خلدون من أوائل المفكرين الذين تناولوا في كتاباتهم قضايا السكان، وبدت أفكاره السكانية واضحة في العديد من فصول مقدمته، فهو وإن لم يفرد فصلا خاصا للمسألة السكانية إلا أن القراءة المتأنية للكتاب الخلدوني تمكن الدارس لعلم السكان من استنتاج بوادر فكر سكاني، هذا الفكر الذي يعد إرث مشترك للإنسانية جمعاء كان من الممكن أن يتطور لو تواصلت الدراسات وتعمقت بعد ابن خلدون. وفيما يلي سنحاول حصر بعض المواضيع السكانية التي تناولها ابن خلدون بالبحث دون أن ندعي أننا سنوفيها حقها، وكيف نستطيع ذلك وفي كل يوم نكتشف الجديد حول هذا العلامة.

ممَّا يُذكر عن ابن خلدون أنه "تحدث في كتابه الأول «العمران البشري»، عن القضايا السكانية، مركزا بذلك على أهمية العنصر السكاني الذي اعتبره من المقدمات الأساسية في ازدهار الأمم ونهضتها الاقتصادية والاجتماعية. فازدهار العلوم والصناعات وتوفر الخيرات المادية والثقافية مرتبط بالعنصر السكاني وكثافته، هذا وقد اعتبر ابن خلدون أن هناك علاقة بين التدهور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفوضى السياسية وبين النقص السكاني" (طعم الله، خ. على الموقع https://ar-ar.facebook.com).

وحين يذكر ابن خلدون مصطلحات مثل؛ الموتان وضعف التناسل وكثرته وهجرة سكان البدو وزيادة عدد السكان الذي يؤدي إلى تقسيم العمل فما هو إلا حديث عن أمور أساسية يتناولها كل باحث ديمغرافي. وإذا ما ذكرنا تزايد حجم السكان والذي يعد من الحقائق الديمغرافية المسلم بها وذات الأهمية البالغة في كل المجتمعات بدوها وحاضرها، يشير صاحب المقدمة إلى ذلك حين يخالف ما ذهب إليه المسعودي في أن عدد جيوش بنو إسرائيل في التيه كان ستمائة ألف أو يزيدون، وهو عدد مُضاعف من سبعون فردا لبني إسرائيل أثناء دخولهم مصر، ويعلق ابن خلدون على هذا العدد بقوله "أن هذا الرقم تحكُم القوانين التي يخضع لها التزايد السكاني بعدم إمكان صحته.... ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد" (وافي علي،ع، و. 2014: 194).

وبهذا الفكر وهذا المنطق يبدو أن ابن خلدون يُشابه ما جاء به العلامة الانجليزي روبرت مالتوس (1766-1843) من أفكار سكانية، هذا العلامة الذي كثيرا ما يُنسب إليه الفضل الأول للاهتداء إلى الجانب العلمي في تزايد السكان على اعتبار أنه قد أشار إلى ظاهرة تزايدهم صراحة عام 1803 حينما قال بأن الرخاء يؤدي إلى زيادة عدد السكان؛ إلا أن نسبة الزيادة في السكان تفوق نسبة الزيادة في المواد الغذائية، وذلك لأن

السكان في اعتقاده يتزايدون بمتوالية هندسية بينما تتزايد المواد الغذائية بمتوالية عددية، ولن يتحقق التوازن إلا بنقص عدد السكان من خلال بعض الأزمات الاقتصادية على حسب وصف مالتس.

يُظهر إمعان الفكر في مقدمة ابن خلدون أن هناك اختلاف بينه وبين ما ذهب إليه مالتوس في أن نهاية الدولة يكون بسبب نقص الغذاء، بينما يذهب ابن خلدون إلى أن نهايتها يكون عن طريق الانغماس في الشهوات والترف وضعف العصبية.

والواقع أن مقدمة بن خلدون قد سبقت في الظهور كتاب مالتوس في تزايد السكان بأربعة قرون، وأشارت في صراحة إلى قوانين تزايد السكان كما أشارت إلى العوامل التي تحد من هذه الزيادة، والتي من أهمها الظروف والأحداث الطبيعية كالأوبئة والقحط وما ماثل ذلك " (وافي علي ،ع، و.2014: 66).

وعليه فإن النظرية الحديثة للسكان والتي يعتبر مالتوس واضعها الأول لم تُخلق من عدم بل يمكن اعتبارها تتويجا لجهد فكري غابر في تاريخ الإنسانية مهَّد له بن خلدون الذي كان سابقا في بحوث مقدمته لتفكير عصره بعدة مراحل.

ج) مراحل الانتقال الديمغرافي الخلدوني

أسدى ابن خلدون إلى الفكر السكاني خدمات جليلة لا تقدر بثمن، فهو من أساتذة الفكر القلائل الذين خلفوا وراءهم تراثا منافسا للفكر العالمي، ولقد عرضنا فيما سبق بعضا من صوره الديمغرافية، وسنعرج الآن في هذا الجزء على جانب آخر مهم من الكتابات الخلدونية في مجال علم السكان، والتي غفل عنها العديد من الديمغرافيون المحدثون في مشارق الأرض ومغاربها، ويتمثل ذلك في تناوله للنظرية العالمية الشهيرة المسماة بنظرية الانتقال الديمغرافي، وفي هذا الشأن يذهب ابن خلدون إلى "أن المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحة، إذ يشهد المجتمع في المرحلة الأولى من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم، وعندما ينتقل المجتمع إلى المرحلة الأخيرة من تطوره يشهد ظروفا ديمغرافية مخالفة تماما، حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات، وذلك باعتقاده في أن الخصوبة العالية في المرحلة الأولى من تطور المجتمع ترجع إلى نشاط السكان وثقتهم ومقدرتهم، أما في المرحلة الأخيرة من تطور المجتمع فتظهر المجاعات والأوبئة والثورات والاضطرابات" (مطير الشمري، ع، نغم، أ. 2012) ونعرض فيما يلي تفصيلا لهاته المراحل المذكورة، وسنحاول بذلك توضيح مدى مطابقة التقسيمات التي نادى بها ابن خلدون لما يُصرَّح به اليوم من مراحل للانتقالية الديمغرافية.

المرحلة الأولى

وتتميز هذه المرحلة بزيادة معدل الخصوبة والمواليد وانخفاض معدل الوفيات وهي الفترة التي تُستغرق للانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة أي من حياة البساطة والاقتصار على الضروري من العيش، إلى حياة الرفاهية والتفنن في الترف وهو ما يعني استمرار هذه المرحلة إلى أن تبلغ الحضارة أوجها. وهو أمر طبيعي لأنه في مرحلة بناء الدول تكون هناك حاجة ملحة لعدد كبير من السكان، فمراتبها واتساع ايَّالتها مرهون بقوة العصبية التي إنما هي بكثرة العدد ووفوره، ولذلك كان "عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها، على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة" (الجابري، م، ج. 1994: 246). هذا علاوة على أن الترف بحسب ابن خلدون "يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها" (وافي علي ،ع، و.2014: 342)، ويعلل ذلك بقوله: "...والسبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا أيضا من الموالي والصنائع وربيت أجيالهم في جود ذلك النعيم والرفه فازدادوا به عددا إلى عددهم وقوة إلى قوتهم بسبب كثرة العصائب حينئذ بكثرة العدد" (وافي علي ،ع، و. 2014: 342).

ويذكر أيضا في هذا الشأن في الفصل الحادي والخمسين من المقدمة أن "الدولة في أولها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيَّالتها إما من الدين إن كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول، وإذا كانت الملكة رفيقة محسنة انبسطت آمال الرعايا، وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفَّر، ويكثر التناسل، وإذا كان ذلك كله بالتدريج، فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل" (الزغبي، أ. 2001: 337).

إن التفكر فيما يرويه صاحب المقدمة يوحي بشبه كبير بينه وبين ما جاء به الديمغرافيون المحدثون وعلى رأسهم نوتستاين فيما يخص المرحلة الثانية من مراحل نظرية الانتقال الديمغرافي، والتي تنص على تراجع معدل الوفيات لينخفض عمَّا كان عليه في السابق مع بقاء معدل المواليد مرتفعا، إلا أنه تجدر الإشارة إلى وجود اختلاف في تحديد أسباب ذلك، فيبدو أن العامل المهم عند ابن خلدون في زيادة المواليد هو الملك والترف بينما يتلخص هذا العامل عند نوتستاين في ارتفاع مواليد المرحلة الأولى لتعويض الانخفاض الحاصل في الوفيات، والذي يستمر إلى غاية المرحلة الثانية ولا يمكنه أن يتراجع إلا إذا تغيرت الظروف الاجتماعية التقليدية وكذا الاقتصادية بالإضافة إلى تغير المؤسسات التي تشجع المستويات المرتفعة للخصوبة.

2- المرحلة (الأخيرة) الثانية

في هذه المرحلة تتفسخ العصبية المؤسَّسة وتفقد حلاوتها بسبب عوائد الترف الذي بلغ غايته وانحطاط الأخلاق والإنفاق الزائد، فينتقل المجتمع من تطوره وينخفض معدل الخصوبة والمواليد ويرتفع معدل الوفيات بسبب تفشي الأمراض والأوبئة وكثرة الهرج والقتل وعموم الفوضى والفساد ممَّا يقلل من نشاط السكان وينقص من خصوبتهم، وفي هذا الصدد يقول صاحب المقدمة وبالتحديد في الفصل الرابع والعشرون الذي عنوانه في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء "ما يحصل في النفوس من التكاسل إذا مُلك أمرها عليها،

وصارت بالاستبعاد آلة لسواها، وعالة عليهم، فيقصر الأمل ويضعف التناسل؛ والاعتمار، إنما هو عن جدة الأمل، ...فإذا ذهب الأمل بالتكاسل وذهب ما يدعو إليه من الأحوال، وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم، تناقص عمرانهم" (محمد الدرويش، ع، ا. 2004: 284).

كما يعتبر ابن خلدون أن الظلم سببٌ لانقطاع النوع البشري، حيث يقول في الفصل الثالث والأربعون الذي عنوانه «في أن الظلم مؤذن بخراب العمران»: "الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنًا بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران، كانت حكمة الحظر فيه موجودة" (وافي علي ،ع، و. 2014: 699).

ولعل أهم القوانين الديمغرافية التي اهتدى إليها صاحب المقدمة أن وفور العمران آخر الدولة يزيد فيها من كثرة المجاعات والوفيات ويعلل ذلك بقوله: "أما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفَلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة... وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه، أو كثرة الفتن لاختلال الدولة، فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء، وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة... فإن كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة. وهذه هي الطواعين وأمراضها... وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف، فتكثر الحُمَّيات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك. وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة، لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلة المغرم،... ولهذا أيضا فإن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير، كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب..." (الزغبي، أ. 2001: 338).

وهكذا بوصول الدولة لآخر مراحلها يزيد عدد السكان ويكون هرمها وتخلفها وإشرافها على الفناء بقدر ترفها ونعمتها، ذلك أن الحضارة بحسب رأي ابن خلدون مفسدة للعمران. وفي هذه المرحلة "ترتفع الجبايات لسد نفقات حياة الترف، فينقبض الناس عن العمل والإنتاج وتكثر المجاعات والأوبئة، وترتفع الوفيات بسبب كثرة السكان من جهة وللكوارث الديمغرافية الناجمة عن اختلال الدولة واندلا ع الفتن والاضطرابات الممهدة لسقوطها في أطرافها" (حالي، م. 2015: على الموقع: magazine-geo.blogspot.com).

يمكن اعتبار هذه المرحلة من الدورة السكانية لابن خلدون هي المرحلة الثالثة ذاتها من نظرية الانتقال الديمغرافي، وهذا فيما يخص تراجع مستويات الخصوبة والمواليد فقط. وحتى وإن اختلفت الأسباب المعتمدة في تفسير ذلك تبقى هذه الحوادث متماثلة بين النظريتين، ويظهر التناقض جليا بين النظرية الحديثة وبين ما قدمه

العلامة الخلدوني فيما يتعلق باتجاه الوفيات؛ الأمر الذي يدفعنا إلى التريث قليلا وإعادة النظر في معطيات البيئة التي نشأت فيها كلا من النظريتين.

إن الحقيقة التي لا يمكن تفاديها هي أن الفترة التي درسها ابن خلدون لم تتوفر على عوامل وأسباب من شأنها تخفيض الوفيات في آخر الدولة، فالكوارث الديمغرافية والمتمثلة في الطاعون والمجاعات التي ضربت سكان المغرب الوسيط وغيره وأهلكتهم بكميات مفجعة خلال القرن الرابع عشر الميلادي خلفت وراءها بصمات حالكة في ذهن صاحبنا، "لذلك بدا هذا العلامة أكثر عقلانية عند تناوله لهذه الجائحة التي ربط وقوعها بهرم الدولة وبلوغ الغاية من مداها، حيث كثرة الموتان في أواخرها" (حالي، م. على الموقع: magazine-geo.blogspot.com).

وعليه فالكوارث الديمغرافية تبدو في نظر ابن خلدون وكأنها قوانين طبيعية تَنتج آثارها عند تحققها، لذلك حمَلت النظرية الخلدونية وبشكل بارز طابع العصر الذي عاش فيه صاحبها، وبصفة خاصة طابع الأحداث التي شارك فيها أو لمسها عن قرب. غير أن هذه الحقيقة لم تكن موجودة خلال الفترة المدروسة من طرف نوتستاين فالتطور العلمي والتكنولوجي وكذا التقدم في مجال العلوم الصحية ساهم في القضاء على مثل هاته الأمراض الوبائية، وبذلك تمكنت العديد من الدول من خفض معدلات وفياتها بعدما كانت مرتفعة وبالتالي دخولها للمرحلة الثالثة من مراحل التحول والمتميزة بمعدلات وفيات منخفضة مع مواليد شارفت على الانخفاض أيضا.

بالرغم من رهافة الحس الذي يُميز علامتنا إلا أننا نجده قد أهمل الطور التقليدي والبدائي الذي يسبق مرحلة الانتقال الديمغرافي والمتميز بارتفاع معدلات الوفيات والمواليد معًا. ولعل ابن خلدون لم يلاحظ جانب التحول الديمغرافي في الأمم الأخرى لذلك انحصرت نظريته حول الدورة السكانية في المغرب والمشرق الإسلامي فقط، ولو أنه أسقط نظريته على العالم كله لاكتشف المرحلة السابقة للمرحلة الأولى التي ذكرها في نظريته أي المرحلة البدائية. وعموما تبقى القواسم المشتركة بين الانتقالية الديمغرافية وبين ما جاء به صاحب المقدمة متمثلة في أن كلا منهما اهتم بدراسة مختلف الأطوار التي مرّ بها النمو السكاني خلال حقبة زمنية معينة، وذلك بتقسيم هذا النمو إلى مراحل وفقا لاتجاه معدلات المواليد والوفيات.

خاتمة

لم تكن أبحاث المهتمين بالدراسات الخلدونية من الناحية الديمغرافية مستوفيةً كما هو الحال بالنسبة إليها من الناحية الاجتماعية والتاريخية وحتى الاقتصادية منها، فإذا كان احتفاظنا للفكر الخلدوني بهويته التاريخية-الاجتماعية والاقتصادية ضرورة تفرضها المنهجية العلمية، فإن ذلك لا يمنعنا من التمعن في المجهود الفكري لصاحب المقدمة من أجل استيعاب الفكر العلمي السكاني، فالنظر مثلا إلى المسألة الديمغرافية في بعدها الانتقالي يجعلنا نعتقد أن ابن خلدون كان رائدا لعصره بعمق ما توصل إليه في عصور لم تكن مهيأة للانتفاع به وبآرائه، ولو

أن البحوث تواصلت بعده لتوسعت في التحليل لتؤكد أنه كان من الضروري منذ زمن بعيد التخطيط للانتقالية الديمغرافية، وذلك قبل مجيء تومسون وأدولف لندريه وكذا فرانك نوتستاين، ويدخل هذا كله ضمن إطار الحداثة الفكرية المعاصرة.

المراجع المعتمدة:

1) إبراهيم أحمد، سعيد. (1997). أسس الجغرافيا البشرية والاقتصادية. سوريا. منشورات جامعة حلب.

2) الجابري، محمد عابد. (1994). فكر ابن خلدون –العصبية والدولة- ط 6. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

3) حالي، محمد. (1 جانفي 2015). الديمغرافيا التاريخية للمغرب الوسيط من خلال تاريخ ابن خلدون. مجلة جغرافية المغرب. استرجعت بتاريخ: 12 أوت 2016 على الموقعmagazine-geo.blogspot.com

4) حماد، عبد القادر. شقفة، أشرف حسن. (2015). دراسات في الجغرافيا البشرية. ط 1. عمان. دار فضاءات للنشر والتوزيع.

5) الزغبي، أحمد. (2001). مقدمة ابن خلدون. بيروت. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

6) طعم الله، خميس. (2012، 12 ماي). المسألة الديمغرافية عند ابن خلدون. استرجعت بتاريخ: 12 أوت 2016 على الموقع https://ar-ar.facebook.com

7) فتحي محمد، أبو عيانة. (1989). دراسات في الجغرافيا البشرية. دار المعرفة الجامعية.

8) اللجنة الوطنية للسياسات السكانية. (2012). تحليل الوضع السكاني في العراق 2012. التقرير الوطني الثاني حول حالة السكان في إطار توصيات المؤتمر الدولي للسكان والتنمية والأهداف الإنمائية.

9) محمد الدرويش، عبد الله. (2004). مقدمة ابن خلدون. ط 1. ج 1. دمشق. دار يعرب للتوزيع.

10) مطير الشمري، عماد. نغم، اكرم. (8 نوفمبر 2012). الأفكار السكانية في كتابات ابن خلدون. مؤتمر"ابن خلدون: علاّمة الشرق والغرب". جامعة النجاح نابلس.

11) هاشم نعمة، فياض. (2012). دراسة العلاقة بين الخصوبة السكانية والمتغيرات الاجتماعية–الاقتصادية. الدوحة. قطر. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

12) وافي علي، (عبد الواحد. دون سنة نشر). عبد الرحمان ابن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر عبقريته. مكتبة مصر.

13) وافي علي، عبد الواحد. (2014). مقدمة ابن خلدون. ط 7. ج 1. مصر. دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.

14) وافي علي، عبد الواحد. (2014). مقدمة ابن خلدون. ط 7. ج 2. مصر. دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.

تاريخ الاستلام: 2016/11/21- تاريخ التحكيم: 2017/02/22 -تاريخ النشر2017/06/30

العنف ضد المرأة:قراءة سوسيولوجية في ضوء مؤشرات إحصائية –المجتمع التونسي أنموذجا

د. هادية العود البهلول

مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية – تونس

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

تناولت هذه الدراسة قضية "العنف ضد المرأة في المجتمع التونسي ". وتنقسم إلى محورين أساسيين:

أولا، أهم المقاربات السوسيولوجية لظاهرة العنف عموما، وضد المرأة خصوصا

ثانيا، قراءة سوسيولوجية لأهم المؤشرات الإحصائية حول ظاهرة العنف ضد المرأة في تونس

أفضت هذه الدراسة في النهاية إلى تبيّن أن "العنف ضد المرأة" هو حقيقة سوسيولوجية بامتياز.

الكلمات المفتاحية: عنف، تنشئة، ذكورة، إحباط،المرأة

Résumé :

La présente étude aborde la question de « la violence à l'encontre des femmes en Tunisie », et elle est de deux axes fondamentaux :

1/les principales approches sociologiques de la violence en général et à l'encontre des femmes en particulier.

2/ une lecture sociologique des résultats d'enquête nationale en Tunisie sur ce phénomène.

Cette étude a mené à la fin à la conclusion que «la violence à l'encontre des femmes» est un véritable «construit social ».

Mots clés: violence, socialisation, masculinité, féminité, ...

مقدمة

إن ظاهرة "العنف ضد المرأة" ظاهرة ضاربة في القدم، فمنذ أن كانت المرأة في العصر الجاهلي تُباع وتُشترى وتُوأد وهي حيّة، قرون مرّت وحضارات تعاقبت، وإنجازات علمية وتكنولوجية هائلة تحققت في كافة المجالات، إلاّ أن الإنسان ما يزال ينظر إلى المرأة بدونية ولم يستطع أن يتغلّب على منهج العنف في التفاعل معها. كما "لم تفلح سيرورة البشر التاريخية والحداثة بمجتمعاتها المدنية في فسخ بنية الرموز والأساطير" (الربيعي، ج. 2006: 24) التي تنحاز لثقافة الذكورة. إذ مازال هذا الموروث الثقافي متجذّرا في التمثّلات الجماعية وتتناقلها الأجيال عبر التربية ويستبطنها الرجال وحتى النساء.

فالعنف ضد المرأة هو ظاهرة في غاية الخطورة وهو مسّ بكرامتها وإنكار لإنسانيتها. وبالتالي فهو خرقٌ صارخ لحقوق الإنسان وله انعكاسات وخيمة على المجتمع، خاصة وأن أعلى نسب العنف ضد المرأة تقع داخل الأسرة، وداخل الثنائي الزوجي بالأساس (تقرير المسح الوطني، 2011). وقد أشار الانثروبولوجي البريطاني مالينوفسكي إلى "أن العدوان –مثل المحبة- يبدأ من البيت"(Malinowski, B. 1948: 44) كما أكدت نظرية

"التعلم الاجتماعي" لألبار باندورا على أننا لا نولد عنيفين، بل نصير كذلك بتقليد النماذج التي من أولها نموذج الوالدين.

إنَّ دراستنا هذه تُسلّط الضوء على نوع من أهم أنواع العنف انتشارا وهو "العنف ضد المرأة"، وذلك عبر قراءة سوسيولوجية للظاهرة تتخذ المجتمع التونسي مثالا تطبيقيا لها. وذلك لرصد أهم العوامل والأسباب من خلال استقراء المؤشرات الإحصائية المنبثقة عن أول مسح وطني حول "العنف ضد المرأة" في تونس (2010)، وبعض المؤشرات الإحصائية الرسمية حول "جرائم العنف الزوجي" في المجتمع التونسي.

شهدت أوضاع المرأة في تونس تطورا كبيرا، وعرفت العلاقات الاجتماعية بين الجنسين تحولات هامة. إذ ساهم التطور التشريعي القانوني منذ ستينات القرن الماضي (بعد إصدار مجلة الأحوال الشخصية في 13 /08/ 1956) في حصول قفزة نوعية في اتجاه إرساء المساواة بين الجنسين والقضاء على التمييز تجاه المرأة، إذ كان من أهم مشاريع قيام الدولة الحديثة مشروع تحرير المرأة وتخليصها من التقاليد الموروثة البالية التي جعلت منها إنسانة خاضعة ومستغلّة في إطار علاقة قوة غير متكافئة. ولتحقيق هذه الأهداف أعطى المشرع التونسي للمرأة عديد الحقوق من أهمها حق "التعلمّ"، كما فتح أمامها فرص "العمل" وتحقيق الذات، كذلك حق "اختيار الزوج " و"اللباس"، و"الخصوبة " و"منع تعدد الزوجات" و"التطليق التعسفي"، وتكريس مفهوم التعاون بين الزوجين وإلغاء واجب الطاعة (1993)، إقرار مبدأ التناصف في القوائم الانتخابية (2011). كما ورد في الدستور الجديد للجمهورية التونسية الثانية (ف.21 /2014) أن "المواطنين والمواطنات متساوون في الحقوق والواجبات، وهم سواء أمام القانون من غير تمييز". وأن "تلتزم الدولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة [...ٍ] وتتخذ التدابير الكفيلة بالقضاء على العنف ضد المرأة"(ف.46). كما صادقت الدولة التونسية على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز تجاه المرأة (سيداو) سنة 1985 مع تحفظات بشأن بعض الفصول، إلى آخره من الإجراءات للرقي بوضع المرأة .

إلاّ أن هذا التطور المؤسسي التشريعي لم يوازه تطور واقعي إذ مازالت المرأة التونسية تعاني من مظاهر الإقصاء والتمييز والعنف. فهناك بون شاسع بين النص القانوني والواقع، فالثقافي لم تغيره القوانين. " فعلى مستوى الواقع لابد من الاستنجاد بما يسميه البعض "البناء الاجتماعي الثقافي للنوع (Fournier, M. 2005). فالموروث الثقافي الأبوي الذكوري ما زال يكرس دونية المرأة ويوجه سلوكيات الرجل تجاهها في كل أماكن العالم تقريبا. ففي تونس على سبيل المثال، تبيّن من خلال الإحصائيات القضائية في العشرية 2012/2002 أن 85% من جرائم العنف الزوجي الجسدي قام بها الرجال (إحصائيات وزارة العدل تونس،2013) كما تمّ تسجيل 551 جريمة "عنف شديد مجرد" تجاه المرأة لدى المحاكم خلال سنة 2012 /2013، و1426 حالة لدى محاكم النواحي و13 شخصا تمّ الحكم عليهم في جرائم ناجم عنها تشويه تجاه المرأة، و394 شخصا مورطا في "جرائم جنسية" و172 شخصا من أجل جريمة "التحرش الجنسي" مقسمة بين المحاكم الابتدائية ومحاكم النواحي و415 امرأة ضحية العنف في الجرائم الجنسية و186 بالنسبة للفتيات" (جريدة "المغرب".2014/08/15).

2/ في معنى "العنف"

لقد ورد في المعجم النقدي لعلم الاجتماع أن العنف "سلوك لاعقلاني يعود أصله إلى مركب من الميول والمصالح المتخاصمة التي تسبب إلى حد ما انحلال المجموعة نفسها، وأنه في كثير من الحالات سلوك قمعي..." (بودون، ر. وآخرون. 1986: 395). ويعتبر عالم الاجتماع الفرنسي آميل دوركايم في كتابه الانتحار "أنّ العنف هو من الظواهر الاجتماعية التي تكشف عن وجود أزمة متمثلة في تبني القيم، وما يصاحبها من رفض يتجسد في العنف كأداة تعبير أو شكل من أشكال المقاومة" (Durkheim, É.1960 :463).

كذلك، في ظل تشتت معنى لفظة "العنف" بين عديد التخصصات: بين التحليل البيولوجي و النفسي و الأنثروبولوجي والسوسيولوجي ... يكون من العلمي البحث عن المعنى المشترك بين هذه التحاليل التي تحيلنا جميعها على استعمال "القوة" تجاه شخص أو أكثر، مع ما يفرز ذلك من "أضرار" جسدية و معنوية تتفاوت درجات خطورتها. إلا أن هذه "القوة" (المادية أو المعنوية) تأخذ صفة "عنف" حسب المعايير التي تتغير انطلاقا من الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية (رينيه، ج.1992: 74).

*** تعريف "العنف ضد المرأة"**

جاء في تعريف إعلان الأمم المتحدة حول القضاء على العنف ضد المرأة المتبنى سنة 1993 أن " العنف ضد المرأة" هو "أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية البدنية أو الجنسية أو النفسية بما فيها التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة" (المادة 1). و قد أكدت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز تجاه المرأة "سيداو" في توصيتها رقم 19 الصادرة عام 1989 أن العنف ضد المرأة هو شكل من أشكال التمييز على أساس الجنس بالمعنى المقصود به في الاتفاقية وأن التمييز هو سبب من أسباب العنف. وتتجلى العلاقة بين العنف والتمييز في أن أفعال العنف ضد المرأة تتضمن تمييزًا تجاهها واحتقارًا لها، والتمييز يؤدي إلى العنف، كذلك العنف يدعم التمييز، فكثير من الرجال يستعملون العنف الجسدي لفرض الأدوار التقليدية النمطية على النساء ولتقييد حركاتهن.

و يتخذ العنف ضد المرأة عدّة أشكال:

- العنف الجسدي: وهو الأفعال المضرة بحرمة الجسد (بداية من "الرجة العنيفة" وصولا إلى القتل).
- العنف اللفظي والنفسي: وهو أكثر أشكال العنف تواترا (لا سيما بين الأزواج) كالسب والشتم، والتخويف، والتحقير، والتوبيخ، الرقابة والهيمنة على الزوجة ومنعها من الخروج، تشويه الصورة، الخ...
- العنف الجنسي: ويتمثل في كل الأفعال المسيئة للحرمة الجسدية-المعنوية للمرأة

- داخل الثنائي الزوجي: إرغام الزوجة على العلاقة الجنسية دون إرادتها أو رفض ممارسة الجنس معها، أو أشكال أخرى من الإكراه الجنسي. كما يدخل تحت طيه هذا الصنف من العنف "الخيانة الزوجية".
- خارج الثنائي الزوجي: الاغتصاب، الفاحشة، الاستغلال الجنسي.

– العنف الاقتصادي: كالاستغلال المالي للمرأة في العمل، وعدم توفير الحماية الاجتماعية لها. كذلك حرمان الزوجة داخل الأسرة من ضرورات العيش كالغذاء واللباس، إجبار الزوجة على العمل، إجبارها على تسليم مرتبها ومنعها من التصرف في مالها حسب إرادتها، بيع حاجياتها، الخ...

3/ أهم المقاربات السوسيولوجية لظاهرة "العنف ضد المرأة"

نشير في البداية إلى أن "العنف ضد المرأة" هو ظاهرة مركبة: متعددة العوامل والأسباب وفي صلة وثيقة بالتركيبة المعقدة لـ "شخصية" الإنسان. وبالتالي فنظرية سوسيولوجية واحدة فقط تدّعي تفسير هذه الظاهرة المجتمعية أمر غير دقيق. ومن هنا سوف نعمل على تفسير "العنف ضد المرأة" من منظورات سوسيولوجية مختلفة: المنظور السوسيو– الثقافي وهو نفسه المنظور الذي يتبناه التيار النسوي، المنظور السوسيولوجي النسقي والمنظور السوسيولوجي التفاعلي، ونظرية التعلّم الاجتماعي، لننتهي بعد ذلك إلى تفسير الظاهرة من منظور متعدد وشامل بحسب شمولية الظاهرة وتعدد أبعادها.

3 –1/ المقاربة السوسيو– ثقافية لـ "العنف ضد المرأة":

يعتبر مناصرو هذا الطرح السوسيو–ثقافي أن أسباب "العنف ضد المرأة" تعود إلى عوامل مجتمعية غارقة في التاريخ وإلى الموروث الأبوي –الذي هو سابق للموروث الإسلامي– فالأبوية هي نوع من الهيكلية النفسية والاجتماعية التي تكرس لايديولوجيا ذكورية تشرّع للرجل حق الهيمنة على المرأة التي يعتبرها أقل شأنا منه فيسيطر عليها بأساليب متنوعة.

فبالنسبة لهذه المقاربة السوسيولوجية يعدّ العنف ضد المرأة عنفا "أداتيًا" (Karli, P.1994 :11) يرمي إلى المراقبة والسيطرة على الحلقة الضعيفة داخل هذا المجتمع المتمثلة في المرأة والأطفال. ويتخذ العنف أشكالاً مختلفة: فهو جسدي ونفسي وجنسي واقتصادي... . هذا العنف –الذي نعته عديد الدارسين للعنف ضد المرأة بـ "العنف العقوبة" (punishment-violence Karli, P.1994 :11). وهو ما يؤكده الطرح النسوي الذي يعتبر العنف ضد المرأة "أحد الوسائل التي بحوزة الرجال لاضطهاد النساء والمحافظة على النظام الأبوي. ويكمن أصل المشكل –حسب المنظور النسوي– في "تقسيم السلطة" في مجتمع موسوم بالتمييز بين الرجل والمرأة: سلطة الرجل المتمثلة في القوة المادية أو الاقتصادية والأخلاقية أو الرمزية التي تضفي الشرعية على أعماله وتؤدي إلى إخضاع المرأة التي ليس لها هذه السلطة.

إن هذا النموذج التقليدي الأبوي للعلاقات بين الجنسين مازال –حسب عديد الباحثين– قائما إلى اليوم وفي كل المجتمعات ولو بدرجات متفاوتة. فالصورة الدونية للمرأة مازالت قائمة ومستهلكة رغم كل الحداثة وما بعدها وما امتلكته المرأة اليوم من حقوق وثقل مادي ورمزي وسلطة أكثر داخل المجتمع و الأسرة. كما لا تزال هذه الصورة قائمة أيضا حتى بعد عقود من نضال الحركات النسوية الرامية إلى تغيير مكانة المرأة في المجتمع، وأيضا

بعد أن أصبح العنف ضد المرأة اليوم يمثل جريمة يعاقب عليها القانون. إن هذه الصورة الدونية مازالت قائمة أيضا حتى بين الذين يزعمون الانتماء للحداثة من الرجال والنخبة المتعلمة من بينهم.

فقد ورد في تقرير المسح الوطني (تقرير المسح الوطني: 2011) حول "العنف ضد المرأة " في تونس أن إمرأة من بين 5 نساء تقريبا كانت تعرضت إلى العنف الجسدي، وإمرأة من بين 6 نساء كانت تعرضت إلى العنف الجنسي داخل الدائرة الحميمية (من طرف الزوج، الخطيب، الصديق...) على الأقل مرة في حياتها.

ويعتبر علماء الاجتماع أن استمرارية ممارسة "العنف ضد المرأة" الذي "تعددت طرقه وأشكاله لا يدل على وجود سلطة ذكورية مهيمنة فحسب بل على وجود الخضوع النسائي أيضا من حيث الانتصار الدائم لقيم الذكورة من قبل الكثير من النساء أنفسهن"(درويش،ح. 2009: 84) . ومما يؤكد هذا الانتصار لقيم الذكورة في المجتمع التونسي هو أن 55 % من النساء المستجوبات ضمن تقرير المسح الوطني (2011) حول موضوع "العنف ضد المرأة" صرّحن "أن العنف ضد المرأة أمر عادي لا يستحق التطرق إليه" (تقرير المسح الوطني.2011:68). كما تبيّن من خلال الإحصائيات القضائية –سالفة الذكر- أن أكثر من 45 % من الزوجات المعنفات في السنة القضائية 2012/2011 كن تنازلن عن حقوقهن في التتبع الجزائي لأزواجهن بعد أن أدانهم القانون.

كما ترى طروحات أخرى أن التبعية الاقتصادية للزوج وخوف الزوجة من التفقير في حالة مقاضاته وتطليقه هي من أهم أسباب صمت عديد الزوجات عن تعنيف الزوج لهن. وقد لاحظناه شخصيا أثناء قيامنا ببحث ميداني مع عينة من النساء المطلقات في إطار أطروحة الدكتوراه أن عديد النساء يقع تعنيفهن ولا يتركن بيوتهن ولا يشتكين إلى القضاء وذلك بسبب الفقر وغياب السند المادي والمعنوي لهن (بهلول،هـ.2011).

إن هيمنة القيم الذكورية (خشونة، قوة، فحولة، سلطة، عنف...) التي غالبا ما تحدد الهوية الجنسية والاجتماعية للرجل مقابل قيم الأنوثة (لطافة، لين، نعومة، ضعف، طاعة، خضوع، تبعية،...) يتشربها الجنسان من خلال التنشئة الاجتماعية وتتولد عنها تمثلات ومواقف واستعدادات دائمة تعمل كمحدّد أساسي للعنف من حيث قبوله والسكوت عنه لقرون. وقد عبّر السوسيولوجي بيار بورديو عن العنف المتجذر في الثقافة الذكورية بـ "العنف الرمزي"، اللّطيف، غير المرئي وغير المحسوس حتى من طرف ضحاياه. وهي هيمنة مغروسة في اللّاوعي لدى الرجل والمرأة على حدّ سواء إلى درجة أنه لم يقع التفطّن إليها وجعلها محل تساؤل لقرون" ,Bourdieu) (82-81: P.1999. وهو ما يبرر القبول أو الصّمت عن مختلف أنواع العنف البدني والنفسي تجاه النساء وذلك لقوة اندماج هذه القيم في أعماق المرأة والرجل على حد سواء، وكأن الوضع طبيعيا وينزع إلى الإقرار بما هو قائم، وهو ما ترمز له القولة الشعبية في تونس"المرا مرا والراجل راجل" . فعلاقة الهيمنة والسيطرة هذه توجد في كل الفضاءات في المجتمع: داخل أماكن العمل، والمؤسسات التعليمية، والإعلامية، والسياسية بجميع مستوياتها (داخل الأحزاب، الدولة...) أي في كل الأمكنة التي تبرز فيها علاقات الهيمنة والتسلط و ليس فقط في الإطار الأسري كما يعتقد البعض باعتباره الفضاء الذي تتعرى فيه غالبا شخصية الفرد بفعل الاحتكاك اليومي والحميمي.

ففي المجتمع التونسي، رغم ترسانة التشريعات التي وضعها المشرع لرفع الظلم عن المرأة. وكذلك رغم المجهودات الجبارة لدولة الاستقلال في نشر التعليم وإجباريته للجنسين بهدف خلق شخصيات حديثة ورفع مستوى الوعي وتعديل التمثلات الاجتماعية وتغيير الاتجاهات حيال بعض القضايا التي من أهمها المساواة والاحترام بين الرجل والمرأة. يبدو -بناء على نتائج عديد البحوث الميدانية- أنه مازال "الطبع يغلب التطبع" لدى الرجل وحتى المرأة أيضا. فـ"المؤنث الأبدي" و"المذكر الأبدي" —كما نعتهما بورديو- رغم خلخلتهما بالوضع الاجتماعي-الثقافي الجديد مازالا يوجهان اتجاهات المتفاعلين وسلوكهم وهو ما تؤكده النسب المرتفعة من ممارسات العنف ضد المرأة. فالموروث الثقافي الضاغط وقف عائقا أمام تغيّر أدوار النوع بالقدر المأمول ويعاد إنتاجها بوعي أو بغير وعي، إذ "لا يكفي أن يكون تطور الأدوار —كما تقول آن ماري سبينلاي، المختصة في علم النفس الاجتماعي — ناتجا عن التحولات الاجتماعية الاقتصادية فقط بل أن يكون ناتجًا أيضا عن تغيّر المعايير والقيم تبعًا للتغيّرات المادية في الأدوار" (Spinlé, A. M.1995 : 35). إذ أن التطور الثقافي للأدوار من شأنه أن يقرّب وجهات النظر ويحدّ من الصراع لاسيما الصراع العنيف.

فرغم تراجع التقسيم التقليدي للأدوار ومزايا خروج المرأة إلى العمل خارج البيت، فإنّه في الطرف الآخر من المعادلة يبدو أن عمل المرأة خارج البيت ساهم في تعميق مأساة ومعاناة النساء بدلا من تحريرهن من سلطة الذكور كما تتمنى الحركات النسائية إذ غالبا ما يتحول دخل المرأة إلى مصدر إضافي للعنف داخل الأسرة. كما أن "الذكر الأبدي" في أعماق الرجل لا يجعله يقبل بسهولة ما يترتب على عمل المرأة خارج البيت كمساعدتها في شؤون البيت ورعاية الأطفال وهو ما يجعلها تعاني من استغلال مضاعف وتوتر دائم، الأمر الذي يؤدي إلى نشوب خلافات تصل إلى ممارسة العنف بأشكال مختلفة. كما تساهم بطالة الذكور، مقابل تنامي الطلب على العمالة النسائية في عديد المجالات لقبولها بأجور ضعيفة أو متوسطة، في تحميل المرأة تراجع فرص الشغل أمامهم، الأمر الذي يشكل مبررا لبعض الرجال للاعتداء عليهن داخل المجتمع (عدوني ، ع. :75)[1].

3-2/ المقاربة النسقية والتفاعلية لـ"العنف ضد المرأة"

يُعد التحليل السوسيو-ثقافي للعنف تجاه المرأة —على أهميته- غير كاف وحده لفهم الديناميكية الجديدة داخل الأسرة والمجتمع المعاصر بفعل التحولات الاجتماعية التي لحقت بكل أنساق المجتمع والتي أثرت في العلاقات والتفاعلات بين الأفرد. فإذا كان العنف في المجتمع الأبوي يُفترض أن يكون إراديًا هدفه المراقبة والتخويف والهيمنة على الآخر فإن "العنف ضد المرأة" في المجتمع الحديث —حسب التحليل النسقي والتحليل التفاعلي- "علامة symptôme على عملية تواصل مرضية أو عملية تفاعل سلبية وجواب غير ملائم للتوتر والغضب المتأتي من الصراعات بين الجنسين (Jennings , J. P. 1991: 351-362). فهو "عنف تعبيريExpressive violence " (Karli, P.1994 :12) يجب تفسيره بما يحصل داخل المحيط المباشر (Ibid. :78). ولقد "اعتبر الطرح النسقي أن التحليل البنيوي لا يستطيع أن يشرح كل تجليات العنف.

[1] عصام عدوني، مرجع سابق، ص75.

إذ أن العنف ليس ظاهرة فردية وإنما هو تجلي لظاهرة تفاعلية، وبالتالي يكون تفسيرها ضمن سياق علائقي. فكل شخص يمكن أن يكون عنيفًا وليس عنيفًا في ذاته، ولكن يقوم بالعنف ضمن سياق ما أو تفاعل معين. كما يعتبر الاتجاه النسقي أن للعنف دلالاته داخل السياق الاجتماعي فهو نتاج لخلل في أحد الأنساق الاجتماعية مثل النسق الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الأسري.

لقد تعرض الطرح النسقي والتفاعلي لانتقادات لاذعة من التيار النسوي الذي يرى أن التحاليل التي تعتبر أن التفاعلات السيئة بين الجنسين هي سبب العنف بينهما من شأنها أن تساهم في اضطهاد الضحية (المرأة) بتحميلها مسؤولية آدائها في حال ردة الفعل من طرفها (Lechenet, A. & all. 2008 : 45-55). لكن يبدو أن هذه الرؤية النسوية –حسب المنظور النسقي والمنظور التفاعلي- قد تغافلت عن أن الضحية اليوم يمكن أن تكون المرأة كما الرجل أيضا إذ تعتبر آليزابات بادنتار-النسوية المعارضة للتيار النسوي الراديكالي- أن "هناك أيضا عنفا آخر تمارسه النساء في محاولة للتناظر مع الفاعلين الذكور"(Badinter, E. 2005) . وحتى لو كان العنف في نسبة كبيرة منه ذا اتجاه واحد (أي من طرف الرجل) فهذا لا يبرر تجاهل العنف ذي الاتجاهين بين المرأة والرجل ولاسيما داخل الثنائيات الزوجية المتناظرة. إذ تقول إ. بادنتار "بحسب الثنائيات يكون الرجل أو المرأة الشخص "المهيمن" أو "التابع"(Ibid.).

ففي المجتمع التونسي، أصبحت العلاقات بين الجنسين حاليا ولا سيما داخل الأسرة أقل عمودية وأقل سلطوية، ولم تعد تقوم في العديد منها على ثنائية "مهيمن ومهيمن عليه". إذ الوضعية القانونية والاجتماعية الجديدة للمرأة قد رفعت عليها الوصاية ومنحتها حق المواطنة وأهلية الفاعل الاجتماعي. كما أثرت النقلة السوسيو-ثقافية منذ منتصف تسعينات القرن الماضي في اتجاهات الأفراد وغيّرت القيم وطرق التعامل وأعادت تشكيل العلاقات. لكن هذا لم يمح –كما سبق أن بيّنا- الأنماط السلوكية التقليدية. فقد أصبحت هناك عديد القوى المرجعية تدير العلاقات الاجتماعية وهو ما جعل الفاعلين الاجتماعيين يخضعون أكثر فأكثر إلى نموذج شديد الاختلاط" (Ben Nasr, A. 2004: 142) يتراوح بين "الانغلاق والانفتاح" بين "التقليد والحداثة".

مما أنتج علاقات نوعية تشتغل ضمن "اتحاد متوتر" يجمع ويفرق في الوقت نفسه (أنصار، ب.1996: 112)[2]. وهو ما يفسّر أن هذه العلاقات تظل حمّالة للتوترات، إذ أصبح هناك العنف والعنف المضاد، أي لم يعد العنف ذا اتجاه واحد بل عنفا متبادلا يأتي من بعض النساء أيضا سواء بدافع تأكيد الذات أو كردود أفعال دفاعية كما أشار التيار النسوي، وإن كان العنف الذي تمارسه المرأة أقل بكثير مما يأتي من الرجل نظرا للتاريخ الذكوري لظاهرة العنف. فالتّوق إلى المساواة وإلى تعديل ميزان القوى من طرف المرأة مقابل حرص الرجل على عدم التفريط في مكانته في المجتمع وبالخصوص داخل الأسرة هو ما غذّى العلاقة المتوترة بين الجنسين التي تصل في بعض الأحيان إلى استعمال العنف بشكل أو بآخر.

3-3/ نظرية "التعلّم الاجتماعي"

تعتبر هذه النظرية من أهم النظريات شيوعا في تفسير العنف من حيث أنها تساعد على فهم السبب والحلول في الآن ذاته. إذ تفترض أن الأشخاص يتعلّمون العنف بنفس الآلية التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى. وأن عملية التعلّم هذه تبدأ من البيت. فما سيتربى عليه الابن -ذكرا أو أنثى- هو ما سيستبطنه لنفسه ثم لأبنائه. فعندما يجد الطفل أن الوسيلة الوحيدة التي يحل بها والده مشاكله سواء مع زوجته أو جيرانه أو أخيه أو معه هي العنف فإنه يتعلم ذلك (عبد الخالق، أ.م. 1993: 85). فالطفل يتعلم، بالعين أكثر من الأذن، أي بالمشاهدة قبل التلقين. فاختيار العنف من عدمه مسألة "تعلّم". بل أكثر من ذلك يعتبر آلبار باندورا " أن الإنسان لا يقلّد النماذج السلوكية التي يقوم بها النموذج (الوالدين، الإخوة، الجار...) فحسب، بل يتجاوزها عن طريق توليد مهارات جديدة وسلوكيات جديدة تتجاوز تلك التي لوحظت" (Bandura, C.P.2004 :9-50). وعليه يرى جل الدارسين أنّه " ليس هناك أنثى ضحية وذكر عنيف بالطبيعة وإلى الأبد. وإنما "نشأ الأشخاص ضمن مسار يثمّن استعمال العنف..." (Lechenet, A. 2008 :52). فالعنف هو سلوك مرضي مكتسب بواسطة التعلّم، والتجارب، والتكوين. وهو تعبير عن حاجة وعن نقص في كيفية تعلّم "كيف نلبي الحاجة؟"(Bandura, C.P.2004 :9-50) ، فمن يمارس التحرّش والاغتصاب -على سبيل المثال- هو إنسان عاجز عن تلبية حاجته في إطار علاقة سويّة، إذ يشعر أنّه في وضع دوني مقارنة بالضحية التي تمتلك ذلك الشّيء الذي يحتاج إليه (مال، جمال، متعة جنسية، فرصة عمل...). فتكون الضحية -موضوع العنف- هي في الوقت نفسه موضوع تخليصه من وضعية المعانات النفسية التي يعيشها (كبت، إحباط، فشل اجتماعي...).

4/ قراءة لأهم المؤشرات الإحصائية حول ظاهرة "العنف ضد المرأة": **تونس نموذجا: نسبه، أنواعه، ومكان تمظهراته**

ورد في تقرير المسح الوطني (سالف الذكر) حول العنف المسلّط على المرأة في تونس داخل الفضاءات الخاصة والعامة (2010) أن 47.6 % من النساء اللاّتي تتراوح أعمارهن بين 18 و 64 سنة صرّحن بأنّهن تعرّضن على الأقل لشكل من أشكال العنف خلال حياتهن. ومن بين هاته الضحايا هناك 32.9%كن تعرّضن لأحد أشكال العنف خلال السنة السابقة للبحث. كما أن 31.3% من المعنّفات داخل عينة البحث يُقمن في **الوسط المديني**، و15.3% في الوسط الريفي. وهو ما يجعلنا نطرح فرضية أن المدينة بقدر ما تُعلي من قيم الفردانية، والاستقلالية، والحرية فهي في الوقت نفسه لا تلبّي كل الحاجيات، وتحبط الانتظارات، وهو ما قد يولّد التوتر والإحباط فالعنف. كما أن تحرير القيم، والجسد في مجتمع الاستهلاك، وطغيان المادة والصورة في بيئة ثقافية مازالت ذكورية في مجملها وترى في المرأة موضوع لذة ومتعة بالأساس، من شأنه أن يجعل هذه المرأة عرضة للعنف بشتى أشكاله: لفظي، وجسدي، وجنسي...

وقد رصد المسح الوطني أيضا نسبة 51.7% من المعنّفات تتراوح أعمارهن بين 18 و 40 سنة، و 48.2% بين 41- 64 سنة. وقد جاء **"العنف النفسي أو اللفظي" في المرتبة الأولى بنسبة 48.4%**، و

"**العنف البدني" بنسبة 22.5%**، و"**العنف الجنسي" 22.8 %**، و "**العنف الاقتصادي" 11.4%**. ويحدث العنف **بصفة أكثر في الإطار الحميمي**. كما تتعرض المطلقات لأعلى نسب العنف (59.4 % "عنف بدني" و44.8 % "عنف جنسي")، تليها الزوجات.

ففي **إطار الأسرة، يمثل العنف البدني النسبة الأعلى 43%**، العنف الاقتصادي 22.1%، العنف النفسي 16.7%، والعنف الجنسي 3%. أمّا في **مكان العمل فيأتي العنف الجنسي في المرتبة الأول بنسبة 21.3 %**، يليه العنف النفسي بنسب 14.8% والعنف البدني بنسبة 9.8 %. وبمقارنة نسب العنف بين الأطر الاجتماعية، نستنتج أن العنف ضد المرأة في تونس هو عنف زوجي بالأساس. ويعود استعمال هذا العنف لأسباب متعددة: تأتي في مقدمتها "اختلاف وجهات النظر" بين الزوجين، و"الصعوبات الاقتصادية" (تقرير المسح الوطني، 2011: 58). ما يجعلنا نستنتج أن العنف ضد المرأة هو واقعة سوسيولوجية بامتياز يتفاعل ضمنها عاملان: عامل "ثقافي-نفسي" وعامل اجتماعي-اقتصادي.

4-1/ تطور "العنف ضد المرأة" حسب الخاصيات السوسيو- ديمغرافية للمعنفات:

يفيد تقرير المسح الوطني (سابق الذكر) أن العنف "الجسدي والنفسي والجنسي" في تونس **يتراجع مع ارتفاع المستوى التعليمي للمرأة**. فالمفعول الوقائي لـ "التعليم" بالنسبة للمرأة يبدو واضحا. إذ نلاحظ أن نسب ممارسة العنف ضد المرأة-الزوجة الأميّة أو ذات المستوى التعليم الابتدائي أعلى بكثير مما هي عليه بالنسبة للمرأة ذات مستوى التعليم العالي: إذ بلغت نسبة العنف الجسدي تجاه الزوجة الأميّة 17.7% مقابل 8.6% بالنسبة للزوجة المتعلّمة تعليمًا عاليًا. إذ نعتقد أن ما يفسر ذلك هو أن التّعليم يمكّن المرأة من حسن اختيار الشريك، واختيار زوج متعلم، بحيث تكون طرق التفاعل أكثر رُقيا ولينا (أي دون عنف). كما أن المتعلّمة تعليمًا عاليًا تكون غالبا مستقلة اقتصاديًا ولها موارد تدعّم مركزها ونظرة الشريك إليها.

كما بيّنت الإحصائيات نفسها أن **ممارسة العنف بجميع أشكاله ترتفع كلما تدنّى المستوى التعليمي للزوج**. فنسبة ممارسة "العنف الجسدي" تتقلص كلّما كان الزوج ذا مستوى تعليم عالي: 29.7 % من الأزواج الأميّين يمارسون العنف الجسدي مقابل 6.4 % لدى ذوي مستوى تعليم عالي. هذه النتيجة تجعلنا نؤكد مرة أخرى دور"التّعليم" في تهذيب السلوك ورفع مستوى الوعي وتعديل التمثّلات الاجتماعية. وأن اللّجوء إلى ممارسة العنف هو مسألة "ثقافة" و "تعلّم" كما أشار صاحب نظرية "التعلّم" ألبار باندورا بمعنى "لا نولد عنيفين بل نصير كذلك بالملاحظة و"التعلّم".

كما لاحظنا أن نسب العنف تجاه الزوجة بجميع أشكاله **مرتفعة لدى الزوج "دون عمل"** إذ تمثل هذه النسب تقريبا ضعف ما هي عليه لدى الزوج "العامل": بالنسبة للعنف البدني33.9% مقابل 20.3%، بالنسبة للعنف النفسي 46.8 % مقابل 23.7%، أما "العنف الاقتصادي" فهو يمثل ثلاثة أضعاف تقريبا: 11.6% مقابل 32.6%. وهو ما يؤكد نظرية "العوامل الاجتماعية" إذ **تعتبر وضعية البطالة وما يصاحبها من عوز مادي وضعية إحباطية، وكل إحباط يولد لدى الفرد دافعية للعدوان و ممارسة العنف، المادي و**

النفسي وغيره. في حين أن العنف المسلط على الزوجة في علاقته بالوضع الاجتماعي –المهني للزوجة لم تكن له دلالة معبرة –حسب ما جاء في التقرير المذكور- إذ أن الفروق بسيطة بين نسب العنف تجاه الزوجة العاملة خارج البيت والزوجة في البيت: 1% بالنسبة "للعنف الجسدي"، و 2.6 % بالنسبة "للعنف النفسي"، أمّا بالنسبة "للعنف الاقتصادي" فلم ترد في تقرير المسح نسب تذكر رغم أن "العنف الاقتصادي" المتمثل في "تحكم الزوج في مرتب الزوجة" و "الخلافات حول الإنفاق داخل الأسرة" –بناء على نتائج بحثنا في ظاهرة الطلاق في تونس- هما من بين أهم عوامل الصراع الزوجي خاصة في الفئات الضعيفة والمتوسطة (بهلول، هـ.2011: 436-456).

من زاوية أخرى، نريد أن نشير إلى أن الإحصائيات الوطنية حول العنف ضد المرأة في المجتمع التونسي على أهميتها وأهمية ما توصلت إليه من نتائج مهمة افتقرنا إليها لعدة عقود في تونس إلا أنها تبقى –حسب اعتقادنا – منقوصة وذلك لعدة اعتبارات. تتمثل أهمها في أن دراسة ظاهرة "العنف ضد المرأة" تتطلب العمل على المفعول به والفاعل أيضا (أي المرأة والرجل على حدّ سواء). فمن الموضوعية أن يقع استجوابهما الاثنين معا وليس المرأة فقط، لا سيما اليوم حيث أصبحت ظاهرة العنف ضد المرأة معقدة ومتعددة الأبعاد وهناك عديد العوامل الجديدة التي غيّرت علاقة الرجل بالمرأة داخل الفضاء العام والخاص. واقعيا، إن المرأة هي المتضرر الرئيسي من العنف، والمؤشرات الإحصائية الاجتماعية و القضائية دعمت ذلك، لكن إذا كانت المرأة المعنّفة تمثل عرضًا أو علامة على أن هناك "مرضًا " اجتماعيًا –كما تؤكد عديد الدراسات- فمن الموضوعية العلمية أن نبحث في أصل "المرض" أي الأسباب العميقة التي تتعلق أساسًا بـ "شخصية" المعنّف والذي هو في أغلب الحالات الرجل.

5/ خاتمة

رغم أن التيار النسوي الغربي هو أول من طرح مسألة العنف ضد المرأة وذلك منذ الستينات (في أمريكا) والسبعينات (في أوروبا) من القرن الماضي، ورغم تنامي الحساسية في السنوات الأخيرة تجاه قضايا المرأة لا سيما قضية العنف المسلط عليها والذي دفع لا محالة إلى تعميق الوعي بالحقوق وبضرورة مكافحة العنف بجميع أشكاله، إلاّ أن التحليل الأيديولوجي المتحيّز يبقى عاجزًا عن الفهم الموضوعي لهذه الظاهرة التي أصبحت اليوم أكثر فأكثر تعقيدًا. وبالتالي يكون التحليل العلمي الرّصين الذي يأخذ بعين الاعتبار مختلف المتغيّرات المرتبطة بالظاهرة والمؤثرة فيها هو الأنجع لتفسير الظاهرة وفهمها. وذلك بالأخذ في الاعتبار المرأة والرجل معًا كفاعلين ومفعول بهما في آن واحد. فإذا كان "العنف ضد المرأة" هو تاريخيًا ظاهرة ذكورية بامتياز، إلاّ أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى أن ليس كل الرجال عنيفين –كما أشارت النسوية آ. بادنتار- ولا كل النساء مستكينات وضحايا. فثنائية "الجلاّد والضحية" أو "المهيمن والمهيمن عليه" لم تعد كافية وحدها لفهم "العنف ضد المرأة". كما أن كلا من "المهيمن والمهيمن عليه" هما ضحايا ثقافة "الذكر الأزلي" و"المؤنث الأزلي" –بتعبير السوسيولوجي بيار بورديو (بورديو، ب.2011: 41) - اللّذين هيكلا كلا من شخصية الرجل والمرأة لقرون عديدة، هتان الشخصيتان لا تتغيّران بمجرد تغيّر الأدوار تبعا للتحولات الاجتماعية والاقتصادية وإنّما **بتغيّر ثقافي للأدوار يواكب التغيّرات المادية**. وذلك بإعادة النظر في أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية بما يتماشى والحقوق الإنسانية لكل فرد مهما

كان جنسه. فنزع الترسبات الذهنية –يقول عديد السوسيولوجيين– لا تكون إلا بالآلية نفسها التي ترسّخت بها. وبالتالي فمناهضة العنف ضد النساء قد تتطلب ليس فقط التركيز على العنف بمعناه المباشر ولكن يتوجب حل مشكلة التّمثلات بما في ذلك معنى الذكورة. وبهذا المعنى، فإن المقاربات الحقوقية والقانونية مهمّة ولكنها غير كافية بالمرة. فالأمر الأهم هو –كما يقول بورديو– " العمل على تغيير بنية الإدراكات والاستعدادات التي تعمل بموجبها أنظمة السيطرة الذكورية، التي تتعامل مع النساء بوصفهن سلعًا أو أشياءً يتمّ تداولها في سوق السلع الرمزية سواء بالمعنى الاقتصادي أو الثقافي"(بورديو، ب.2011: 41). وعليه فمحاربة العنف عموما والعنف ضد المرأة خصوصًا هي مسؤولية جماعية يجب أن يتكاتف من أجلها كل الفاعلين الاجتماعيين: الدولة، والأسرة، والمدرسة، والمجتمع المدني، ووسائل الإعلام، وغيرها.... وعلينا أن لا نتوقع أن يكون الحل خلال فترة قصيرة، فما بُني على امتداد قرون يصعب نزعه في بضع سنين، وهنا لابد من القيام بالتوعية اللاّزمة والكافية للمرأة والرجل سواء: إذ لابد من مساعدة المرأة لمعرفة حقوقها والوعي بذاتها والخروج من صمتها عند إلحاق الأذى بها. كما لابد من نشر هذه التوعية بين الذكور أيضا عبر انتشار ثقافة الاحترام المتبادل، وتقدير المرأة التي هي الأم، والأخت، والبنت، وشريكة الحياة. كما لابد من إنشاء المؤسسات التي تقوم بتعليم الأزواج الجدد الثقافة الزوجية والأسرية الصحيحة، وكيفية مراعاة حقوقهما المتبادلة. فقد حان الوقت لكي تترجم التشريعات والنظريات والدراسات إلى ممارسات واقعية.

المصادر والمراجع

*** بالعربية:**

- الدرويش، الحبيب.(2009). العنف في العلاقات الأسرية، العنف ضد المرأة. تونس: منشورات صوت المرأة العربية.
- أنصار، بيار. (1992). ا لعلوم الاجتماعية المعاصرة. ترجمة نخلة فريفر. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- العود البهلول، هادية. (2011). الطلاق والتغير الاجتماعي في تونس، أطروحة دكتورا في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.
- الربعي، جلال (2006). أسطورة الجسد في حديث أبو هريرة قال. (ط.1). صفاقس: دار نهى للنشر.
- التقرير الرئيسي للمسح الوطني. (2011). العنف ضد المرأة. تونس: الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري
- بودون، ريمون، وآخرون. (1986). المعجم النقدي لعلم الاجتماع. ترجمة سليم حداد.(ط1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الخالق، أحمد محمد. (1993). أصول الصحة النفسية. الإسكندرية: دار المعارف.
- رينيه، جيرار. (1992). العنف والمقدس. ترجمة جهاد هواش وعبد الهادي عبّاس. دمشق: دار الحصاد
- تقرير حول "ملامح النوع الاجتماعي في تونس" (2014)، في إطار تعاون الاتحاد الأوروبي مع حكومة الجمهورية التونسية. إحصائيات وزارة العدل – تونس (2013).

*** بالفرنسية والانقليزية:**

- Badinter, Elisabeth. (2003), Fausse route, Paris : Odile Jacob.

-Ben Nasr, Adel. (2004). La gestion des conflits conjugaux en Tunisie, de l'adaptation à l'innovation, Tunis: Centre de Publication Universitaire.

-Bourdieu, Pierre. (1999,Mars-Avril). Au coeur de la domination masculine. Manière de Voir. Le Monde Diplomatique (N°44), pp81-82.

-Bourdieu, Pierre. (1973, avril), Sur le pouvoir symbolique, Annales. Economies, Sociétés, Civilisations, (1977, Numéro 3), pp. 405-41.

-Bronislaw, Malinowski. (1948). An Anthropological Analysis of War. The free press. In Croser, Lewis.(1982). Les fonctions du conflit social. Paris : PUF.

-Carré Philippe, Bandura. (2004, Mai).une psychologie pour le XXIe siècle? Savoirs (hors série), p.9-50.

-Dortier, Jean-François. (2006). Sommes-nous des brutes ? violence et nature humaine. In collectif. Les mécanismes de la violence, Etats, Institutions, Individu. Ed: Sciences Humaines.

-Durkheim , Émile. (1960), Le Suicide : Étude de sociologie, Paris, Presses universitaires de France.

-Fournier, Martine. (2005 : 01/11/2005). la différence des sexes est-t-elle culturelle ? sciences humaines. N° spécial. Disponible sur : http://www.scienceshumaines.com/la-difference-des-sexes-est-elle-culturelle_fr_14372.html.

-Grun, Philippe & Bataille, Marie. (2008). Fausse Route d'Elisabeth Badinter,Odile Jacob. Disponible sur : http://ecrits vains.com/critique/fausse_route.html.

- J. P. Jennings & J.L. Jennings. (1991). Multiple approaches to the treatment of violent couples. The American Journal of Family Therapy. Vol. 19 (N.4), pp 351-362.

-Lechenet, Annie & Chalmet, Maîtena. (2008). Elément pour conceptualiser les violences conjugales faites aux femmes. In La dynamique de la violence, Chauvaut, F. (sous direction de). Paris : PUR, pp45-55.

-Rocheblave-Spenlé, Anne-Marie. (1964). Les rôles masculins et féminins, **les stéréotypes**, **la famille**, **les états intersexuels**. Paris : Presses universitaires de France.

-Rondeau, Gilles. Brodeur, Normand. Carrier, Nicolas. (2001.Février). L'intervention systémique et familiale en violence conjugale : Fondements, Modalités, Efficacité et Controverses. Collection Etudes et Analyses, (N°16), PP1-101.

تاريخ الاستلام: 2017/01/15- تاريخ التحكيم: 2017/04/01 -تاريخ النشر2017/06/30

العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والسمات الابتكارية(دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بمدينة باتنة)

د. سليمة سايحي

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

ملخص

تهدف الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والسمات الابتكارية لدى تلاميذ التعليم الثانوي. وقد أجريت الدراسة على عينة مكونة من 100 تلميذ وتلميذة نصفهم ذكور والنصف الآخر إناث، وكانوا من تلاميذ الصف الثاني ثانوي، وتم تطبيق أداتين هما: قائمة التلميذ المثالي لتورانس وقائمة أساليب المعاملة الوالدية لشيفر. وتوصلت الدراسة إلى وجود ارتباطات موجبة وسالبة ودالة إحصائيا بين بعض أساليب المعاملة الوالدية بالنسبة للأب والأم والسمات الابتكارية وعدم وجود ارتباط في البعض الآخر، كما توصلت الدراسة أيضا إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ والتلميذات في السمات الابتكارية.

الكلمات المفتاحية: أساليب المعاملة الوالدية – السمات الإبتكارية

Abstract:

The study aims to identify the nature of the relationship between parental treatment methods and innovative features among secondary education student. The study was conducted on a sample of 100 male and female students, half male and half female, and they were second secondary graders. Two instruments were administered to the sample of the study: a list of the perfect disciple of Torrance and Schaffer list of parental treatment methods. The study found that there are positive and negative correlations which are statistically significant between some parental treatment methods for the father and mother, and innovative features and no correlation among others. Also, the study found that there are statistically significant differences between the male and female students in innovative features.

مقدمة:

يتسم الفرد المبتكر بمجموعة من الخصائص الشخصية التي تميزه عن غيره من الأفراد العاديين والتي تساعده في عمليات الابتكار المختلفة. لذا كان الاهتمام منذ البداية في مجال الابتكار منصبا بصورة رئيسية على دراسة شخصية المبتكر والعوامل التي تكون وراء تكوين هذه الشخصية، وفي مقدمة تلك العوامل التي يهتم بها علم النفس أساليب المعاملة الوالدية لأن هذه الأساليب التي ينشئ الآباء عليها أبنائهم تختلف باختلاف الثقافات وتتفاوت فيما بينها. فمن الآباء من يرى في أسلوب التشدد والضبط والتحكم الأسلوب الأمثل لتكوين شخصيات تتسم بسمات إيجابية لا سيما السمات الابتكارية، ومنهم من يرى في أسلوب التدليل والحماية وسائل مناسبة تكسب الأبناء الإشباع والرضا، ومنهم من يرى أن الأسلوب الأمثل للتربية هو الأسلوب الحكيم الذي

يشرك الابن في كل ما يخص الأسرة بما يتناسب مع قدرته وسنه وبالتالي يتحقق له الاستقلال والثقة بالنفس فيميل إلى الابتكار والتجديد.

وبناء على ذلك كان هدف وأهمية هذه الدراسة يتركز في التعرف على أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والتي تكون وراء ظهور السمات الابتكارية، وأي هذه الأساليب التي يكون لها تأثير إيجابي على ظهور السمات الابتكارية لدى الأبناء، وذلك لتضارب آراء العلماء والآباء حول الأساليب التربوية المناسبة التي تؤدي إلى تكوين شخصية مبتكرة.

مشكلة الدراسة:

تعد الاتجاهات الوالدية في معاملة الأبناء أو أساليب الرعاية الوالدية ذات أثر بالغ على شخصية هؤلاء الأبناء، مما حدا بكثير من علماء النفس والاجتماع إلى الاهتمام بعمليات التنشئة الاجتماعية، فلم يعد سرا أن المعاملة التي يتلقاها الأبناء ذات ارتباط بما يمكن أن تكون عليه شخصياتهم وسلوكهم. (**محمد، ي، 1989 : 141**) ومن الدراسات التي أكدت ذلك ما توصل إليه ماريسكي Maricki (1980) من دراسته على عينة قوامها 120 مراهق ومراهقة إلى أربعة أساليب من الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء وهي التعاون، الأوتوقراطية، التسلط، والتساهل. (**محمد، ي،1991 : 147-148**)

وقد استعرض باندورا Bandoura عددا من البحوث التجريبية حول علاقة أساليب التنشئة الأسرية بنمط الشخصية، حيث انتهى إلى أن معايشة الفرد لأسلوب تنشئة يتسم بالتسلط والتشدد فمن شأنه أن يعزز ممارسته للسلوك العدواني. (**محمد، ي، 1989 : 147**) ويدل ذلك على أن لبعض الأساليب دور في رسم ملامح شخصية الأبناء نحو السواء والتوافق وللبعض الآخر دور في نزوع الشخصية إلى سوء التوافق مع المحيط.

وقد نشأ هذا الارتباط من خلال التفاعل القائم بين الوالدين والأبناء والذي له تأثير كبير على حياتهم المستقبلية ويظهر هذا التأثير من خلال الأساليب المتنوعة التي يتبعها الوالدين في معاملتهما لأبنائهما، وما يمكن ان يترتب على ذلك ربما من اختلاف فيما بينهم من حيث السمات الابتكارية التي تعتبر من الخصائص الشخصية التي تميز الفرد المبتكر عن غيره من الافراد العاديين والتي تساعده في عمليات الابتكار المختلفة. (**النجيحي، م، ب س : 3**) وهي خصائص تستدعي الدراسة لأن أهميتها تتوقف على الفهم الدقيق لطبيعة ظاهرة الإنتاج الابتكاري.

وبناء على تصور نظري يرى أن السمات الابتكارية هي نتاج تفاعل بين خصائص الفرد والحادث مما يشير إلى وجود محددات اجتماعية ونمائية وشخصية تحدد وتوجه ظهور السمات الابتكارية، فإن هناك حاجة ماسة لإجراء بحث أو مجموعة بحوث تتناول العوامل والمحددات الاجتماعية التي تؤثر على نمو وظهور السمات الابتكارية.

ومن هنا فإن هذه الدراسة بدأت بالتساؤل التالي: هل يمكن أن تكون أساليب المعاملة الوالدية التي يتبعها الوالدين مع الأبناء من المحددات الاجتماعية لظهور السمات الابتكارية؟ وللإجابة على هذا السؤال تم مراجعة

التراث السيكولوجي فتبين أن الدراسات تعارضت فيما بينها بالنسبة إلى ذلك. فمن هذه الدراسات ما يؤكد وجود علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية التي تعتمد بصفة أساسية على الدفء والتقبل والتفاعل الإيجابي والعداء القليل ترتبط بظهور السمات الابتكارية في حين أن أساليب الرفض والعقاب والسيطرة والنقد والعدائية والتسلطية ترتبط باختفاء السمات الابتكارية مثل دراسة جيتزلس وجاكسون (1962) وآن رو (1962) وسبرينجر (1961) ونيكولس (1964) وغيرهم، ومنها ما يعارض وجود هذه العلاقة وكأن أساليب المعاملة الوالدية لا تأثير لها على الإطلاق على السمات الابتكارية مثل دراسة: بهان راجينات وبيللي فريد السوم، ومنها من يعارض وجود هذه العلاقة بين تحت ظروف معينة ويؤيدها تحت ظروف أخرى مثل: دراسة ترينيداد. (**النجيحي، م، ب س : 2**)

إن التعارض الموجود بين نتائج الدراسات السابقة يمكن اعتباره مشكلة تتطلب الدراسة العاجلة التي تساهم في إلقاء مزيدا من الضوء على العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والسمات الابتكارية من خلال الوصول إلى نتائج واضحة ومحددة لهذه العلاقة، وهذا يوحي أيضا بأهمية الدراسة خاصة وان معظم الدراسات السابقة لم تعتمد في جمع بياناتها على المقاييس المستخدمة في البحث الحالي وكذلك لم تستخدم عينات من تلاميذ المرحلة الثانوية. ومما يزيد من أهمية هذه الدراسة أنها تعتبر من الدراسات التي حظيت وما زالت تحظى بعناية واهتمام كبيرين في البحوث والدراسات الأجنبية ولم تحظى بمثل هذا الاهتمام في البيئة الجزائرية وتأمل الباحثة أن تسد بعض الفراغ في هذا المجال وتوجيه الأنظار إليه.

وفي ضوء ما تقدم فإن هذه الدراسة تسعى للتصدي لهذه المشكلة التي يمكن صياغتها في السؤالين التاليين:

- هل توجد علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وأساليب المعاملة الوالدية؟
- هل توجد فروق بين الجنسين في السمات الابتكارية؟

أهمية الدراسة:

تعد أهمية الدراسة كبيرة من الناحية النظرية والتطبيقية. فمن الناحية النظرية يلاحظ أن البحوث السابقة في مجال الابتكار قليلة، كما أنها ركزت على قدرات التفكير ألابتكاري ولم تهتم بدراسة شخصية المبتكر والعوامل المؤثرة في تشكيلها.

وأما الأهمية التطبيقية فتتلخص في تهيئة الجو الملائم من حيث أساليب المعاملة الوالدية المناسبة لتشكيل شخصية المبتكر الذي يكون له دور في تطوير الواقع المحيط به لأن المجتمعات في أشد الحاجة إلى تلك الزمرة من المبتكرين لمواجهة المشكلات الاقتصادية ولدفع عجلة الإنتاج والتقدم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية (الأب-الأم) والسمات الابتكارية.
- معرفة الفروق بين الجنسين في سماتهم الابتكارية.

فرضيات الدراسة:

للإجابة على تساؤلات الدراسة تم صياغة الفرضيتين كإجابات محتملة:

- توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والسمات الابتكارية.
- توجد فروق بين الجنسين في السمات الابتكارية.

مصطلحات الدراسة:

السمة الابتكارية: هي صفة أو خاصية ذات دوام نسبي يتميز بها الأفراد المبتكرون بدرجة أعلى من الأفراد العاديين، ومثال ذلك: الميول المتنوعة، المرونة، المثابرة الاستقلالية، وعدم المسايرة، وغيرها من السمات والتي يقيسها مقياس السمات الابتكارية.(**عبادة، أ، 1992 : 2**)

ويعرف علي الدين السمة الابتكارية باعتبارها: " صفة أو خاصية ذات دوام نسبي يتميز بها الأشخاص المبتكرون بدرجة أعلى من الأشخاص العاديين مثل عدم المسايرة وتحمل الغموض والاستقلال في التفكير والحلم ". (**علي الدين، م، 1989 : 353**)

كما يمكن تعريف السمة الابتكارية على أنها: " صفة أو خاصية ذات دوام نسبي يتميز بها الأفراد المبتكرون بدرجة تفوق الأفراد العاديين ومن هذه الصفات أو الخصائص :الثقة بالنفس، حب التجديد، المرونة، العقل النافد، الاستقلالية، عدم المسايرة، حب الاستطلاع ". (**عبادة، أ، 1992 : 31**)

وتعرف إجرائيا بأنها: " هي الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على قائمة التلميذ المثالي لتورانس، وكلما ارتفعت الدرجة الخام كان الفرد أكثر اتساما بالابتكارية، وكلما انخفضت الدرجة كان أقل اتساما بها ".

أساليب المعاملة الوالدية:

يعرف إسماعيل وإبراهيم منصور (1974) أساليب المعاملة الوالدية بأنها: " ما يراه الآباء ويتمسكون به من أساليب في معاملة الأبناء في مواقف حياتهم المختلفة، كما يظهر في تقريرهم اللفظي ". (**بوفريرة، ع، 1987 : 51**)

يتضح من هذا التعريف أن أساليب المعاملة الوالدية هي الأسلوب الذي يتبعه الآباء لإكساب الأبناء أنواع السلوك المختلفة والقيم والعادات والتقاليد وتختلف باختلاف الثقافة والطبقة الاجتماعية وتعليم الوالدين ... وتؤثر على ما سوف يكتسبه الفرد من خصائص مرتبطة بالأسلوب التربوي المتبع. (**عبد الله، إ، 1990 : 96**)

وهي مجموعة من أساليب الرعاية الوالدية، وحددها شيفر Scheafre بـ 18 أسلوبا هي التقبل، والتمركز حول الطفل، الاستحواذ، الرفض، التقييد، الإكراه، الاندماج الإيجابي، التطفل، الضبط من خلال الشعور بالذنب، الضبط العدواني، عدم الاتساق، التساهل، تقبل الفردية، التساهل الشديد، تلقين القلق الدائم، التباعد والسلبية، انسحاب العلاقة، والاستقلال المتطرف. (**أبو ناهية، ص، وموسى، ر ، 1987**)

وفي هذه الدراسة تم استخدام ثمانية أساليب حسب قائمة شيفر في صلاح الدين أبو ناهية ورشاد موسى، وسوف نستعرضها إجرائيا على النحو التالي: أسلوب التقبل، أسلوب التمركز حول الطفل، أسلوب الاستحواذ،

أسلوب التقييد، أسلوب التساهل، أسلوب الاندماج الإيجابي، أسلوب الاستقلال المتطرف، أسلوب تلقين القلق الدائم. ويعرف كل أسلوب من هذه الأساليب إجرائيا بأنه: الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على مقياس ذلك الأسلوب في قائمة المعاملة الوالدية لشيفر، وكلما ارتفعت الدرجة كان المفحوص أكثر إدراكا لذلك الأسلوب، وكلما انخفضت الدرجة كان أقل إدراكا له.

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة:

يعد المنهج الوصفي ألارتباطي هو المنهج الملائم لهذه الدراسة، إذ يقوم على وصف ما هو كائن ويهتم بالكشف عن مدى تجمع بيانات الظاهرة أو مدى تثبيتها والعلاقة التي تربط كل ظاهرة بأخرى والقيمة العددية لهذا الارتباط. (**السيد، ف، 1979 : 47**)

عينة الدراسة:

أجريت هذه الدراسة على عينة تم اختيارها عرضيا من تلاميذ السنة الثانية ثانوي بثانوية عباس لغرور بمدينة باتنة، وقد بلغ حجم العينة 100 تلميذ وتلميذة (نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث) من التخصصين الأدبي والعلمي وتمثل هذه العينة نسبة 19.12 % من المجتمع الأصلي الذي بلغ 523 تلميذ وتلميذة. وقد بلغ المتوسط الحسابي لأعمار الذكور 17.1 بانحراف معياري قدره 1.01، كما بلغ المتوسط الحسابي لأعمار الإناث 16.88 بإنحراف معياري 1.09، وبلغ المتوسط الحسابي لأعمال الجنسين 16.99 بانحراف معياري 1.05.

أدوات الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على أداتين رئيسيتين هما: مقياس الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء، ومقياس السمات الابتكارية، وفيما يلي وصف لكل منهما:

مقياس المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء: أعد هذا المقياس ووضعه في الأصل إيريل شيفر Scheafer (1965) تحت اسم (Child report of parent inventory – C.R.P.I)، وقام بترجمته إلى العربية وتقنينه على البيئة المصرية عبد الحليم محمود السيد (1980)، وقام بتقنينه على البيئة الفلسطينية كل من صلاح الدين محمد أبو ناهية ورشاد عبد العزيز موسى، وهو يزود الباحثين بتقدير حقيقي عن السلوك الفعلي للوالدين في تعاملهما مع الأبناء في مواقف التنشئة المختلفة، كما أنه يتميز بشموله وتغطيته للجوانب الأساسية لمعاملة الوالدين للأبناء، بالإضافة إلى ما يتمتع به من خصائص المقياس الجيد من حيث الثبات والصدق في ضوء الدراسات التي استخدم فيها في مجتمعات مختلفة.

ويتكون المقياس من ثمانية عشرة مقياسا فرعيا يتكون كل منها من بنود تتراوح بين 7 عبارات و16، بحيث يصل المجموع الكلي للعبارات إلى 192 عبارة.

وقد استخدمت في الدراسة مجموعة من الأساليب تم اختيارها بطريقة عشوائية من بين 18 أسلوب. والمقياس في صورته المستخدمة في هذه الدراسة يتكون من 81 عبارة تقيس 8 محاور هي: التقبل، التمركز حول الطفل، الاستحواذ، التقييد، التساهل، الاندماج الإيجابي، الاستقلال المتطرف، تقلين القلق الدائم.

صدق المقياس: أن يكون المقياس قادرا على قياس ما وضع لقياسه. أي أن تكون بنود المقياس على علاقة وثيقة بالخاصية التي تقيسها. (**معمرية، ب، 2007 : 130**) وقد استخدم صدق البناء: هو عبارة عن المدى الذي يمكن أن نقرر بموجبه أن المقياس يقيس مفهوما نظريا محددا أو سمة معينة، ولعلى معامل الارتباط هو أكثر المؤشرات شيوعا في الكشف عن هذا النوع من الصدق. (**عودة، أ، 2002 : 383**)

وقد توفر هذا النوع من الصدق في المقياس من خلال دراسة العلاقة بين الدرجة الكلية للمقاييس الفرعية بالدرجة الكلية للمقياس ككل:

جدول رقم (01): يوضح العلاقة بين المقياس الفرعي والدرجة الكلية للمقياس

أساليب المعاملة الوالدية		معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
التقبل	الأب	0.872	0.01	دالة
	الأم	0.900	0.01	دالة
التمركز حول الطفل	الأب	0.862	0.01	دالة
	الأم	0.705	0.01	دالة
الاستحواذ	الأب	0.527	0.01	دالة
	الأم	0.654	0.01	دالة
التقييد	الأب	0.812	0.01	دالة
	الأم	0.667	0.01	دالة
التساهل	الأب	0.772	0.01	دالة
	الأم	0.564	0.01	دالة
الاندماج الإيجابي	الأب	0.521	0.01	دالة
	الأم	0.535	0.01	دالة
الاستقلال المتطرف	الأب	0.525	0.01	دالة
	الأم	0.865	0.01	دالة
تلقين القلق الدائم	الأب	0.679	0.01	دالة
	الأم	0.701	0.01	دالة

يتضح من الجدول السابق أن المقاييس الفرعية الثمانية لقائمة أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء تتمتع بمستوى مرتفع من الثبات الذي أمكن الاستدلال عليه من نتائج العلاقة بين المقياس الفرعي والدرجة الكلية للمقياس، حيث اتضح أن كلها معاملات دالة عند مستوى (0.01).

ثبات المقياس: ويقصد به: " الاتساق والدقة وإمكان استخراج نفس النتائج بعد إجراءات التطبيق لأكثر من مرة. أو هو ببساطة مدى اتساق الدرجات عند تكرار التجربة ". (**مقدم، ع، 1993 : 152**) وقد تم استخراج مؤشرات الثبات عن طريق إعادة التطبيق (معامل الاستقرار عبر الزمن) والنتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (02): يوضح معاملات الثبات بإعادة التطبيق

أساليب المعاملة الوالدية		معامل الارتباط	مستوى الدلالة	القرار
التقبل	الأب	0.727	0.01	دالة
	الأم	0.812	0.01	دالة
التمركز حول الطفل	الأب	0.599	0.01	دالة
	الأم	0.643	0.01	دالة
الاستحواذ	الأب	0.531	0.01	دالة
	الأم	0.591	0.01	دالة
التقييد	الأب	0.529	0.01	دالة
	الأم	0.641	0.01	دالة
التساهل	الأب	0.797	0.01	دالة
	الأم	0.826	0.01	دالة
الاندماج الإيجابي	الأب	0.706	0.01	دالة
	الأم	0.695	0.01	دالة
الاستقلال المتطرف	الأب	0.788	0.01	دالة
	الأم	0.743	0.01	دالة
تلقين القلق الدائم	الأب	0.514	0.01	دالة
	الأم	0.533	0.01	دالة

يتضح من الجدول السابق أن المقاييس الفرعية تتمتع بمستوى مرتفع من الثبات الذي أمكن الاستدلال عليه من نتائج إعادة التطبيق، حيث اتضح أن كلها معاملات دالة عند مستوى (0.01).

قائمة السمات الابتكارية: هذه القائمة من إعداد تورانس Torrance (1965) تتكون من 62 سمة منها 37 سمة أجمع كثيرا من علماء الابتكار على أنها تميز الشخص المبتكر وهي بأرقام: 1، 4،5، 6، 7، 9، 12، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 23، 25، 28، 29، 31، 32، 35، 38، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 52، 53، 58، 59، 60، 61. أما باقي السمات فهي تميز الأشخاص العاديين أو غير المبتكرين.

وقد قام سيد خير الله بترجمة هذه القائمة وإعدادها في رسالته للدكتوراه عام (1963) بجامعة ميتشيجن بالولايات المتحدة الأمريكية. وقام حسين الدريني في دراسته للماجستير بترجمة القائمة التي أعدها سيد خير الله وأضاف بعض الوحدات. وتتكون القائمة من 37 عبارة تغطي صفات يتصف بها الفرد المبتكر. (**علي الدين، م، 1993** : **152**) وقد استخدمت هذه القائمة دون تعديل في هذه الدراسة.

الصدق: تم حساب صدق القائمة عن طريق الصدق التمييزي واستخدمت المقارنة الطرفية وبلغ مقدار الفرق بين مجموعتين (مرتفعي ومنخفضي السمات الابتكارية) 15.69 وهو دال عند 0.01 وهذا ما يدل على صدق القائمة.

الثبات: تم حساب ثبات القائمة عن طريق إعادة التطبيق بفاصل زمني يقدر بثلاث أسابيع وقد بلغ معامل الثبات بين التطبيقين 0.693 وهو دال عند مستوى 0.01 مما يدل على ثبات القائمة.

عرض ومناقشة النتائج:

الفرضية الأولى: وتنص بأنه توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين أساليب المعاملة الوالدية (الأب – الأم) كما يدركها الأبناء والسمات الابتكارية لهؤلاء الأبناء.

جدول رقم (01): يبين معاملات الارتباط بين أساليب المعاملة الوالدية للأب والأم والسمات الابتكارية لدى عينة من التلاميذ والتلميذات

الرقم	السمات الابتكارية / أساليب المعاملة الوالدية	الأب		الأم	
		التلاميذ	التلميذات	التلاميذ	التلميذات
1	التقبل	0.18-	0.07-	0.07	**0.44
2	التمركز حول الطفل	0.09	0.04	**0.87-	**0.48 -
3	الاستحواذ	0.08	0.19	0.10-	**0.71 -
4	التقييد	0.06	0.24	0.19	**0.53
5	التساهل	**0.72	*0.32	**0.85	**0.87
6	الاندماج الإيجابي	0.05	0.16	0.10-	**0.72
7	الاستقلال المتطرف	0.23	0.18	0.15-	0.21
8	تلقين القلق الدائم	0.04	0.15-	0.08	0.10

0.01 ** 0.05 *

يتبين من الجدول رقم (01) بالنسبة معاملات الارتباط بين أساليب المعاملة الوالدية الخاصة بالأب والسمات الابتكارية لدى عينة من الذكور ليست دالة إلا في أسلوب التساهل فهو دال عند 0.01 وموجب، وكذلك بالنسبة لعينة الإناث فجميع معاملات الارتباط ليست دالة إلا في أسلوب التساهل عند مستوى 0.05 وموجب.

أما بالنسبة لأساليب المعاملة الوالدية الخاصة بالأم والسمات الابتكارية لدى عينة الذكور ليست دالة إلا في أسلوب التمركز حول الطفل فهو دال عند 0.01 وسالب، وأسلوب التساهل فهو دال عند مستوى 0.01 وموجب. وكذلك بالنسبة لعينة الإناث فجميع معاملات الارتباط دالة عند مستوى 0.01 وموجبة في أسلوب التقبل والتقييد والتساهل والاندماج الإيجابي وسالبة في أسلوب التمركز حول الطفل والاستحواذ، أما في أسلوب الاستقلال المتطرف وتلقين القلق الدائم فهي ليست دالة.

ويتضح ان أن معاملات الارتباط بين كل أساليب معاملة الأب غير دالة وضعيفة ماعدا أسلوب التساهل، مما يؤكد عدم وجود علاقة بين هذه الأساليب والسمات الابتكارية ماعدا أسلوب التساهل. ومعاملات الارتباط بين أساليب معاملة الأب والسمات الابتكارية للإناث بعضها في الاتجاه الموجب والبعض الأخر في الاتجاه السالب حيث كانت غير دالة وضعيفة في أساليب التقبل والتمركز حول الطفل والاستحواذ والتقييد والاندماج الإيجابي والاستقلال المتطرف وتلقين القلق الدائم للأب كما تدركها الإناث وسماتهم الابتكارية، مما يدل على عدم وجود علاقة بين هذه الأساليب لكن كان معامل الارتباط بين أسلوب التساهل والسمات الابتكارية دال مما يؤكد وجود علاقة بين التساهل كما تدركه الإناث والسمات الابتكارية لهن.

ويتفق هذا مع نتائج بعض الدراسات كدراسة ماكينون (1962) الذي توصل إلى أن أباء المهندسين المعماريين المبتكرين يعاملون أبناءهم منذ الطفولة بأساليب تتسم بالتساهل والحرية في استكشاف العالم المحيط بهم. (**عبد الرحيم، ف، 1988 : 129**) ودراسة واطسون (1957) الذي توصل إلى أن الأبناء الذين يعاملون بأسلوب التساهل والتسامح تظهر عندهم بعض الخصائص التي يتميز بها الشخص المبتكر كالاستقلال والتلقائية والأصالة والمبادأة. (**السيد ع، 1980 : 13**) ودراسة آن رو (1962) التي حصلت فيها على نتائج مشابهة بالنسبة للعوامل ذات التأثير في طفولة العلماء البارزين الذين قامت بدراستهم حيث تبين أن علماء الطبيعة والبيولوجيا المبتكرين يشعرون باحترام حقيقي لآبائهم، وإن كانوا لا يرتبطون بهم وجدانيا. وتوضح نتائج رو أن مرونة الأسرة في السماح لأبنائها بالقيام بأي نوع من أنواع النشاط الاستكشافي العقلي أو اليدوي، وعدم تصلبها في منع هذا النشاط له تأثير كبير في ظهور الابتكارية وسماتها عند الأبناء. (**السيد، ع، 1980 : 129**)

أما بالنسبة لمعاملات الارتباط بين أساليب معاملة الأم والسمات الابتكارية للذكور جاء بعضها في الاتجاه الموجب والبعض الأخر في الاتجاه السالب، حيث تبين أن معاملات الارتباط بين أساليب التقبل والاستحواذ والتقييد والاندماج الإيجابي والاستقلال المتطرف وتلقين القلق الدائم غير دالة وضعيفة، ومعاملات الارتباط بين

أسلوب التساهل كان دالا وموجبا وأسلوب التمركز حول الطفل كان دالا وسالبا، وهو يدل على أن أسلوب التمركز حول الطفل للأم يرتبط سلبا مع السمات الابتكارية للذكور، أي انه يعوق ظهور السمات الابتكارية لديهم. أما بالنسبة لمعاملات الارتباط بين أساليب معاملة الأم والسمات الابتكارية للإناث جاء بعضها في الاتجاه الموجب والبعض الآخر في الاتجاه السالب، حيث تبين أن معاملات الارتباط بين أساليب الاستقلال المتطرف وتلقين القلق الدائم غير دالة وضعيفة، أما معاملات الارتباط بين أساليب التقبل والتقييد والتساهل والاندماج الإيجابي دالة ومرتفعة، ويعني هذا أن الإناث في الثقافة الجزائرية يدركن أمهاتهن أكثر تقبلا وتساهلا واندماجا ايجابيا لهن، وأكثر تقييدا في حالة خروجهن عن الدور المحدد لهم، فتفرض بذلك عليهن بعض القواعد التي تقيد سلوكهن، وبالتالي يرتبط إدراكهن لهذه الأساليب بظهور بعض السمات الابتكارية عندهن. وبالنسبة لمعاملات الارتباط بين أساليب التمركز حول الطفل والاستحواذ للأم ارتبط سلبا مع السمات الابتكارية للإناث ويعوق ظهور ابتكاريتهن.

ويتفق هذا مع ما توصل إليه النيكولز (1964) في دراسته الذي وجد من خلالها ارتباطات سالبة بين اتجاهات الأم التسلطية وكل من المرونة المعرفية والميل للبحث والاستقلال في الحكم والأصالة. (**الكتاني، م، 1990 : 56**) وكذلك دراسة كل من دنتلي وماكر (1964) وإرسيرج (**1961**) (**الكتاني، م، 1990 : 57**) وداتا وباركوف (1967) (**حنين، ر، د س : 277**) وغيرها من الدراسات التي أثبتت هذه العلاقة. وكذلك دراسة ويلز Wells (1966)الذي أكد ضرورة أن تتسم معاملة أمهات الأبناء بالسماح وعدم التمركز حولهم والسيطرة عليهم. (**الكتاني، م، 1990 : 56-57**)

وفي ضوء هذه النتائج فإن أساليب معاملة الأم للأبناء (ذكورا وإناثا) ترتبط إيجاب وسلبا بالسمات الابتكارية لهؤلاء الأبناء، ويعود ذلك إلى كون الأم هي الكائن الأول الذي يتفاعل معه الطفل وباعتبارها هي التي تقضي معظم وقتها معه خصوصا وأن المجتمع الجزائري يحدد واجب تربية الطفل للأم باعتبار الرجل دوره يتحدد خارج البيت، وبالتالي يتأثر الطفل بشخصية الأم وبطريقة معاملتها له ويدرك بذلك نوعية هذه الأساليب التي يعامل بها، فيتجه بذلك إلى الابتكار والتجديد أو إلى الاكتفاء بما هو موجود ومتفق عليه .

الفرضية الثانية: وتنص بأنه توجد فروق بين الجنسين في السمات الابتكارية.

جدول رقم (02): يبين نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات التلاميذ والتلميذات في السمات الابتكارية

السمات الابتكارية / الجنسين	م	ع	ت	مستوى الدلالة
ذكور	133.22	12.61	2.67	دالة
إناث	125.62	15.45		

يتضح من الجدول رقم (02) أن الفروق بين الجنسية في السمات الابتكارية دال إحصائيا عند مستوى 0.01 وهذا ما يدل على وجود فروق بين الجنسين في السمات الابتكارية، ويتفق ذلك مع ما أكده بعض العلماء بأنه توجد فروق بين الذكور والإناث في السمات الابتكارية كقول غونكور Goncowrt " ليس هناك نساء مبتكرات وكل النساء المبتكرات هن رجال". (**أوتو، ك، د س : 402–403**)، وكذلك دراسة هالبن وتورانس Halpin&Torrance (1974) التي انتهت إلى أن الذكور يتفوقون عن الإناث في ظهور السمات الابتكارية. (**حبيب، م، 1990 : 228**) ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الأدوار المحددة لكلا الجنسين، فنجد الذكر يتلقى تنشئة تتسم بالتشجيع والتقبل والاستقلال لكي يكون أكثر سيطرة واعتمادا على النفس وحرية في اتخاذ القرارات واستقلالا شخصيا، بينما الأنثى تتلقى تربية على عكس ذلك وهذا ما يهيئ الأرضية لظهور السمات الابتكارية وتشجيعها على الاستمرار عند الذكور والعمل على إطفائها عند الإناث، وكذلك يعود هذا الاختلاف كما يرى تورانس إلى الفروق في المكافأة التي تمنح لكلا الجنسين وإلى محددات الدور التي تفرض على كل منهما ومحتوى ثقافة كل منهما وإلى معوقات الإبتكارية عند الأنثى كما ترى سكوارتز (1977). (**الكتاني، م، 1990 : 68**)

ويمكن تفسير هذه النتائج أيضا على أساس أن المرأة ما زالت تسيطر عليها فكرة الخوف من مواجهة المعقد الصعب، وغزو المجهول والتحرر من القيود الاجتماعية ورفض التقاليد وعدم التقييد بالأدوار التقليدية، ونتيجة لذلك تكبت موهبتها وابتكاريتها خوفا من تعرضها للنبذ من طرف الأسرة والزملاء بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة.

التوصيات:

- توفير الجو الأسري الملائم الذي يساعد على ظهور السمات الابتكارية للأبناء وذلك عن طريق:
  - توعية الآباء بمدى قيمة أساليبهم وتأثيرها على ابتكارية أبنائهم.
  - عرض برامج تربوية تثقف الآباء حول قيمة أساليب التنشئة الأسرية ودورها في تنشئة طفل مبتكر.
  - برمجة ندوات بصورة دورية لبحث المشكلات التي تعوق ابتكارية الأبناء.
- ضرورة الاهتمام بالطفل في البيت والمدرسة، وتحفيزه لتفجير طاقته باستخدام أساليب تربية ايجابية وتكاملية.

المراجع:

1- السيد، عبد الحليم محمود (1980): الأسرة وإبداع الأبناء (دراسة نفسية اجتماعية لمعاملة الوالدين في علاقتهما بقدرات الإبداع، القاهرة، دار المعارف.

2- الكتاني، ممدوح عبد المنعم (1990): دراسات وقراءات في علم النفس التربوي، الجزء 1، مصر ، مكتبة ومطبعة النهضة بالمنصورة .

3- النجيحي، محمد لبيب وآخرون (د س): بحوث نفسية وتربوية ، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

4- أوتو كلينبرغ (د س): علم النفس الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، ط 2، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

5- بشير معمرية(2007): القياس النفسي وتصميم أدواته للطلاب والباحثين في علم النفس والتربية (سلسلة دراسات) ، ط2، الجزائر، منشورات الحبر.

6- بوفريرة، عباس (1987): الاتجاهات الوالدية وأثرها على انحراف المراهقين في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة.

7- حبيب، مجدي عبد الكريم (1990): الشخصية المبتكرة كدلالة مركبة لتفاعلات متغيرات الانبساط والميل للعصابية، الجنس، المرحلة الدراسية، التخصص الدراسي، الجزء 1، كتاب المؤتمر السنوي السادس لعلم النفس في مصر، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، ص ص335-358.

8- حنين، رشدي عبده (د س): دراسات وبحوث في المراهقة، ط1، القاهرة، دار المطبوعات الجديدة.

9- صلاح الدين محمد أبو ناهية ورشاد عبد العزيز موسى (1987): اختبار المعاملة الوالدية (كراسة التعليمات)، دار النهضة العربية، القاهرة.

10- عبادة، أحمد عبد اللطيف (1992): دافع حب الاستطلاع في علاقاته بقدرات وسمات الابتكارية في ضوء بعض المتغيرات البيئة الأسرية، لدى عينة من تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي بدولة البحرين . قطر، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، العدد 2، ص ص303-346.

11- عبد الرحيم، فتحي محمد السيد (1988): سيكولوجية الأطفال الغير عاديين واستراتيجيات التربية الخاصة، ط 2، الجزء 2، الكويت دار القلم.

12- عبد الله، انشراح محمد الدسوقي (1991): الفروق بين طلاب الريف والحضر في إدراك المعاملة الوالدية وعلاقة ذلك ببعض خصائص الشخصية، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، العدد 17. استرجعت في 2016/09/15 من الموقع http://arabpsynet.com/Journals/p/p17.htm

13- علي الدين، محمد ثابت (1989): العلاقة بين التفكير الابتكاري و أنماط التربية الأسرية. مجلة كلية التربية بالمنصورة، العدد 5، الجزء 2، ص 62-86.

14- عودة، أحمد (2002): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط5، أربد/الأردن دار الأمل للنشر والتوزيع.

15- فؤاد الباهي السيد (1979): علم النفس الإحصائي وقياس العقل البشري، ط 3، دار الفكر العربي.

16- محمد ، يوسف عبد الفتاح (1989): مكونات العلاقة بين اتجاهات الأمهات في التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأبناء وبين شخصياتهم، بحوث المؤتمر الخامس لعلم النفس، الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالقاهرة ، ص ص 141 - 164 .

17- محمد ، يوسف عبد الفتاح (1990): العلاقة بين الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء ومفهوم الذات لديهم، مجلة علم النفس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، العدد 13، ص ص 146 - 164 .

18- مقدم، عبد الحفيظ (1993): الإحصاء والقياس النفسي والتربوي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

تاريخ الاستلام: 2016/12/13- تاريخ التحكيم:2017/02/22 -تاريخ النشر2017/06/30

تاريخ الفكر الاقتصادي في الحضارات القديمة

د.الياس شاهد،د.حمزة بالي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي – (الجزائر)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض عملية تطور الأفكار الاقتصادية عبر الحضارات القديمة بطريقة أكاديمية وبأسلوب واضح، لكي يساعد على تطوير فهمنا للاقتصاد المعاصر، ويوفر لنا وجهة نظر في فهم الأفكار الاقتصادية للمدارس الفكرية المختلفة، وتركز على أبرز المساهمات والأفكار لما لها من أهمية. وتجدر الإشارة إلى أن دراسة تاريخ الاقتصاد تستمر في النمو والتطور وذلك مع نضوج علم الاقتصاد ذاته. فالأفكار الجديدة والشواهد الجديدة والمشكلات الجديدة والفهم الجديد يدعو إلى إعادة النظر حول المساهمات والخلافات والأفكار التي ظهرت في الماضي, والتي ولدت مع ولادة الحضارات القديمة كالإغريقية، والرومانية والصينية والفارسية والحضارة العربية.

الكلمات الدالة : الفكر الاقتصادي, تاريخ الاقتصاد, الحضارة الإغريقية, الحضارة الرومانية.

Abstract :

economic ideas through ancient civilizations in an academic way and in a clear way to help develop our understanding of the modern economy. It provides us with a view to understanding the economic ideas of the various schools of thought and focuses on the most important contributions and ideas because of their importance. It should be noted that the study of the history of the economy continues to grow and develop with the maturity of economics itself. New ideas, new evidence, new problems and new understanding call for a reconsideration of the contributions, controversies and ideas of the past that were born with the birth of ancient civilizations such as Greek, Roman, Chinese, Persian and Arab civilization

Indicated words : economic thought, history of the economy, Greek civilization, Roman civilization

مقدمة:

يفرق علماء الاقتصاد بين الفكر الاقتصادي وعلم الاقتصاد، فالفكر الاقتصادي قديم قدم الإنسان ذاته، الذي واجه مشكلة إشباع الحاجات (المشكلة الاقتصادية) بالتفكير والاهتمام منذ نشأة المجتمعات، ولم يكن الفكر الاقتصادي في ذلك الوقت منفصل كعلم بحد ذاته بل كان ضمن مجموعة علوم منها الفلسفية والدينية والسياسية، كما لم يستطع الإنسان في ذلك العصر أن يفصل البحث في الاقتصاد عن بقية العلوم والمعارف.

تاريخ الفكر الاقتصادي هو جزء من أجزاء علم الاقتصاد ويهتم بدراسة التطورات التي حصلت في الاقتصاد خصوصا في النظرية الاقتصادية بشقيها الجزئي والكلي, بالإضافة إلى إن هذا الجزء يدرس الأفكار التي قدمها علماء الاقتصاد عبر الزمن, يتعامل تاريخ الفكر الاقتصادي مع المفكرين و مع مختلف النظريات في هذا الموضوع

الذي أصبح يعرف بالاقتصاد السياسي أو اقتصاديات السياسة منذ القدم إلى يومنا هذا ، إنه يشمل العديد من المدارس المختلفة للفكر الاقتصادي.

الكتاب اليونانيون القدامى كالفيلسوف (أرسطو) مثلا قام بدراسة و تحليل الأفكار المتعلقة بفن اكتساب الثروة و تساءل عما إذا كان من الأفضل أن تُترك الملكية في أيدي القطاع الخاص أو العام.

تبعا لما سبق سوف نحاول تسليط الضوء على تطور الأفكار الاقتصادية خلال العصور القديمة وهذا من خلال التطرق إلى العناصر أو المحاور التالية:

أولا: الفكر الاقتصادي في الحضارات الشرقية

ثانيا: الفكر الاقتصادي عند اليونان

ثالثا: الفكر الاقتصادي عند الرومان

أولا: الفكر الاقتصادي في الحضارات الشرقية

عرفت الحضارات القديمة في الشرق ازدهارا اقتصاديا كبيرا على الصعيد العملي، ناتج عن وجود تنظيم اقتصادي و اجتماعي دقيق. فقد عرفت الحضارة المصرية القديمة و حضارة البابليين و الحضارة الصينية نوعا من الزراعة المتقدمة و المنظمة، إلى جانب هذا فقد تبلورت ملامح بسيطة لفكر اقتصادي ساد في هذه المرحلة، و من أهم هذه الأفكار نذكر ما يلي(البلاوي،2000،ص17):

- ذكر بعض الأفكار حول الملكية و تنظيمها في قانون حمورابي. غير أن هذه التنظيمات قد تناولت بصفة أساسية الجانب القانوني و الديني, و لم تتعرض للجوانب الاقتصادية.
- كانت الكتابات المصرية القديمة قاصرة على تسجيل بعض الأفكار الفلسفية و الدينية و نظام الحكم.
- نجد ملامح لفكر اقتصادي في القانون الموسوي و العهد القديم الذي أجاز العمل بالتجارة، و حرم اقتضاء فائدة على القروض فيما بين العبرانيين و لكنه يجيزها فيما بين العبرانيين.

الحضارات القديمة في الشرق شهدت ازدهارًا كبيرًا، فالحضارة المصرية القديمة وحضارة البابليين والحضارة الصينية كانت مجتمعات منظمة شديدة المركزية تعرف نوعًا من الزراعة المتقدمة والمنظمة، سيطرت الدولة على أمور الحياة الاقتصادية وبوجه خاص تنظيم الري في مصر والعراق.

وأرسى الفينيقيون الذين اخترعوا الحروف الأبجدية تقاليد مستقرة للتجارة والملاحة، حيث إن تقدم التجارة ارتبط بتقدم الأساليب التجارية التي برعوا في فنها.

وفي ظل هذا المجتمع البدائي اعتبرت الأرض المظهر الرئيسي للثروة، والزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي؛ فقامت الملكية الخاصة على الأرض.

ولعل من أهم ما تميزت به هذه الحضارات ما يلي:

1. أنها عرفت مجتمعات منظمة، بمعنى أن المجتمعات في تلك الحضارات، أو التجمعات البشرية، كانت منظمة ومجتمعة في كيانات وفي دول، ويغلب عليها التنظيم، وهذا يدل على أن هناك فكر أيضًا، ومن جوانب هذا الفكر ما له علاقة بالاقتصاد.
2. أنها كانت مركزية، بمعنى أنه كان هناك الدولة، والدولة قائمة ببعض الأمور، وهناك أنشطة اقتصادية وخلافه.
3. أن الزراعة –وهي أحد الأنشطة الاقتصادية– كانت متقدمة ومنظمة. ولن يكون الأمر كذلك ما لم يكن هناك أفكار ورؤى اقتصادية، تنظم المجال الاقتصادي في هذا المجال، وهو النشاط الزراعي.
4. سيطرة الدولة على أمور الحياة الاقتصادية، بمعنى أن الدولة كانت هي المسيطرة، وهي المسئولة عن النشاط الاقتصادي، من حيث التنظيم وخلافه.

– **الحضارة البابلية**: تعتبر من أقدم الدول في التاريخ، وتميزت حضارتها المتطورة بالقياس في تلك الفترات الزمنية ، وتميزت هذه الحضارة بالعديد من الميزات، وبعض أوجه التقدم التي تعتبر نقلة في حينه، لكن الشاهد في هذه الحضارة على وجه التمثيل: أنه ورد ما يعرف: بـ" قانون حمورابي"، أو "قوانين حمورابي".

وقوانين "حمورابي": عبرت في جوهرها عن:

- مصالح طبقة الأحرار الأثرياء والجنود، وبالرغم من أنها تشير إلى هدف حماية الضعيف من القوي، إلا أنها أكدت بالأساس على حق الأحرار في امتلاك الأراضي، والرقيق، والتصرف المطلق بهم.
- طبقة الحرفيين الأحرار، وكذلك دور الصناع، الذين كانوا يمتلكون بعض الأشغال البسيطة.
- طبقة الرقيق، وتمثل أهمية خاصة في هذه القوانين، وتشكل السواد الأعظم في دولة بابل؛ حيث كان الرقيق يمثل الطبقة المستغلة المحرومة من الحقوق الإنسانية.

وخلاصة القول أن لهذه القوانين علاقة بالنشاط الاقتصادي، ولها دلالة اقتصادية، مما يعني أن هناك فكر اقتصادي.وكان هناك إسهام فكري اقتصادي لدى الحضارة البابلية، إضافة إلى ما ورد عن الملكية وتنظيمها، وهذا أيضًا قضية اقتصادية.

– **الحضارة المصرية، أو الفرعونية**: الدولة في تلك الفترة كانت سلطة مركزية في مصر، وذات أبعاد اقتصادية وسياسية وكانت تملك وسائل إنتاج رئيسة وبالأخص في الأراضي ؛ لأن مصر أرض زراعية، وكان النشاط الزراعي في تلك الفترة على وجه الخصوص له دور كبير، وكانت الطبقة الحاكمة والحاشية، تعفى من الأعمال البدنية وممارسة النشاط الاقتصادي، وكان عملها مقصورًا على النواحي الفكرية فق

من الأمور التي تدل على أن الحضارة المصرية، كان لها إسهامات فكرية في تاريخ الفكر الاقتصادي(صادق سعد،1979،ص40):

1. ظهور بعض الأمور، مثل ظهور نوع من تقسيم العمل.
2. استقرار الزراعة في حقول ثابتة.
3. تنظيم أعلى للموارد المالية، والبشرية.

4. وهو أمر مهم له علاقة بالسماح بالعمل بالتجارة، وهو ما يعرف بـ"القانون الموسوي"؛ لأن العمل بالتجارة لم يكن مسموحًا به على القانون الموسوي، نسبة إلى موسى عليه السلام.

– الحضارة الصينية: تميزت أو أسهمت بالكثير في بزوغ الأنشطة الاقتصادية، ولعل من أهم ما شاركت فيه الحضارة الصينية، وله جانب اقتصادي اختراع الورق، ويعتبر هذا دليلًا على أن الحضارة الصينية كانت متقدمة، لكن لم يصلنا عنها الكثير، وهذا لا يعني أن ننفي وجود فكر اقتصادي لدى الحضارة الصينية.

– الحضارة الفينيقية: فقد كان للفينيقيين نشاط معروف، وتقاليد تجارية، وملاحية، وهذا نشاط اقتصادي، وهذا يدل على أن هناك فكر اقتصادي، لكن الأمر كما هو في الحضارات الأخرى، لم يصلنا عنه الكثير من الأفكار، أو لم يصلنا عنها إلا الندر اليسير.

ثانيا. الفكر الاقتصادي عند اليونان

وجد هذا المجتمع خلال القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، أما النشاط الاقتصادي فكان قائما على الزراعة واستخراج المعادن وتصنيعها، وعلى التجارة الخارجية.

– التنظيم الاجتماعي الطبقي

كان المجتمع اليوناني مجتمع رق وعبودية، ساد فيه نظام الطبقات والذي كان يتألف من(دويدار،1993،ص86)

1- طبقة الملاك الأرستقراطيين: وتتصدر قمة الهرم الاجتماعي، وهي تنظر للعمل اليدوي نظرة سَخرية، تحصل على الريع العقاري دون أن تساهم في الإنتاج.

2- طبقة متوسطة: وهي الطبقة التي تلي طبقة الملاك، تشمل هذه الطبقة صغار الملاك والحرفيين.

3- طبقة الأجانب: وهي طبقة الأجانب المحرومين من الحقوق السياسية .

4- طبقة العبيد: وهي التي تقع في أسفل الهرم والذين يقع على عاتقهم، وحدهم، العمل الإنتاجي (زراعي, صناعي، تعديني) والأعمال المنزلية وخدمة المحاربين في الحروب, لهذا كانت تجارة العبيد من النشاطات الاقتصادية المربحة.

– التنظيم الاقتصادي:

1- الزراعة : شغلت الزراعة مساحة قدرها 20 % من إقليم الدولة وظهرت الوحدات الإنتاجية مثل:

- وحدات كبار الملاك: وتشغل نسبة ضئيلة من إجمالي المساحات المزروعة إلا أنها أحسن الأراضي خصوبة، تزرع بالحبوب وتتربى عليها الماشية وبالطبع العبيد والعمال الأجراء هم الذين يقومون بالعمل الإنتاجي.

- وحدات المالكين الصغار: تشمل معظم الأراضي الزراعية ذات جودة منخفضة يملكها أكثر من نصف السكان، يقوم بالعمل الإنتاجي الأسرة وما تملكه من عبيد مستعملين أبسط أدوات الإنتاج.

2- الصناعة: اهتم المجتمع اليوناني بصناعة الأسلحة والأواني المنزلية، وقامت وحدات حرفية تجمع أفراد عائلاتهم وعبيدهم وبعض العمال الأجراء، وكان محرك الإنتاج الطلبات المسبقة من التجار وغيرهم .كما منحت المعادن لمن يستطيع العمل بها.

3- التجارة الخارجية : عرفت التجارة الخارجية رواجا نسبيا وخاصة بعد صنع السفن التجارية التي قامت لتعوض عجز القطاع الزراعي في سد احتياجات السكان من المواد الغذائية.

كما انتشرت النقود ونشطت المبادلات النقدية وعمليات البيع والشراء، أما حق التعامل بالفضة فكان حكرا على الدولة فقط.

أما بالنسبة للتجار فقد عرفت التجارة الخارجية رواجا نسبيا وخاصة بعد صنع السفن التجارية وقامت لتعوض عجز القطاع الزراعي في سد احتياجات السكان من المواد الغذائية. كما انتشرت النقود و نشطت المبادلات النقدية وعمليات البيع و الشراء. أما حق التعامل بالفضة فكان حكرا على الدولة فقط.

بالنسبة للتنظيم الاجتماعي، كان المجتمع مجتمع رق وعبودية، ساد فيه نظام الطبقات ففي قمة الهرم الاجتماعي يتصدر طبقة الملاك الأرستقراطيين التي تنظر للعمل اليدوي نظرة سخرية، تحصل على الريع العقاري دون أن تساهم في الإنتاج، وتلي هذه الطبقة طبقة متوسطة من صغار الملاك والحرفيين ثم طبقة الأجانب المحرومين من الحقوق السياسية و في أسفل الهرم تقع طبقة العبيد الذين يقع على عاتقهم، وحدهم، العمل الإنتاجي "زراعي، صناعي وتعديني" والأعمال المنزلية وخدمة المحاربين في الحروب. لهذا كانت تجارة العبيد من النشاطات الاقتصادية المربحة.

- الفكر الاقتصادي لدى الفيلسوف اليوناني أفلاطون:

يعد أفلاطون من أشهر فلاسفة الإغريق, وهو تلميذا للفيلسوف سقراط لمدة تزيد على خمس سنوات وتعلم منه " أن الفضيلة هي المعرفة ". لذلك وبعد وفاة سقراط رحل أفلاطون متوجهاً إلى مصر بحثاً عن المزيد من العلم والمعرفة، ثم انتقل بعدها إلى صقلية. وعندما عاد إلى أثينا رغب إليه أهلها في استلام حكمها إلا أنه رفض ذلك متأثراً بمعلمه سقراط في مجال الزهد، وتأكده من أن قناعاته تخالف قناعات الأثينيين.

تناول أفلاطون بعض المشاكل الاقتصادية في كتاباته الفلسفية و بوجه خاص في كتاب لجمهورية و القوانين, ويرجع أفلاطون سبب نشأة الدولة إلى اعتبارات اقتصادية، فحاجات الإنسان متعددة، و لا بد

من اجتماع الأفراد في جماعة سياسية حتى يمكن إشباع هذه الحاجات (القريشي،2000،ص39).

دعا أفلاطون في "الجمهورية" إلى إقامة مدينة مثالية قوامها تقسيم العمل والاختصاصات والمزايا بين طبقات المجتمع, والعمل على تحقيق المساواة بين المواطنين.

قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاثة طبقات، تختص كل منها في تأدية عمل محدد حسب فكرته حول تقسيم العمل، فالحكم يجب أن يترك لطبقة الفلاسفة والحكماء، ويدخل في طائفة الحكام أيضا النبلاء والمحاربون الذين يشكلون الطبقة الثانية، أما طبقة المحكومين فتتضمن العمال اليدويين و الزراعيين والصناع.

ان قوام المجتمع الذي رسمه أفلاطون إنما هو بضعة آلاف من الناس يقيمون في مدينة, وليس بين ظهرانيهم غني أو فقير, فالكل متساوون, لان الثراء في رأيه يجلب معه الترف والكسل.

كما ان الجري وراء الثروة بعنف يؤدي إلى المنافسة القاتلة, ثم ان امتلاك الأرض المنتجة من شأنه إثارة الشحناء والبغضاء بين أعضاء المجتمع الواحد.

ومع ذلك فان أفلاطون في موضع آخر من كتابه يقرر استحالة تحقيق المساواة التامة بين المواطنين, إلا انه يؤكد ان الفقر المدقع والغنى الفاحش لا ينبغي وجودهما في مجتمعه المثالي, وهو ما دفعه ان يقسم السكان ثلاث طبقات:

– الطبقة الأولى: هي طبقة الصناع الذين يبنون المنازل ويحكون الملابس ويعدون الطعام, وهنا نلمح فكرة تقسيم العمل التي ركز عليها آدم سميث بعده بمئات السنين: فأفلاطون يجد في تقسيم العمل أساسا للتنظيم الاقتصادي لدولته المثالية, ومن ثم يجب ان تكون المدينة الفاضلة من السعة بحيث تتيح لكل فرد فيها ان يؤدي العمل المناسب له.

– الطبقة الثانية: فهي طبقة المحاربين الذين يذودون عن الدولة تجاه المغيرين, وهؤلاء يجب ان يربوا تربية خاصة, ليشبوا متصفين بالشجاعة والإقدام وحب الوطن, ولذلك فان الألعاب الرياضية والموسيقى والتاريخ هي المواد الأساسية اللازمة لتربيتهم وتثقيفهم.

– الطبقة الثالثة: فهي طبقة الحكام أو الفلاسفة الذين يجب العناية بهم وتثقيفهم ثقافة رفيعة. وهنا تبرز دراسة الفلسفة والمنطق والموسيقى والإدارة. إلا أنهم (أي الحكام) يجب ان يتصفوا بميزات شخصية لازمة لخدمة الدولة, كما يجب ان يتحلوا بالصدق والجلد وضبط النفس, وهم يجب ان يعيشوا معا, كما يفعل الرجال المحاربون في المعسكرات, وتحرم عليهم الملكية الخاصة وامتلاك الذهب والفضة أو التحلي بهما.

وتؤدي كل طبقة من الطبقات في هذا المجتمع الأفلاطوني العمل المناط بها, ويجوز ترقية بعض أعضاء الطبقة الثانية إلى الثالثة, وربما تم إنزالهم إلى اقل من طبقاتهم طالما اتفق ذلك مع مصلحة المدينة, ولكن المهم في هذا كله ان يكرس كل فرد من أفراد هذه الطبقات للعمل الذي يناط به.

يبني أفلاطون فكرته في تقسيم العمل في جانبين: الأول وهو اختلاف المواهب الطبيعية وفي هذه الحالة فان عملية التخصص تزيد من الإنتاج كما تقوم بتحسين النوعية, أما الجانب الثاني فيتجلى في تصوره لتنظيم الدولة (البيلاوي،2000،ص19).

أما في مجال النقد فيري أفلاطون أن النقود ما هي إلا عبارة عن وسيلة التبادل, وأن قبولها في المعاملات يرجع إلي قيمة المادة التي تُصنع منها النقود, ومن أجل هذا لا يجد مبرر لاستخدام الذهب والفضة كنقود, لأن المادة

المصنوعة منها سوف تكون لها قيمة معينة, ولذا اقترح أفلاطون استخدام نوع من النقود ذو قيمة صورية تقبل بعلتها.

ومن هنا يحق القول بأن أفلاطون أول من نادى أن تكون قيمة النقود مستقلة تماما عن قيمتها الذاتية كما يؤكد أفلاطون علي ضرورة التفرقة بين النقود المحلية المقبولة فقط داخل الدولة وبين النقود العامة التي تحتفظ بها الدولة للأسفار والتحويلات, حيث يري أنه يجب علي الأفراد الذين يعملون خارج البلاد عند عودتهم أن يسلموا ما لديهم من عملات أجنبية للدولة, ويحصلوا مقابلها على نقود محلية.

كما يدعوا أفلاطون إلى إلغاء الملكية الخاصة و الميراث والأسرة بالنسبة للطبقة الحاكمة حتى تتوفر لديهم الرغبة في الاستمرار في الأداء و الحفاظ على المصلحة العامة, لأن من أسباب انحراف البشر حب الملكية الفردية والرغبة في توريث الأولاد (نامق،1978،ص10).

بينما أكد في المقابل على أهمية الملكية الخاصة بالنسبة لطبقة الصناع والحرفيين والمزارعين لأنهم يهدفون إلى تحقيق مصالحهم الخاصة, ولكن حرية الملكية الخاصة بالنسبة للمنتجين ليست حرية مطلقة بلا حدود , ولكن لا بد من تدخل الدولة لمنع الثراء الفاحش, ومنع الفقر المدقع علي حدا سواء.

بينما في مجال الرق فيعتبرهم أفلاطون أنهم عنصر دائم في الحضارة الإنسانية لا يمكن الاستغناء عنهم وأفضلهم الأجانب المستولى عليهم في الحروب.

عرف عن أفلاطون تحبيذه لفكرة الشيوعية في الفكر الاقتصادي بالنسبة لطبقة الحكام في مدينته المثالية.

وكلمة الشيوعية في اللغة أتت من معنى المشاع بمعنى وضع الملكية عامة لكل الشعب وأن يعمل الفرد على قدر طاقته وأن يأخذ على قدر حاجته، أفلاطون اعتمد هذه النظرية لكي يبعد عن طبقات المجتمع الدنيا التناحر فيما بينها في ملكية العقار، وطبعا هذا كان أساس لأفكار الشيوعية التي شكلت حركة ثورية قادها كارل ماركس وفريدريك انجلز وفلاديمير لينين منذ ماضٍ قريب.

– الأفكار الاقتصادية عند أرسطو:

ضمن أرسطو آراءه الاقتصادية في كتابه القيم "السياسات" الذي وقف فيه وقفات تحليلية أمام بعض المشكلات والظواهر الاقتصادية, ولذلك يعتبر أول القدماء الذين وضعوا ما يمكن تسميته "ببذور نظرية اقتصادية" تقوم على تحليل الظواهر والمشكلات, فهو قد دفع علم الاقتصاد دفعة قوية ولأول مرة في التاريخ الإنساني, ليصبح علما متميزا على العلوم الفلسفية والمنطقية التي كانت سائدة حين ذاك (عبد الحميد راتب،2001،ص14).

يتميز أرسطو عن غيره من مفكري العصور القديمة بأنه حاول تحليل بعض المشكلات والظواهر الاقتصادية، ولذلك يعد من القدماء الذين وضعوا ما يمكن تسميته: بذور نظرية اقتصادية, تقوم على تحليل الظواهر والمشكلات, وقد وردت معظم أفكاره في كتابيه: الأخلاق والسياسة.

انتقد أرسطو الأفكار التي تنادي بإلغاء الملكية الخاصة وإنشاء نظام جماعي؛ لأن النظام الجماعي يؤدي إلى منازعات سوف تقضي على النظام، ولذلك يفضل الملكية الخاصة؛ لأن كل فرد يسعى لتنمية

ملكيته, فيزيد الإنتاج ولكن يجب إدخال اعتبارات الأخلاق.

و يرتكز التحليل الاقتصادي لأرسطو مباشرة على الحاجات وإشباعها عن طريق الحصول على الأموال، عبر ممارسة الزراعة و الصناعة و تربية المواشي و الصيد، إلى جانب التجارة, ويعتقد أرسطو أن العائلة هي الوحدة الإنتاجية التي تعمل على تحقيق اكتفاءها الذاتي(نامق،1978،ص13) .

أقر أرسطو حق الملكية الخاصة منددا بما ذهب إليه أفلاطون، و بهذا يعتبر أرسطو أول من أرسى دعائم الرأسمالية، و قد استخدم أرسطو في دفاعه عن الملكية الخاصة ثلاثة براهين(دويدار،1993،ص72):

- الملكية سبب في تحقيق السعادة البشرية.
- الملكية تؤدي إلى الارتقاء و النهوض بالنفس البشرية
- الملكية الخاصة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحرية كأرقى مطلب تسعى إليه النفس البشرية

و يرى أرسطو أنه من الممكن التوفيق بين المصالح الخاصة و العامة، و أن البواعث الشخصية هي من أقوى البواعث و قد تكون من أهم الأسس لتحقيق المصلحة العامة. كما رفض فكرة إلغاء الأسرة (نامق،1978،ص16).

وقد فرق أرسطو بين نوعين من القيمة يكونان لكل سلعة من السلع، وهما: قيمة الاستعمال والتي تعني منفعة الشئ للمستهلك, وقيمة المبادلة التي تهدف إلي تحديد معدل التبادل بين السلع بعضها البعض، فالحذاء –مثلاً– تكون له قيمة استعمال تنتج عن عملية لبسه وتكون له قيمة مبادلة تمثل ما نحصل عليه من سلع في السوق نتيجة لمبادلة الحذاء بغيره من السلع.

كذلك عرّف أرسطو الاحتكار بالتعريف الذي ما زال مستخدما في الوقت الحاضر, وهو: موقف أو انفراد بائع وحيد ببيع سلعة في السوق، وقرر بأن الاحتكار غير عادل؛ لأنه يقوم على الاستغلال، ويؤخذ من ذلك أنه كان يدافع عن فكرة السوق التنافسية.

أما في مجال النقد نجد أرسطو أكثر واقعية من أفلاطون، حيث يتناول في البداية كيفية وأسباب نشوء النقد ويرى بأن التبادل يمكن أن يتم عن طريق المقايضة, غير أن تطور المجتمع البشري وقيام التبادل بين مجتمعات متباعدة جعل من استعمال وحدة معينة متجانسة سهلة للنقل كوسيط لهذا التبادل ضرورة ملحة.

وهكذا ظهر النقد، ولم يكن ظهوره إذا إلا لأسباب تسهيل التبادل، وبالتالي اعتبرت وظيفة المبادلة سببا وغاية في النقد, وقد أدى هذا الاعتقاد لدى أرسطو إلى رفضه لقضية الإقراض بفائدة، باعتبار أن النقد لا يمكنه أن يلد نقدا وأن التجارة في النقد – من خلال الإقراض بفائدة – هو خروج عن الغرض الأصلي والحقيقي من وجود النقد وهو تسهيل التبادل.

أما عن قيمة النقد، فقد أوضح أرسطو أنها تخضع لنفس القوانين التي تحكم قيمة السلع، ولو أنها ليست عرضة للتقلب الشديد الذي تتعرض له السلعة العادية. وفي هذا الصدد نشير إلى أن أرسطو يعد من الأوائل الذين

أسسوا لنظرية القيمة–العمل في تحديد قيم الأشياء رغم اعتباره النقد المقياس المشترك لقيم الأشياء أثناء التبادل (البلاوي،2000،ص20)

و فيما يتعلق بتحديد قيمة التبادل فقد اهتم أرسطو بتحديد فكرة الثمن العادل بالرجوع إلى اعتبارات أخلاقية, ولهذا السبب أدان أثمان الاحتكار باعتبارها غير أخلاقية وغير عادلة.

ولقد تطرق أرسطو إلى موضوع الربا, فانتقده اشد الانتقاد طالما ان النقود لا تلد نقودا– كما يقول: ومن هنا فان الربا هو اشد طرق كسب المال مجافاة للطبيعة البشرية. وهو هنا يقترب من الاقتصاد الإسلامي وأصوله الحديثة من حيث مناهضته لمبدأ الربا وإقراض النقود بفائدة (نامق،1978،ص18).

كذلك تعرض أرسطو لموضوع الرق ومسوغاته, وعلى الرغم من ان أفكاره عن الرق تدخل ضمن فلسفته في الحياة فإنها تمس صميم الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت, ومن ثم فهي أفكار اقتصادية يجب عدم إهمالها, وأرسطو لا ينادي بإلغاء الرق, إذ يعتبره جزءا لا يتجزأ من تكوين المجتمع اليوناني القديم, بل هو نوع من الملكية الخاصة.

أرسطو يرى أنه لا مناص من وجود فئة من الناس لتحكم, وفئة أخرى لتحكم, ذلك ان ثمة أناسا قضت الطبيعة عليهم منذ ميلادهم ان يكونوا خاضعين لسيطرة الآخرين (عبد المولى،1979،ص34).

وظاهر من هذا الرأي ما يتصف به من تزمت وصرامة, ولكن ربما كان عذر أرسطو فيما ذهب إليه من آراء عن الرق أن البيئة اليونانية القديمة والحروب المتلاحقة التي لازمتها قد أكثرت من أعداد الرقيق, ومن ثم لم يكن هناك بد من تأثره بظروف عصره.

ثالثا. الفكر الاقتصادي عند الرومان

قام النظام الروماني على نشاط اقتصادي أساسي هو الزراعة من خلال استغلال الرق، حيث أضحت ملكية الأرض الزراعية الاستثمار الوحيد المأمون، والرقيق هم محرك النشاط الاقتصادي.

بدأت الزراعة على مستوى عائلات صغيرة وما لبثت أن أخذت تتوسع بالتدريج ويتوسع بتوسعها ملكية فئات قليلة من الأراضي الزراعية أما علاقات الإنتاج فقد كانت قائمة على أساس الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وزادها توسعا عمل العبيد الاستثماري دون مقابل، حيث تخصصت منتجات المزارع الكبرى بصورة رئيسية للبيع في السوق، ولهذا اعتبر أن ما يميز النشاط الاقتصادي آنذاك تطور أهداف الإنتاج من مجرد إشباع الحاجات الاستهلاكية إلى الإنتاج بهدف المبادلة وتكوين الثروات من قبل التجار وأصحاب رؤوس الأموال. فيما يخص التجارة فقد انحصرت في البداية بتبادل منتجات القرية الغذائية بمنتجات المدينة الحرفية، وبعد الفتوحات الرومانية نشطت الحركة التجارية وتكونت طبقة التجار وأصحاب رؤوس الأموال الجديدة، وأخذ التحول ينتقل تدريجيا من الاقتصاد الزراعي إلى الاقتصاد التجاري وأخذت تختفي معه الطبقة المتوسطة من الزراع(عبد المولى،1979،ص36).

وأدى نمو التجارة والتداول النقدي إلى تطور الرأسمال النقدي الربوي وأخذت تنشأ شركة الملتزمين الذين كانوا يقومون بالعمليات التسليفية ويلتزمون بجبي الضرائب وانتشرت بصورة واسعة مكاتب الصرافة حيث كانت عملية حفظ النقود و تحويلها تتم هناك. أما الأشخاص الذين كانوا يمارسون مهنة التجارة والربا وتقديم القروض بفائدة، بدؤوا ينفصلون تدريجيا و شكلوا طبقة اجتماعية مميزة سميت طبقة الفرسان. وسادت التجارة الخارجية فيما بعد فكانت تستورد روما من الولايات التابعة إليها المنتجات الزراعية، وتصدر إليها المصنوعات المعدنية.

يعتبر النظام الروماني أوضح مثال على النظام الاقتصادي الزراعي، القائم على الرق، ففيه الزراعة هي النشاط الاقتصادي الأساسي، وملكية الأرض الزراعية هي الاستثمار الوحيد المضمون، ثم إن الرقيق هم أساس النشاط الاقتصادي.

- التنظيم الاجتماعي والطبقي:

بالنسبة للتنظيم الاجتماعي فقد أباح القانون الروماني استيلاء المواطنين الأحرار على العبيد الأجانب كما كانت الدولة تبيع للمواطنين أسرى الحروب، حيث كان البنيان الطبقي يتألف من (محمود علي،2011،ص57):

- طبقة النبلاء (الأشراف) و طبقة الفرسان.
- طبقة العامة و طبقة العبيد

- التنظيم الاقتصادي:

1- الزراعة: بدأت بشكل المزرعة العائلية الصغيرة ما لبثت أن أخذت تتوسع بالتدريج ويتوسع بتوسعها ملكية فئات قليلة من الأراضي الزراعية.

2- علاقات الإنتاج: كانت علاقات الإنتاج قائمة على أساس الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وزادها توسعا عمل العبيد الاستثماري دون مقابل، حيث تخصصت منتجات المزارع الكبرى بصورة رئيسية للبيع في السوق، ولهذا اعتبر أن ما يميز النشاط الاقتصادي آنذاك تطور الإنتاج المثير بهدف إشباع الحاجات الاستهلاكية إلى الإنتاج بهدف المبادلة وتكوين الثروات من قبل التجار وأصحاب رؤوس الأموال.

3- التجارة: انحصر النشاط التجاري في البداية بتبادل منتجات القرية الغذائية بمنتجات المدينة الحرفية، وبعد الفتوحات الرومانية نشطت الحركة التجارية وتكونت طبقة التجار وأصحاب رؤوس الأموال الجديدة، وأخذ التحول ينتقل تدريجيا من الاقتصاد الزراعي إلى الاقتصاد التجاري وأخذت تختفي معه الطبقة المتوسطة من الزراع .

4- تطور رأس المال النقدي الربوي: أدى نمو التجارة والتداول النقدي إلى تطور رأس المال النقدي الربوي، وأخذت تنشأ شركة الملتزمين الذين كانوا يقومون بالعمليات التسليفية ويلتزمون بجباية الضرائب، وانتشرت بصورة واسعة مكاتب الصرافة، حيث كانت عملية حفظ النقود وتحويلها تتم هناك. أما الأشخاص الذين

كانوا يمارسون مهنة التجارة والربا وتقديم القروض بفائدة بدؤوا ينفصلون تدريجيا وشكلوا طبقة اجتماعية مميزة سميت طبقة الفرسان.

5- التجارة الخارجية: سادت التجارة الخارجية فيما بعد، وأصبحت روما بذلك تستورد من الولايات التابعة لها المنتجات الزراعية وتصدر إليها المصنوعات المعدنية.

الخلاصة:

من خلال هذه الدراسة حاولنا تحديد وتشخيص طبيعة المراحل الأولى لتطور الفكر الاقتصادي, حيث إن المراجع لتطور الفكر الاقتصادي يجد أنه في مراحله الأولى لم يكن سوى مجرد اهتمامات جزئية تندرج في إطار تصور لكيفية بناء تنظيم اجتماعي معين (الجمهورية أو المدينة الفاضلة)، ولم يكن للتحليل الاقتصادي (ولا للسياسة النقدية) مكان خاص في هذه التصورات، ناهيك عن التحليل النقدي أو السياسة النقدية, ومع ذلك يمكن اعتبار تلك الأفكار بذورا أولى في الفكر الاقتصادي الحديث, إذ نستطيع القول: بأن هذه الحضارات كان لها إسهامات اقتصادية، وهذه الإسهامات الاقتصادية بطبيعة الحال، كانت نتيجة لوجود فكر ونظريات ورؤى وأدوات تحليل اقتصادي.

عند الإغريق ارتبط الاقتصاد بالأفكار الفلسفية والاجتماعية ومناقشة الأمور الجارية العادية دون أن تكون له ذاتية مستقلة تعبر عن الواقع وتقدم نظرية متكاملة في كليتها. ومن بين مفكري تلك الفترة يعتبر أفلاطون وأرسطو من ابرز الفلاسفة الذين تعرضوا للمشاكل الاقتصادية.

أما بالنسبة للفكر الاقتصادي الروماني, فبالرغم من أن الرومان لم يقدموا فكرا اقتصاديا يرقى إلى الفكر اليوناني إلا أنهم اثروا في الفكر الاقتصادي اللاحق من خلال تنظيماتهم القانونية والتكوين الذي يهتم بدراسة القانون و للرومان في هذا الإطار مساهمات أساسية.

إن الأفكار الخاصة التي تأثر بها القانون الروماني في الفكر الاقتصادي هي فكرة القانون الطبيعي التي احتلت مكانة بارزة من خلال الفكر الاقتصادي في القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن العشرين.

قائمة المراجع:

1)احمد صادق سعد، تاريخ النمط الاقتصادي في مصر، دار الاسيوي للانتاج،بيروت،1979.

2)إسماعيل محمود علي، تاريخ الفكر الاقتصادي، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، 2011.

3) حازم الببلاوي, النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت،2000.

4) محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي, كلية الحقوق, جامعة الإسكندرية, 1993.

5) مدحت القريشي, تطور الفكر الاقتصادي, الطبعة الأولى, دار وائل للنشر, الأردن, 2008

6)صلاح الدين نامق، قادة الفكر الاقتصادي، دار المعارف، القاهرة، 1978.

7) نجلاء عبد الحميد راتب, الاقتصاد والمجتمع, مطبعة رياض، دمشق، 2001.

8)محمود عبد المولى, تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور, الشركة التونسية للتوزيع, 1979.

9) إسماعيل محمود علي، تاريخ الفكر الاقتصادي، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، 2011.

تاريخ الاستلام: 2016/12/11 -تاريخ التحكيم: 2017/03/26 -تاريخ النشر2017/06/30

انتفاضة حاسي صاكة15أكتوبر 1957م ...نتائجها وانعكاساتها

أ.فاطمة الزهراء حوتية

جامعة احمد دراية بادرار –(الجزائر)

الملخص:

شهدت منطقة العرق الغربي حراك سياسي بداية من 1956م إذ تمثلت في اجتماعات سرية وتحضيرات جدية لاحتضان الثورة التحريرية المجيدة، وقد كانت تنتظر سوى أوامر قيادة الثورة التحريرية للقيام بالعمل الثوري في العرق الغربي.

وقد ساهمت القبائل النازحة للعرق الغربي الكبير كأولاد جرير ودو منيع وأولاد سيدي الشيخ والشعانبة الذين نزحوا لهذه المناطق بسبب عدم رغبتهم في التعايش مع الاستعمار الفرنسي فضلاً عن مده السكة الحديدية والمجاعات التي شهدتها تلك المناطق، فقد التحموا مع أبناء هذه المنطقة لمحاربة الاستعمار الفرنسي وشكلوا بذلك سلسلة من مقاومات عرفتها منطقة العرق الغربي ابتداءا من انتفاضة حاسي صاكة التي كانت بمثابة الضربة القوية في رد على مزاعم الاستعمار الفرنسي بأن هذه المناطق آمنة بعيدة كل البعد عن أي عمل ثوري– للالتحاق بركب الثورة الجزائرية– .

Résumé:

La région occidentale a vu un mouvement politique depuis le début de 1956, tel que les réunions secrètes et les préparations de sérieuses et régoureuses pour embrasser la glorieuse revolution algérienne, ils ont attendu que les orders de la direction de la gurre révolutionaire nationale éditoriale pour commencer le travail révolutionnaire dans El-Erg occidental.

Les tribus déplacées la Grande race occidentale ont évalué que Ouled Jarir; Doui-Menia; Ouled Sidi Cheikh et Châamba qui se sont enfuis dans ces régions en raison de leurs refus total et definitif de coexistence avec le colonialisme français, ainsi que les famines que ces zones ont connu,donc ils ont contribué avec les habitants de cette région pour lutter contre le colonialisme français et ont formé une imbateble série des résistances connus dans la région occidentale de El-Erg comme le résistance de Hasi Sakh qui était une frappe puissante et une réponse aux allégations de la colonization française que ces zones coffre-fort est loin de toute action Révolutionaires par contre ils ont à rejoint la revolution immensément-.

1.1تعريف فرقة المهاري

تعرف بفرقة المهارى، وهي قوات فرنسية ضمت لها فرنسا بعض السكان المحليين في الصحراء هدفها حراسة الحدود الجزائرية (زقب، ع.2005-2006: 229)، من موريتانيا حتى ليبيا ومن النيجر حتى الأطلس الصحراوي، فهي بمثابة شرطة الحدود وتضم الكتيبة خمس سرايا; (peletons) مقرها أدرار وسرية أخرى بمدينة رقان وسرية ثالثة بمدينة تيميمون وسريتان محمولتان على شاحنات من نوع دودج (Dodge) أمريكية الصنع (تواتي ،د.2009-:26) وعددهم 201 عنصر من ضمنهم 70جزائري والباقي فرنسيين(قلوم،م. 2014)، ومكونة أساساً من الشعانبة والزوى أولاد سيدي الشيخ فهم حلفاء استراتجيين وتورثوا كره الاستعمار بسبب القصص التي كانت تروى لهم وقد جندوا في

هذه الفرقة لأنّه العمل الوحيد الذي ترك لهم لكسب قوة عيشهم من جهة(،تواتي، د.2014)،ومن جهة أخرى تعد من القبائل التي ناصرت المجاهد بوعمامة مع نهاية القرن التاسع عشر وهاجرت من مواطنها في متليلي والأبيض سيدي الشيخ إلى منطقة توات، وتؤكد كل المؤشرات أنَّ جذوة المقاومة بقت متقدة في أعماق هؤلاء المهارية وهذا بعد أسهت أحداثاً كثيرة في يقضة هؤلاء المجندين الجزائريين وأدت بهم للالتحاق جماعياً بركب الثّورة الجزائرية في 15أكتوبر ومن أهم هذه الأحداث هي على النّحو الآتي:

أ- حادثة استعراض14جويلية1953 بباريس:

نقلت الإدارة الاستعمارية مجموعة من أفراد الكتيبة الجزائرية إلى باريس بُغية إنجاز فيلم سينمائي وتقديم استعراض في عيد الاستقلال الفرنسي فكان منهم السي الهاشمي امحمد الذي شاهد أحد من الجمهور المتفرج يرشق المهارية بالحجارة كلما مروا في هذا الاستعراض.

والظاهر أن مناضلي حركة الانتصار قد فعلوا ذلك قصداً للاتصال بالمهارية والحديث معهم ويبدو أنه نجحوا في ذلك عندما استدرجوا الهاشمي امحمد عندما تبعهم في أحد الأزقة فسألوه: من أي بلد أنتم؟ قال: نحن من الجزائر، من توات. لماذا لا تدافعون عن حريتكم؟ كيف تقبلون أن يسيركم بعض الأفراد من المحتلين؟.

ب- حادثة واد سوف:

زجَّ الاستعمار الفرنسي بالمهارية لمواجهة جيش التحرير بقيادة عمارة الأخضر المدعو (حمّة لخضر) بواد سوف عام1955م، ذلك أنَّه بعد اجتماع القيادة المؤلفة من بشير شيحاني وعباس لغرور وجدري الأزهر تقرر توجه فصيلة من الأوراس إلى وادي سوف بقيادة حمَّة لخضر إذْ يتراوح عددها ما بين29إلى 45 فمنهم: قريد عبد المالك، الساسي بن داسي، العربي الأغواطي،علاوة(من تبسة) والعربي بوغزالة ...وغيرهم، وهذا من أجل جمع السلاح لثَّورة وتجنيد بعض الشبان، وكان وصولهم إلى وادي سوف غير مضبوط من قبل المشاركين في هذه الفصلية إذ يشير ابن داسي أنه كان في 07 أوت وقريد في08 أوت وإبراهيم رحومة الذي استضافة الثّوار ساعة وصولهم يؤكد بأنّهم وصلوا صباح يوم الاثنين الموافق للثامن من الشهر المذكور (سعد الله، أ. 121،119:2005)، وقد حقق الرجل انتصارات مدوية على القوات الاستعمارية في كمائن مباغته جعلت صفوفه تتدعم وصداه يخترق الصحراء وقوته تسيطر على الضفة الغربية لعرق العريشي وخشيت من انتقال صداها إلى الصحراء التي تميزت في ذلك التاريخ بالهدوء والترقب لهذا تقرر تجنيد مهارية توات والمرسونين لملاحقته ووقف تقدمه.

وقبل الانطلاق نحو وادي سوف جمع النقيب موري أفراد مهارية في ساحة لابيرين بأدرار وقال بعد وصف حمة ورفاقه بالفلاقة وقطاع الطرق: فرنسا حجرة قوية...فرنسا رباتكم وقراتكم وقرات جدودكم" ثم أمرهم بالاستعداد للسير نحو وادي سوف.

ورفضت المجموعة التي كان يترأسها الرقيب الأول بيدة محمد المعروف بالعطشان؛ والمجموعة التي ضمت الدين سليمان والعريف الأوّل الهاشمي امحمد والعريف الأوّل احميدة بلعقون التوجه إلى وادي سوف وعدم تجديد عقودهم ضمن هذه الكتيبة ورفعوا إلى النقيب موري عشرة مطالب مستعجلة، منها دفع متأخرات الأجور والمطالبة بعطلة طويلة الأجر. وشعر النقيب موري بخطورة التطورات المتلاحقة لاسيما انهيار ثقته في المهارية الجزائريين فحاول تصحيح أخطائه عندما تبين له جدية المهارية في قرار الانسحاب وعلى إثرها أرسل النقيب موري كلا من سليمان بن عبد الله إلى الدين سليمان وبن

سعيد محمد إلى الهاشمي امحمد وجيبو عبد الله إلى حميدة بلعقون بهدف ثنيهم عن قرارهم غير أنه لم ينجح في ذلك فقد غادروا الثلاثة الكتيبة المهارية منذ خمسين يوماً غير آبهين بالأجور المغرية التي قطعت عنهم وعن عيالهم، وسحبت وثائقهم ومنعت عنهم الإجازات. ولما عادت هذه المجموعة إلى أدرار في خريف1955م زج بهم في سجن البرج (حصن عسكري) معروف باسم سجن ابن شهرة، وأخضعوا إلى عقوبة الأشغال الشاقة مع عشرة من رفاقه وأطلق سراحهم في 1956م.

إلى جانب آخر كان الهاشمي امحمد وهو في الطريق إلى وادي سوف على دراية تامة بأنَّ حمة لخضر ورفاقه مجاهدون وأنّ فرنسا قوة استعمارية كافرة ومحتلة ولكنه لم يحدث بهذا إلاّ الثقاة من رفاقه المهارية ممّن كان يحكي لهم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (تواتي د، مقلاتي، ع، رموم،م.2004:35).

وحسب الرواية الاستعمارية فإن مهارية توات والمرسونيين ساهموا بدور كبير في تلك المعركة التي جرت قرب مقران بوادي سوف، التي قتل فيها العديد من المجاهدين تلتها بعد سبعة أشهر معركة تاغزوتي التي استشهد فيها حمَّة لخضر.

والواقع الجزائريين أنَّ علاقة المجندين مع رؤسائهم الفرنسيين في كتيبة المهارى قد تدهورت منذ أحداث وادي سوف، فقد لاحظوا الضباط الأوروبيون أنّ المهارية يتلكؤن في تأدية الأعمال اليومية الموكلة إليهم كما لاحظوا أنَّ معظم المهارية طلوا تسريحهم من الجندية لما أبلغوا أمقيد شهرأكتوبر1956م. ففي العاشر أكتوبر1956م سرح نحو عشرين نفراً من المهارية، ومن مظاهر غياب الثّقة بين الجانبين أنّ الضابط الفرنسي كان ينزع سلاح المهارية ليلاً ويشده إلى سلسلة منذ أن تنقل إلى قاعدة بـ12 الكيماوية في وادي الناموس شهر أفريل1957م وهي تعليمات صادرة عن قيادة الجيش الفرنسي(تواتي د. 2009: 27-28).

ج- اجتماع تسلغة:

قبل الشروع في ذكر مجريات تفاصيل الانتفاضة، نظم السيد فرحات بلعيد مع الهاشمي امحمد إجتماعا تنسيقا بأمر عقبي عبد الغني، بين شهري أوت وسبتمبر1957م في واحة نخيل قرب مركز تموين تيمزلان الذي يشرف عليه الشامخة محمد، وقد حضر سي فرحات في أربعة من جنده، هم جكاني علي، مولاي حوَّاص، محدادي العيد والسي يعقوب طلبه، قصد رفع معنويات الآخرين وتشجعيهم على المضي في العملية كما حضره الهاشمي امحمد وآخرون.

ألقى سي فرحات خطابا باسم أحد مسؤولي الولاية، السيد عبد الغني، شجع فيه المجاهدين وتحدث عن سير الثورة وضرورة نقلها إلى الصحراء كما أنه أكد على أحداث تنظيم دائم لجيش التحرير بمنطقة العرق في حالة نجاح الإنتفاضة بحيث يكون سي فرحات هو القائد والسي الهاشمي أمحمد نائبا ومحافظا سياسيا وقادا عسكريا بالمنطقة. وقد تبين في هذا الإجتماع، من خلال الإتصالات التي جرت مع المهارية في حاسي صاكة، أنهم هم الذين حددوا تاريخ15أكتوبر1957م للقيام بالإنتفاضة.

ومرد هذا الإختيار أيضا إلى كون الكتيبة قد إجتمعت كلها بتحويل الكتيبة وتقاضي أفرادها أجورهم في إنتظار أن يعاد تقسيمهم وتحريكها نحو الجبهات المختلفة، إلا أن رأيا آخر يقول أن الإنتفاضة قد كانت مقررة شهر نوفمبر والذي غير تاريخها إنما هو إعتقال جماعة من المناضلين في أدرار مما جعل الآخرين يعجلون المهمة.

وتقرر تعيين الهاشمي أمحمد نابا لفرحات وبلعقون احميدة نائبا للهاشمي وعبد القادر الزيادي، المدعو كحلوش، كي ينحب المهارية المنتفضين إلى المراكز التي يقيم بها الملازم فرحات، قام هذا الضابط بتعيين جماعة أخرى تقوم بالهجوم على ثكنة

تيميمون بالتزامن مع إنتفاضة حاسي صاكة مستفدين من استعداد اليتيم الشيخ رئي القومية التمر مع رفاقه(تواتي د. 2009: 27-28).

د-أهم مراكز التموين بالعرق الغربي:

يبدو أن فكرة الفداء داخل تيميمون قد لقيت معارضة من قبل اللجنة الخماسية ورئيسها أقاسم عبد العزيز وأعيان المدينة، الذين اعتقدوا بأن المدينة قليلة السكان وأن أي غريب عنها سيكشف أمره، كما أن الجيش الفرنسي سيلجأ إلى الإضطهاد الجماعي للسكان ومحاصرة القصور وعزل جيش التحرير، بدل ذلك اقترح البعض من السياسيين إنشا مراكز التموين التي تكتسي أهمية بالغة لجيش، ومن أهم هذه المراكز:

- مركز تاغيارت: يعد أول مركز يؤسس بمنطقة تميزت بوجود أشجار النخيل وتوفر المياه وبالامكان الوصول إليه عن طريق واد، وقد عين عليه نويفدي قويدر (عبد الحي)، حناني عيس ويحياوي محمد.
- مركز تيمَزْلان: يديره الزاوي محمد بن المبروك كمسؤول يساعده الدين الشيخ بن محمد.
- مركز قصر تقانت: وقد أشرف عليه الشامخة محمد مع جماعة من المناضلين من بينهم لمعلم محمد وبن الباي أحمد ولمعلم علي والطاهري الطاهر وبن عيسى مولاي أحمد.
- مركز تاعنطاس: مسؤول عليه عيشاوي قدور المدعو(القريبطة).
- مركز تموين تنركوك الأول: يشرف عليه السيد حكومي أعْبيد برفقة حكومي سالم.
- مركز تنركوك الثاني: يديره الناصري محمد وأحمد بن كروم.
- مركز زاوية الدباغ (فاتيس): كان المسؤول عنه زراري أحمد.
- مركز حاسي الدُّكَّار.
- مركز سيدي منصور: المشرف عليه المقَدَّم مبروك.
- مركز قرن الرثماية: قرب حاسي تيمنْدرت(تواتي د. 2009: 35).
- مركز الحاج قلمان: يديره صادقي محمد الحمياني والهاشمي محمد والهاشمي معمر والحاج علال بوشارب.
- مركز حاسي بطين: يشرف عليه شامخة محمد ومعلم محمد.
- مركز حاسي الجديد الغربي و حاسي تاسلغة: كان المسؤول عنه هتاسة المبروك.
- مركز حاسي أوسكير:يديره الحاج مسعود باغوتي.
- مركز ناحية أوسكير: كان تحت مسؤولية بلحرمة لخضر.
- مركز حاسي الفقرة: عين عليه الحاج بوجمعة بن غومار.
- مركز حاسي علي: تحت إشراف إبراهيم شبير.
- مركز حاسي بلقزاح: يديره نعماوي الحاج عبد القادر بن الطاهر.
- مركز حاسي ديبوني: تحت إشراف شيخ بن عبد الرحمان.
- مركز حاسي لحمار: كان المسؤول عنه الحاج المخطار العطواني.

- مركز حاسي بوخلالة:يديره بلعقون قويدر.
- مركز زاوية سيدي منصور: يشرف عليه مقدم مبروك وعبد الحي عبد لكريم.
- مركز وادي الناموس: كان المسؤول عليه الشنيقري محمد و ن طيب محمد.

مركز عين حمو وحيحا: الهاشمي محمد والداودي عمر عبد المجيد(يعقوب،1996.ع:26-27)

وتبين خريطة توزيع هذه المراكز أنها اختيرت بدقة؛ فهي واقعة إما على نقاط مياه أو واحات النخيل أو أودية صحراوية، وقد زودت هذه المراكز بالمؤونة والمياه لأن العرق الغربي الكبير منطقة شاسعة وخالية من السكان وحتى إن وجد بعض الرحل والرعاة زمن السلم فإنه في حالة دخول المنطقة الثورة التحريرية تتغير الأمور (تواتي د. 2009: 27-36).

1.2انتفاضة حاسي صاكة

وتم تحديد 15أكتوبر1957م بسبب أنه تاريخ تتجمع فيه المهارى بالمراعي وليقوم القائد الفرق الفرنسي بتوزيعهم لأداء المهام وإعطائهم أجورهم. وفي رأي آخر أنه كان تاريخ هذه الانتفاضة مقرر في شهر نوفمبر إلاّ أن القبض على بعض المناضلين في أدرار حادا على تطبيقه وأدى في نهاية المطاف إلى تسريع في تنفيذ المهمة شهادة (بلعقون،م، 2016)، وما يستوجب الإشارة إليه بخاصيات العمل العسكري في الصحراء فالتنقل صعب وعدم القدرة على التموين والتحصن اللازمين. وذلك أن طبيعة الصحراء وخاصة في منطقة تيميمون تسبب متاعب عدّة للمجاهدين وذلك للأسباب الآتية:

- ضرورة وجود الدليل الخبير بالأرض أثناء تنقل وحدات المجاهدين إذْ من الصعب على الغريب عن المنطقة أن ينتقل ويبلغ هدفه بدون مرشد يدله عن المنطقة، وهذا أدى بالعديد من وحدات جيش التحرير غلى التيه في الصحراء وعدم الوصول إلى المكان المقصود وأما الانتظار أياماً عديدة للبحث عن دليل يقود الوحدة.
- برغم من بعد المسافات بين التجمعات السكانية والآبار فإن المجاهدين مضطرين غلى قطع مسافات طويلة لبلوغ حاسي أو منطقة عسكرية وكثيراً ما كان المجاهدون يمشون عدة أيام بدون أكل أو شراب أو نوم. ومن المشقة التي يتعرض لها المجاهدون في التنقل هو سقوطهم على ظهر الجمال أثناء نومهم من دون أن يستيقظ، ويبلغ الأمر للبعض الآخر من شدة التعب والإرهاق إلى النوم على قارعة الطريق أو قرب مركز للعدو وهو لا يبالي.
- غالباً ما كان التنقل يعرض المجاهدين إلى اكتشافهم من طرف العدو، وهذا بسبب سهولة اقتفاء آثارهم من جانب ولعدم وجود غطاء نباتي كثيف وصخور يحتمون فيها من جانب آخر.

2.2حاسي صاكــة:

يقع حاسي صاكة شمال شرق مدينة تيميمون الذي يبعد عنها بـ80كلم (La Nouvelle République.2012:13) ، في 13 أكتوبر حلت بحاسي صاكة قوة من جنود العدو الفرنسي يقودها ضابط برتبة نقيب يدعى سوبي وبقي مع الكتيبة إلى غاية صباح يوم15أكتوبر وقد غادر الكتيبة رفقة مجموعة من جنود قصد استبدالهم بالموجودين في ثكنة تيميمون، وهذا بعد أن أصدر أوامره إلى نوابه بتغيير تقسيم الكتيبة وإعادة هيكلتها من جديد، وبذلك تناقص عدد أفراد الكتيبة ليصل إلى 73 جنديا منهم ثمانية(08) فرنسيين موظفين في شركة بيترولية بـ80كلم (Le Rhône.1957:12) ، وتتوزع رتبهم إلى:

-جنديان برتبة رقيب أول.

-جندي برتبة رقيب.

-ثلاثة جنود برتبة عريف أول.

وجنديان مكلفان بأجهزة الإرسال والاستقبال، مع 65 جنديا جزائريا.

وبعد رحيل النقيب سوبي خطط بيدة محمد المدعو(العطشان) بمساعدة نوابه العريف الأول بن سعد سليمان والعرفاء محمد فرج الله والفضيل بشراير وسبقاق محمد وحناني علي الذين كلفوا بمراقبة تحركات الجنود الثمانية للعدو ومعاينة الأماكن التي تحوي على الأسلحة للاستيلاء عليها وأرسل الجيش أربعة من الرجال وهم: سيدي امحمد بلهاشمي والزاوي مول الفرعة واحميدة بلعقون والزايدي عبد القادر ليدلهم على الطريق وبقوا معهم أربعة أو خمسة أيام مكثوا على بعد 1كلم من مكان تواجدهم وكانت مجموعة تتوجه لهم ليلاً لكي يقوموا بعملية التخطيط. كانوا بين احتمالين إما أسر الجنود أو قتلهم وأجمعوا على قتلهم لتبيان للاحتلال الفرنسي بأنَّ الصحراء الجزائرية ليست فرنسية وتأكيداً على البعد الثوري لجبهة التحرير الوطني الممتد إلى أقصى الجنوب الجزائري وتمرير رسالة بأنّ يوجد تنظيم ثوري محكم في المنطقة (بلعقون،م. د.س)، كان مبرمج لكي يعود يوم 25 أكتوبر ليقسم الميهاريست إلى ثلاثة أقسام في مهام جديدة.وحدد فرقة المهارى الموعد لتنفيذ الخطة على الساعة الخامسة مساءا بالضبط موعد إنزال العلم الفرنسي وأوكلت مهام للمجموعات الثلاث تتمثل في:

- المجموعة الأولى : من بينهم سعيد سليمان وبريك احميدة لقتل جنود الإشارة.
- المجموعة الثانية: من بينهم محمد فرج الله وبوبكر حرمي وعبد القادر بن سليمان القضاء على الجنود الثلاثة المكلفين بالمراقبة والتفتيش.
- المجموعة الثالثة: تتولى التصدي لبقية جنود العدو وتصيد كل من يحاول الهرب منهم، وفي آن ذاته الاستيلاء على الأسلحة وعتاد العدو.

وتم تنفيذ الخطة بدقة متناهية إذ بمجرد إنزال العلم الفرنسي كانت كل مجموعة مستعدة لتنفيذ المهام المنوطة لها كما أنهم أخذوا الجنود الفرنسيين على غرة ممّا أربكهم وعدم قدرتهم للمجابهة، إذ في 10 دقائق تم القضاء على الجنود الفرنسيين الثمانية.

وما غنموه المجاهدين من غنائم تمثلت في مئة (100) بندقية من نوع ماص36، ثلاثة (3) قطع رشاشة من نوع29/24، 12بندقية رشاشة، مسدس واحد من عيار 9ملم، ثلاثة أجهزة إرسال واستقبال، ستة صناديق من الذخيرة، أربعة ملايين فرنك قديم، 240 جملا (المنظمة الوطنية للمجاهدين. 1986:22-23)وكمية من الألبسة.

وفي صباح 16 أكتوبر أعلم سائقي الشاحنات النقيب ميكلو بملحقة تيميمون أثناء تنقلهم من المنيعة أنهم وجدوا خمسة جثث على قارعة الطريق نواحي حاسي صاكة(RENAUD ,P,C.1993:139) وكانت لهذه الانتفاضة وقعاً خاصا بالمنطقة فقد قام المستعمر الفرنسي بالاعتماد على الخونة وبواسطة الطائرة تمكنوا من تحديد مواقع الآبار من أجل ردمها(بلعقون، م.2016).

ردود فعل المستعمر الفرنسي بعد انتفاضة حاسي صاكة:

3.1إنشاء محتشد حاسي صاكة:

في أعقاب معركة حاسي صاكة قامت السلطات الفرنسية بإنشاء المعتقل جنوب غرب منطقة تيميمون، من أجل الانتقام لمقتل جنودها وللتحقيق في التمرد الحاصل في صفوف كتيبة المهاري، وعلى هذا الأساس تم إنشاء هذا المعتقل حيث

أعلنت أحواز حاسي صاكة منطقة محرمة وشنت حملة تمشيط واسعة في المنطقة للبحث عن مرتكبي ذلك العمل الثوري فقدمت على توقيف جميع المتهمين وعائلاتهم، وأقيم هذا المعتقل في منطقة صحراوية خالية من السكان أقرب تجمع سكني لها هي قرية تينركوك التي تبعد 15 كلم.

اختار الفرنسيون المكان الذي قتل فيه الجنود الفرنسيين عند حاسي صاكة، كان عبارة 275 خيمة محاطة بالأسلاك الشائكة مدعومة بحراسات وإنارة كهربائية وحشدت فيه عائلات بأكملها خاصة تلك التي ينتمي إليها المهاري الفارين حيث زج بأعراش بأكملها في هذا المعتقل فيما نقل البعض منهم الى سجون قارة في القنادسة ووهران والبرواقية، أما المعتقلون فكانوا من أجدير الغربي طلمين تاعربين تبو أولاد عيسى.

قام الفرنسيون بتعذيب الرجال داخل المعتقل وتعليقهم في جذوع النخل بعد قتل حيواناتهم وردم آبارهم، وكان الناس في هذا المعتقل المفتوح حفاة عراة في ظروف مزرية، كانت أعمال التعذيب والاستنطاق تتم في مكان يسمى حاسي فاطنة الذي يبعد بمسافة قصيرة عن المعتقل، كما كانوا يهددون المعتقلين بالقتل بوضع ماسورات السلاح على رؤوسهم إضافة إلى زئير الطائرات مما أدى إلى إصابة بعضهم بنوبات قلق حادة نتيجة الخوف، أدت على تداعيات حالتهم النفسية وبرز ذلك من خلال الأدب الشعبي حيث قال أحد النزلاء:

"نهار الدم يتورخ يا إخوان، والطيارات التير برصاص وشعل فيه النيران، ضربت وشعلت لجمال سنتين، حامل الماء للشعب والثوار، في حاسي صاكة وحاسي فاطنة، تم تحبسوا أطفال ورجال ونساء ، أشارات منصبة، والتير بالرفال"

وقد ونتج عن انعدام الرعاية الصحية كثرة الأمراض وموت الكثير من المعتقلين خاصة بالحمى التي كانت المرض الأكثر فتكا بالنزلاء، كما كان انتشار الأوساخ وعدم وجود الحمامات سببا في ظهور الأمراض الجلدية والحصبة والقمل والربو وترهل العظام حيث تحول الكثير من النزلاء إلى معاقين بسبب أمراض العظام.كما ظهرت حالات خطيرة من أمراض السل الذي كان يفتك بالمعتقلين بسبب انتشار العدوى فكثرت الوفيات بين النزلاء. في سنة1959م جاء القرار بغلق المعتقل لما رأت السلطات الفرنسية التضيق على السكان لم يأتي بنتيجة أمام زيادة الدعم للثوار خصوصا مع بعد تعدد الاشتباكات مع جيش التحرير على المنطقة الممتدة بين الساورة والعرق الكبير حيث خسرت السلطات الفرنسية الكثير جنودها كما أن المعتقل أستنزف الكثير من الأموال التي كانت تصرف على المعتقلين وكثير من التموينات العسكرية مقابل تزايد هجمات جيش (بعثمان، ع.156،2012:153).

3.2الهجوم على قرية طلمين:

وصلت الثّورة إلى قرية باحمو سنة1956م عن طري المجاهد شبير إبراهيم والرماني علي والشهيد مزوزي الشيخ فكونوا خلية مشكلة من سبعة(07) أعضاء ينشطون بالمنطقة ويربطون بين الشعب والمجاهدين وهم: بلقاسمي أحمد المكنة(بوهني)، بوربابة عبد السلام، باعلي محمد بن أحمد، بلقاسيمي محمد بن احميدة، الهاشمي محجوب، بلقاسمي حماني بن أحمد وبن يحي عبد الرّحمان وبتاريخ27أكتوبر1957م حاصرت القوات الاستعمار الفرنسي بعد الإنزال الجوي بمضليها كامل قرية باحمو إذ تقدمت أفراد جيش العدو إلى داخل وقاموا بإخراج كامل السكان رجالا ونساء شيوخاً وصغاراً من منازلهم إلى مكان المحتشد وكان ذلك بالقرب من المسجد القديم، وبعد التأكد من إخراج كامل سكان القرية إلى المحتشد انقسم الجيش الفرنسي إلى قسمين، الأوّل قام بعملية تفتيش المنازل وإتلاف المحاصيل الزراعية وقتل المواشي وحرق الأغطية، والثاني حاصر أهل القرية فتقدم الحاكم الفرنسي اسمه دولانسا(Doulanca) والشاف سيموا

(Cimon) فتقدم الحاكم الفرنسي أمام الشعب المحتشد وطلب منهم وبطريقة سليمة أن يخرجوا الفلاقة الموجودين بينهم لكن الشعب التزم الصمت وكرر الحاكم الفرنسي قوله عدّة مرات لكن بدون جدوى فبعد تأكده من أن الأمر لا يجدي نفعاً.

قام بإخراج ورقة من جيبه تحوي قائمة، وبدأ بعملية الفرز وكان أوّل من نداه المجاهد شبير إبراهيم-كان في حاسي علي- ثم نادى على همال دحمان، مزوي الشيخ، بلغيت مسعود، معاش مسعود، بلغيت البشير، موندو أحمد، بورابة قدور بم الجنين، بورابة عبد السلام، معاش بوبكر، حماني بالقاسمي، عبد الرحمان بن يحيا، لخضر بن قويدر، بكيرات سايحي، العرابي وسايحي محمد(المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء. د.س:2،4).

فوجهت هذه المجموعة بأكملها إلى العذاب بداخل مسجد القرية وجردوهم من ثيابهم أمام أبائهم وأماتهم وأبنائهم وأمام كل سكان القرية، واستعملوا مختلف وسائل التعذيب ثم أخرجوا أحد المعذبين وهو الشهيد همال دحمان أين هو شير إبراهيم؟ وأين المراكز الموجوة في العرق؟ فأجاب أمام الشعب بـ"أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله تحيا الجزائر. ثم أعدموه بالرصاص ودام هذا الحال ثلاثة أيام بلا أكل ولا شرب ولا غطاء. فيبتون مكبلي الأيدي والأرجل وفي اليوم الثاني على الساعة العاشرة نهاراً فر أحد المساجين وهو الشهيد مزوي الشيخ قاصداً بستانه حيث بندقيته كانت مدفونة تحت التراب وهو مجرد من ثيابه، فعند نزوله كشف بندقته التي كانت محمية بمنشفة كبيرة فستر بتلك المنشفة ولم يكن يعلم بأن القرية محاصرة، فعندما خرج من القرية بعدّة أمتار أطلق عليه العدوّ الفرنسي النَّار فسقط شهيداً وفي اليوم الثالث أعدموا بلغيت مسعود أمام المحتشد بعد إعدام الفدائيين وجدوا كمية كبيرة من التمر مجمعة في بستان واحد فقال لهم الحاكم الفرنسي إنكم تريدون أن ترسلوها إلى المجاهدين الموجودين في العرق الكبير وأوضحوا له أهل القرية بأنَّ هذا التمر كانوا يرغبون باستبداله بجمل ليقتاتوا منه وهذا حتى لا يعذبهم أو يقتلهم الحاكم لأنَّ أهل قرية باحمو كانوا همزة وصل بين المجاهدين والمدنيين وكل ما يحتاجونه من المؤنة، وبعد إنهاء العذاب واستشهاد من كتبت لهم الشهادة أمر الحاكم الفرنسي بنفي كل أسر الشهداء والمجاهدين إلى بني عباس وهذا خوفاً من التهاب نار الثأر في أبنائهم ثم أخذوا المساجين الذين كانوا تحت وطئة نار العذاب إلى تيميمون(المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء. د.س:5).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم نستنتج بأن منطقة العرق الغربي كانت تنتظر سوى فتيل لإشعال الثورة التحريرية، وقد جاءت انتفاضة حاسي صاكة لكي ترد على المزاعم الاستعمار الفرنسي بأن الثورة الجزائرية محصورة في رقعة جغرافية معينة ولا يمكنها أن تمتد إلى أقصى منطقة في الصحراء الجزائرية كونها أنها كانت تمثل منطقة آمنة ولا تثير قلق الاستعمار الفرنسي.

ونتيجة لتنظيم السياسي المحكم الذي طبعه السرية التامة في التحضيرات للقيام بانتفاضة حاسي صاكة بتاريخ15أكتوبر1957م التي كانت بمثابة الفتيل الذي أشعل سلسلة من المعارك في العرق الغربي من جهة. ومن جهة أخرى تمكن أبنا منطقة العرق الغربي من الالتحاق بركب الثورة التحريرية وتحقيق مقصد الثورة في شموليتها. أضف أنها أعطت الاستعمار الفرنسي درسا في وحدة أبناء الوطن الواحد ونصرتهم للقضية الجزائرية وتحديهم في ظروف طبيعية قاسية جدا، وقد كانت لهذه الانتفاضة آثار وخيمة على سكان القاطنين بالقرب من حاسي والقصور المجاورة كقصر طلمين. إلى جانب قيام الاستعمار الفرنسي بحرب نفسية وإلقاء طائراتها للمناشير الدعائية تصف المهارية بالغادرين قاتلي الروح.

ومع كل ما ذُكر فإن انتفاضة حاسي صاكة جاءت في منعرج حاسم دفعت بسكان العرق بالالتفاف الشعبي حول الثورة الجزائرية وتزكيتهم لها فقد كانت بمثابة المنطلق للقيام بمعارك ضاربة أخرى في سلسلة معارك العرق الغربي من جهة. وتأكيد على شمولية الثورة الجزائرية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها.

نماذج عن المناشير الدعائية الاستعمارية الفرنسية(01) (خثير، ص.2011-2012:239)

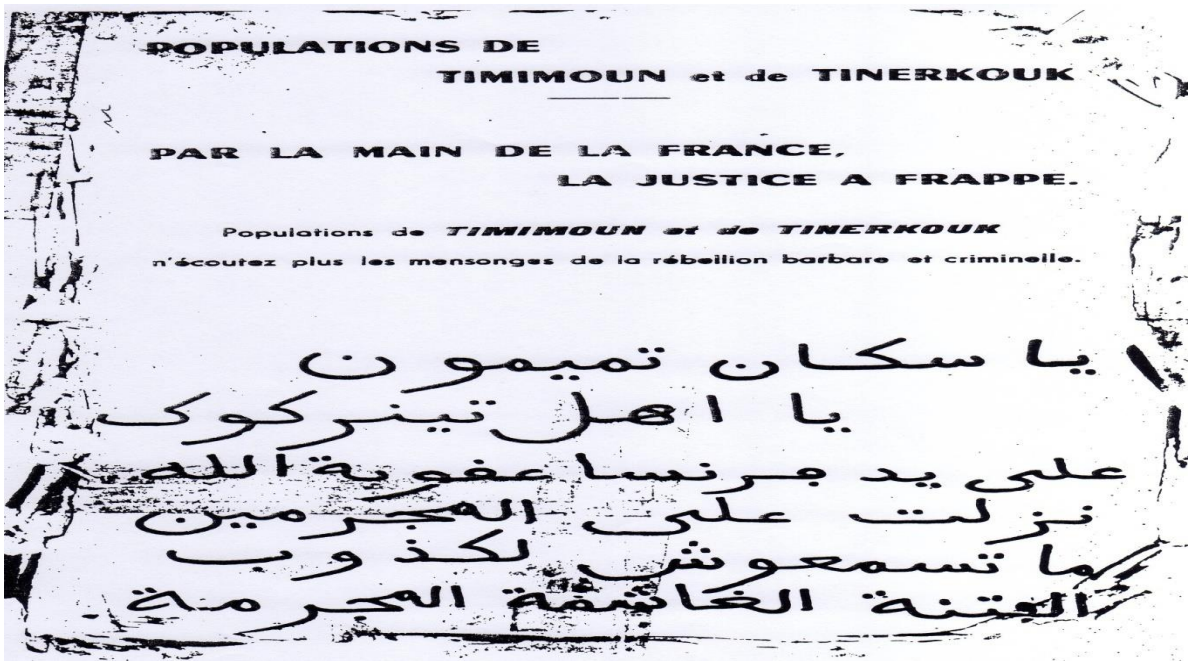

نماذج عن المناشير الدعائية الاستعمارية الفرنسية(02) (خثير، ص.2011-2012:240)

قائمة المصادر والمراجع:

الشهادات المسجلة:

بلعقون (ميلود)، شهادة مسجلة محفوظة بمتحف المجاهد أدرار.

المقابلات الشخصية:

بلعقون (ميلود)، مقابلة شخصية، منظمة مديرية المجاهدين لولاية أدرار، بتاريخ:03-11-2016 على الساعة09:19.

المراجع باللغة العربية:

تواتي (دحمان)، مقلاتي (عبد الله)، ورموم (محفوظ)، الثورة التحريرية في أقاليم توات،1956-1962، أدرار: منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، 2004.

سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ط 2، مج3: 2-4-5،، بيروت: دار الغرب الإسلامي،2005.

الأبحاث والدراسات غير المنشورة:

بن يعقوب(عبد المجيد) ، معارك العرق الكبير 1957-1962، غير منشور، 1996.

الرسائل الجامعية:

زقب (عثمان)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مناصرية (يوسف)، قسم التاريخ: جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية:2005-2006.

خثير (الصافي)، النضال السياسي والثوري في إقليم توات ما بين 1956 و 1962،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العام، إشراف: بلقاسمي (بوعلام)، جامعة بشار، 2011-2012.

وحدات البحث:

دحمان (تواتي)، الإختراق الكبير لصفوف العدو في حاسي صاكة 15أكتوبر1957، وحدة بحث:السياسة الفرنسية في توات وردود الفعل الوطنية(1900-1962م)، جامعة أدرار، 2009.

الأشرطة الوثائقية:

تواتي (دحمان)، شريط وثائقي: المهيارست ومعار العرق الغربي الكبير إبان الثورة التحريرية الجزائرية"، بث في قناة الجزائرية الثالثة، 2014م.

قلوم (مكي)، شريط وثائقي: المهيارست ومعار العرق الغربي الكبير إبان الثورة التحريرية الجزائرية"، بث في قناة الجزائرية الثالثة، 2014م.

المجلات:

بعثمان (عبد الرّحمان)، "المعتقلات الفرنسية في منطقة توات: معتقل حاسي صاكة(1957-1958 م)"، مجلة الناصرية، عدد خاص، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية: منشورات جامعة معسكر، ديسمبر 2012.

المنظمة الوطنية للمجاهدين، مجلة أول نوفمبر، ع:77، 1986.

الحصص الإذاعية:

شهادة بلعقون (ميلود)، حوار إذاعي بمناسبة إحياء ذكرى حاسي صاكة، حواره: بوبكر(العربي)، بث على أمواج إذاعة أدرار، بتاريخ:2016، على الساعة 16:32.

المنشورات:

المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء، بحث المنطقة الثّورية بقرية باحمو بلدية طلمين، د.س.

الجرائد باللغة الأجنبية:

La Nouvelle République, n° 4478 - Dimanche 11 novembre 2012.
Le Rhône, Lundi21Octobre 1957, N°125.

المراجع باللغة الأجنبية:

RENAUD (Patrick-Charles) : Combats sahariens, 1955-1962, Paris,1993.

تاريخ الاستلام: 2017/03/08 -تاريخ التحكيم: 2017/05/02 -تاريخ النشر2017/06/30

بعثة الحجاز : الطريق الى فرض الانتداب الفرنسي على سوريا و لبنان 1915– 1920

أ.الطاهر سبقاق

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي – (الجزائر)

الملخص:

اتفقت فرنسا وبريطانيا في السر والعلانية على اقتسام الممتلكات الشرقية للامبراطورية العثمانية، فبدأت مساعيهما بتشجيع عرب الحجاز على الثورة ضد العثمانيين مستغلين حماسة الحجازيين ومعتمدين على مجنّدي المستعمرات ، فكان الهنود و الاستراليون وعرب الحجاز اداة فعّالة في يد البريطانيين كما كان المجندون الجزائريون و المغاربة و التونسيون اداة اخرى في يد الفرنسيون ، وبمجرد ما تم ابعاد الجيش العثماني وفي وقت كان في عرب الحجاز و الشام ينتظرون قطف ثمار الثورة كشفت الدول الغربية عن نواياها و انيابها فكان الصدق والالتزام بالوعد مع بعضهما و الغدر و الخيانة تجاه العرب الذين تخلّصوا من السلطة العثمانية ووقعوا تحت هيمنة الاستعمار الاوروبي.

الكلمات المفتاحية: الحسين بن علي– الثورة العربية– الحجاز–الشام– بريمون–الامير سعيد– الجنرال غورو

Résumé:

La France et la Grande-Bretagne se sont bien convenus à partager les terres orientales de l'empire Ottoman, ils ont commencé par encourager les Arabes du Hedjaz à se révolter contre les Ottomans en exploitant d'un côté l'enthousiasme Arabe et de l'autre les recrues ramassés des colonies Britannique , en l'occurrence, l' Australie et l'Inde et de l'Algérie ,le Maroc, et la Tunisie pour le colonies francaises; Ceux là ils se sont bien battus pour la France et la Grande-Bretagne, et une fois les Ottomans chassés du Machreq, et à la grande surprise des Arabes , Français et Britannique ont affiché leur vrai visage, il ont été fidèles à eux même et sionistes, mais ils ont bel et bien tourné le dos aux promesses faites à leur alliés arabes, et voilà finit le régne ottoman et débute la mainmise coloniale.

Mots Clés: Hedjaz-Levant-Révolution Arabe –Emir Faysal-Syrie

مقدمة :

شهدت منطقة الشرق الاوسط ولا زالت تشهد صراعات و نزاعات متجددة تجعل منها مركز ومحور اهتمام وتنافس بين الدول الكبرى بشكل يجعل هدوئها واستقرارها ضمانا للسلم العالمي ، واي انزلاق و انفلات فيها يكون مؤشرا يرهن الامن و السلم العالميين لذلك تنطبق عليه بحق نظريات راتزل و ماكندر وسبايكمان من حيث ان منطقة الشرق الاوسط هي بحق قلب العالم ، ومن يتحكّم فيها يمكنه ان يتحكّم في العالم اجمع.

لذلك كانت فرنسا و بريطانيا سبّاقتين لاقتناص فرصة ضعف وتهلهل الامبراطورية العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر لضمان موطأ قدم لهما في قلب الشرق الاوسط وخاصة بلاد الشام من خلال استغلال عدواة عرب المشرق وخاصة الحجاز و الشام للدولة العثمانية و سياسة التتريك ، وايضا لارتباط سياق الاحداث هناك باندلا ع الحرب العالمية الاولى التى كانت الامبراطورية العثمانية طرفا فيها الى جانب المانيا ضد فرنسا و بريطانيا .

بناء عليه اشكالية الدراسة هي كالتالي: كيف تم استدراج العرب و الانتقال بهم من محطة الى اخرى حتى الوصول الى الهدف وهو سيطرة فرنسا و بريطانيا على بلاد الشام ؟ و فيما تمثلت الوسائل و الاساليب السياسية و العسكرية التي استخدمتها كل من فرنسا و بريطانيا للظفر بمناطق نفوذهما هناك؟

اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي في عرض الاحداث ثم انتقلت الى التفكيك والتركيب لفهم الاحداث وتحديد تداعياتها والتي لا تزال بعض افرازاتها ماثلة الى اليوم امام عيون العرب الذين لم يفقهوا تاريخهم لذلك تراهم يلدغون من نفس الجحر عشرات المرات.

تقاسم الفرنسيون و البريطانيون بلاد الشام على اثر ترتيبات ومساومات وحسابات عبر محطات عديدة السرية منها اكثر من العلانية كان في مقدمتها مراسلات حسين- مكماهون 1915 والتي كان عددها 10 رسائل خمسة من شريف مكة الحسين بن علي[3] وخمس ردود من المندوب السامي البريطاني في مصر السير هنري مكماهون[4]أبدى فيها الحسين بن علي استعداده لدعم الوفاق الثلاثي المعادي للدولة العثمانية والمشاركة في ابعادها من المشرق العربي مقابل مساعدة بريطانيا للعرب والعطف على امانيهم في تشكيل الدولة العربية الكبرى التي تمتد من العراق شمالا الى اليمن جنوبا باستثناء عدن، الرسالة الاولى كانت من الحسين بن علي صدرت يوم 14 جويلية 1915 ،اما الرسالة العاشرة فكانت ردا من السير هنري مكماهون بتاريخ 11مارس 1916 [(5)] (الحكيم،يوسف.(1974). الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي و الانتدابي الفرنسي 1915-1946.بيروت:دار صادر) بعد 51 يوما من الرسالة العاشرة كانت اتفاقية او صفقة سايكس-بيكو1916 والحرب جارية بين الوفاق والحلف الثلاثي حيث التقى ممثل بريطانيا مارك سايكس[(6)] مع مندوب

[3] الحسين بن علي (1854-1931 م): ولد باسطنبول، ثم جاء إلى مكة، وعندما كبر وتولى عمه عون الرفيق إمارة مكة لم يحتمل تدخله في شؤون الإمارة فطلب إبعاده من الحجاز فاستدعاه السلطان عبدالحميد الثاني في عام1891م إلى اسطنبول وعين عضواً في مجلس المبعوثان(الشورى) في الدولة، ثم أميراً لمكة سنة 1908 م. قاد الثورة العربية في الحجاز **عام1916 م، وأعلن نفسه ملكاً على الحجاز، أمرت الحكومة البريطانية بنفي الشريف حسين إلى قبرص 1925 م، ولما اشتد عليه المرض أذن البريطانيون بسفره إلى الأردن التي ظل بها ستة أشهر، ثم توفي وحمل إلى القدس ودفن هناك. انظر: خيرالدين الزركلي: الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب** والمستعربين والمستشرقين،ج 2، دار العلم للملايين، بيروت، ط 12 ،1997 ، ص 249- 250.

[4] السير هنري مكماهون Henry McMahon (1862-1949) سياسي بريطاني بارز تولى عن الجانب البريطاني المحادثات مع شريف الحجاز الحسين بن علي عام 1915.

[(6)] مارك سايكس Mark Sykes (1879-1919) مغامر وعسكري ومستشار دبلوماسي بريطاني متخصص في شؤون الشرق الاوسط، ارتبط اسمه بالاتفاقية الفرانكو-بريطانية المعقودة سنة 1916 لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية.

فرنسا جورج بيكو[7] تحت اجنحة الظلام واضعين على الطاولة خارطة الممتلكات المشرقية للرجل المريض لتقاسم تركته قبل وفاته أخذين بعين الاعتبار نصيب كل من ايطاليا و روسيا القيصرية.حسب الخارطة المذكورة نالت فرنسا سوريا ولبنان في حين نالت بريطانيا شرقي الاردن و فلسطين،كانت هذه الاتفاقية ستبقى طي الكتمان لولا نجاح البلاشفة في ثورتهم ضد النظام القيصري في روسيا فكشفوا محتوى الاتفاقية نكاية في الدول الغربية الرأسمالية.

توالت الدسائس الغربية ضد المصالح القومية العربية ليتم اصدار وعد بلفوري الثاني من نوفمبر 1917 [8](عبدالعزيز،عمر.(1980).دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر،مصر 1517-1952 /القضية الفلسطينية.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة و النشر.)، والذي تبيح فيه الملكة البريطانية فكتوريا لنفسها حق التصرّف فيما ما لا تملك وتعلن عطفها و تأييدها للاماني اليهودية و المشروع الصهيوني في اقامة الوطن القومي على ارض فلسطين وهو المشروع الذي لقى دعما وتأييدا كبيرين من الدوائر الرسمية البريطانية والدليل على ذلك النشاط الحثيث والتنسيق المكثّف بين كبارالساسة البريطانيين وكبار نشطاء الحركة الصهيونية امثال لويد جورج واللورد ملنر وارثر بلفور وحاييم وايزمان خليفة هرتزل واللورد روتشيلد وهربرت صموئيل وموسى دي منتفيوري وغيرهم.وقد لعب الثلاثي البريطاني- الفرنسي- الصهيوني كل اوراقه لخدمة الحركة الصهيونية وتمكينها من فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى.

بعثة الحجاز او بعثة بريمون[9]:

خلال هذه المسرحية الثلاثية الاطراف كانت بعثة الحجاز الفرنسية محطة هامة يستحق الخوض فيها شيء من التفصيل لثلاثة اسباب ، اولهما نظرا لما سيكون لحضورها وتبعات نشاطها من ارتباط بالتمهيد لإخضاع سوريا ولبنان للهيمنة الفرنسية، وثانيهما هو وجود جزائريين ضمن طرفي النزاع :الجيش العربي و الجيش الفرنسي، اما السبب الثالث وهو انه خلال هذه البعثة يثمر تأثير السير ادوارد توماس لورانس — لورانس العرب- ضابط الارتباط البريطاني على الامير فيصل واقناعه بالاطروحة البريطانية الرامية الى توطين اليهود في فلسطين.

ان بعثة الحجاز او بعثة بريمون هي بعثة سياسية عسكرية فرنسية الى الحجاز خلال الحرب العالمية الاولى ، جناحها الاول سياسي يقوده الجزائري سي قدور بن غبريط[10] برفقة وفد يتكون من:

- الاغا صحرواي وسي مصطفى شرشالي ممثلا عن الجزائر

---

[7] جورج بيكو Francois George-Picot (1870-1951) سياسي و دبلوماسي فرنسي ،قنصل فرنسا في بيروت قبيل الحرب العالمية الاولى ثم مندوب سامي فرنسي في فلسطين و سوريا بين 1917-1919 ، ارتبط اسمه هو الاخر بالاتفاقية الانجلو- فرنسية المعقودة سنة 1916 لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية.

[9] ادوارد بريمونEdouard Brémond(1868-1948)جنرال فرنسي عمل بالمغرب و الحجاز وكان من قبل حكومته باسناد الحسين بن علي في ثورته ضد العثمانية، حملت العثة الفرنسية الى الحجاز اسمه فعرفت بـ "بعثة الحجاز او بعثة بريمون".

[10] عبدالقادر أو قدور او سي قدور بن غبريط ولد يوم 1868/11/01 (او1873) في سيدي بلعباس غرب الجزائر من عائلة قدمت من مدينة تلمسان على حدود المغرب ،درس اللغة العربية و الفقه الاسلامي في الجزائر ثم انتقل مع عائلته في اواخر القرن 19 الى طنجة بالمغرب الاقصى ليشتغل مستشارا ومترجمل لدى المفوضية الفرنسية ثم سفيرا لها في فاس ثم وزير مفوض فوق العادة ثم عميد مسجد باريس ومدير المعهد الاسلامي فيها ايضا، وفي نفس الوقت بقي رئيس ديوان تشريفات المخزن العلوى ومستشارا لكل سلاطين الاسرة العلوية حتى وفاته يوم 1954/06/24.

- الشاذلي العقبي و الحاج العربي بن الشيخ عن تونس
- احمد بن الحاج سكيرج وكسوس محمد بن يوسف عن المغرب
- سي عبدو كان او(خان)عن افريقيا الغربية

- سي علي مالك سكرتير البعثة (Le Pautremat, Pascal(2006): 17-31)

سي قدور بن غبريط هو القائد السياسي للبعثة،وهو شخصية محورية فرضت على الاخرين الاعجاب والهيبة والريبة في نفس الوقت،وقد قال عنه حاكم طنجة بول ريفوال انه" نصف المسألة المغربية" كما وصفه الدبلوماسي الفرنسي الكونت سان اولير بأنه" الورقة الرابحة التي ستجعل فرنسا تربح الرهان على الرغم من قلة خبرة اللاعب" (سلام.صادق. (2012).فرنسا ومسلموها ،قرن من السياسة الاسلامية1895-2005 .(ترجمة زهيدة درويش، جبور).الامارات: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث). وقد كان الماريشال ليوتي ايضايتعامل معه بكثير من الحذر والتحفّظ لكثرة و تنوع علاقاته واتصالاته المباشرة بالشخصيات الفرنسية السامية في باريس وشخصيات اخرى فرنسية وعربية و اجنبية في الخارج.

هذه البعثة لم تذهب في زيارة مجاملة او بغرض السياحة او لاداء فريضة الحج انما لتحقيق اهداف قليلها معلن و كثيرهاخفي ، وهي اهداف تخص المصالح العليا للدولتين البريطانية والفرنسية ، يأتي في مقدمة الاهداف المعلنة التنسيق و التعاون الفرنسي- البريطاني في سياق الحرب العالمية الاولى بالجبهة المشرقية في اطار الوفاق الثلاثي ضد الحلف الثلاثي هذا الاخير الذي تعتبر الدولة العثمانية احد اطرافه ،وبما أن موقف شريف مكة الحسين بن علي معادي للعثمانيين و يدعو الى محاربتهم اذن فان دعمه ومساندته من الوفاق تصبح تكتيكيا امرا واجبا استنادا الى قاعدة "عدو العدو صديق"، علاوة على ذلك فان المعني بالامر- اي الحسين بن علي — هو الذي طلب النجدة والمساعدة وعليه فكلاهما- بريطانيا وفرنسا - فاعلا خير يستحقان الاشادة و التنويه!!!!

تزامن انطلاق البعثة الفرنسية الى الحجاز مع حدث دولى بارز الا وهو اندلا ع الحرب العالمية الاولى وفي سياق مواز كانت فرنسا تمر بوضعا حرجا مرشّحا لأن يأخذ ابعادا دولية في المغرب الا و هو استمرار المقاومة الوطنية المغربية ضدها بعد فرض الحماية عليه عام 1912 ، حيث لم تثبّت فرنسا نفوذها بعد في المناطق الخاضعة لها ، كما تعاني اسبانيا من وضع مشابه في منطقة الريف في الشمال المغربي الواقع تحت نفوذها ايضا.

إن فكرة البعثة الفرنسية الى الحجاز وتركيبة الوفد المبعوث وخطة عملها كانت بالتنسيق والتخطيط بين وزير الخارجية الفرنسي اريستيد بريان ووزير الحربية المقيم العام الفرنسي السابق في المغرب الماريشال هيبيرت ليوتي، لم تدّخر فرنسا جهدا لتجسيد ذلك حتى بلغ الامر بهذا المقيم العام الفرنسي السابق العارف بشؤون المغرب حد الضغط لاستصدار فتوى من بعض مشايخ المغرب لتعداد مزايا السلالة الشريفية العلوية الهاشمية ، وفي نفس الوقت التأكيد بشكل قاطع على شرعية سلطة الشريف الحسين طالما انه يقف في وجه العثمانيين ليؤكد جازما بصحة موقفه المعادي لهم والذي حسبه يستوجب المباركة و الدعم و التأييد المطلق من المسلمين قاطبة و الأشراف منهم من باب اولى .

مما هو جلي ومعلن بشأن هذه البعثة ان قضية الحج كانت ضمن اهتماماتها الاساسية حيث كان على دول الوفاق الثلاثي وخاصة بريطانيا و بالاخص فرنسا ان تظهر للاخرين ان لديها من القوة العسكرية ما يمكنها من تأمين طريق الحج الى الاراضي المقدّسة وانها ايضا تحترم الدين الاسلامي و تشجّع المسلمون على اداء شعائرهم كما كانت تنظر الى ان تشجيع الحج وزيادة عدد الحجاج من شأنه تعويم صناديق الشريف حسين الذي هو في امسّ الحاجة للموارد (سلام.ص.(2012):198).وبكل تأكيد هم سينالون منها نصيبا.

طبقا للتعليمات الفرنسية الرسمية مع رخصة الاجتهاد في الاسلوب فقط شرع سي قدور بن غبريط ، منذ 1916 ، اذ قام بشراء اثنين من المباني في الحجاز بغرض استخدامهما لايواء الحجاج اثناء مواسم الحج، احدهما في مكة و الاخر في المدينة، فأمضى عقدا ب125 ألف فرنك مع صاحب المباني والذي هو وزير خارجية الشريف حسين المدعو سي احمد افندي بن ناجة ودفع له مقدّم 2000 فرنك من الاجمالي [1]Le (2006): 17-31 :Pautremat, Pascal)،على ان تتبع المباني شركة احباس او اوقاف الاراضي المقدسة التى تأسست لاحقا 1917/2/09 وحدد مقرها بالجامع الاكبر في الجزائر العاصمة. [1]Le Pautremat, (2006): 17-31 Pascal)

ومن بين ما هو مصرّح به ايضا هو أن مساندة الوفاق الثلاثي لشريف مكة عطفا و تعاطفا مع الاماني العربية في التخلص من نير الهيمنة العثمانية ومساعدتهم على بناء الدولة العربية الكبرى ، وبالنسبة لبريطانيا فهي تصرّفت وفقا لما ورد في المراسلات العشر التي تبودلت بين الشريف حسين والسير مكماهون، أما فرنسا فمساندتها لعرب الحجاز هي هي ايضا بدافع العطف عليهم وبنية تخليصهم من التسلّط العثماني ، وبطبيعة الحال دعم بريطانيا في هذا الاتجاه مردّه ايضا الالتزام بما ورد بين فرنسا و بريطانيا فيما عرف بالاتفاقيات الودية التي عقدت بينهما في بداية القرن العشرين.اما الاهداف الخفية فهي اكبر و اخطر وهي ذات ابعاد سياسية، جيو-استراتيجية ،عسكرية ،اقتصادية بالنسبة للدولتين، فكلا الدولتان تسعيان لبسط نفوذهما في المنطقة وكلاهما تعمل على مزاحمة الأخرى وتبيان وزنها و قوتها وقدرتها على التأثير ،وعلى الرغم من حداثة علاقات بريطانيا بالمشرق مقارنة بفرنسا الا ان المصالح البريطانية اوسع و اكبر فهي مرتبطة بمعاهدات وعقود مع عائلات ومشايخ الخليج حيث هناك عينها على مضيق هرمز القريب من جوهرتها :الهند ومناطق نفوذها في ايران و افغانستان، كما لها اهتمامات بمضيق باب المندب ومنطقة الجنوب العربي، وعلى رأس كل الاهتمامات البريطانية مصر وقناة السويس لتأمين الطريق الى جوهرة التاج البريطاني: الهند ، وبنفس القدر كان البريطانيون جادّون وماضون في اهتمامهم بالمشرق العربي – وخاصة في فلسطين – من اجل انجاح المشروع الصهيوني وحجز فلسطين لليهود لتوطينهم فيها لاحقا تنفيذا لوعد بلفور المذكور اعلاه، والذي بدون شك سيكون تنفيذه صكا على بياض للاستفادة من الرأسمال اليهودي العالمي في اوروبا و امريكا تمنحه المنظمة الصيهونية العالمية لانعاش الاقتصاد البريطاني والاستجابة لما فرضته الثورة الصناعية من استثمارات ضخمة ،وما سيفرضه المد التوسعي للتكفّل بما يلزم من حاجيات الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

اما فرنسا فهي الاخرى كانت تسعى لمزاحمة بريطانيا واستعادة دورها هناك باستثمار تاريخها الديني والثقافي في المنطقة ودعم مركزها هناك وضمان الحصول على جزء من تركة الامبراطورية العثمانية الايلة للسقوط.

على المستوى العسكري كلا الدولتان تريان بأن التموقع في المشرق من شأنه تمكين الدولتين من دعم مكانتهما العسكرية والحيازة على قواعد عسكرية هناك تتيح لهما امكانية التدخل العاجل عند الضرورة للدفاع عن مصالحهما ومصالح حلفائهما ، والوقوف بالمرصاد للخطر الالماني المتربص بالمنطقة في التقارب المتزايد بين الامبراطورية الالمانية القوية و الامبراطورية العثمانية خاصة على الصعيدين العسكري والاقتصادي.

بالنسبة للاهداف الخفية الكبيرة و الخطيرة فهي في المجال الاقتصادي فقد كانت الدولتان تعلمان حجم الفوائد التي يمكن جنيها من بلاد الشام المعروفة منذ القدم بخيراتها الزراعية و المائية والحيوانية والحرفية علاوة على دورها الريادي في الحركة التجارية كهمزة وصل بين الشرق الاقصى واوروبا خاصة في تجارة التوابل و الحرير وغيرهما.وخير دليل لتفسير جاذبية هذا الاهتمام الاوروبي هو الحركة النشيطة التي تمتاز بها الموانئ الشامية من الشمال الى الجنوب : اسكندرون،انطاكية ، اللاذقية،طرطوس، طرابلس، بيروت،صيدا،صور،عكا، حيفا،يافا،غزة. وليس غريبا على احد شهرة مدن الشام في عالم التجارة مثل القدس وبيروت ودمشق وحمص وحماه وحلب، هذه الاخيرة كان فيها في مطلع القرن السابع عشر "53 معملاً للأقمشة المقصبة، و247 معملاً لمنسوجات الغزل، و159 معملاً للحرير" (محمد،قجة.(2012).صور من العلاقات المتبادلة بين أوربا وشمال بلاد الشام.مجلة الباحثون الالكترونية،العدد 55 .)

يضاف الى ما سبق حساب ما يمكن ان تستغلّه الدولتان الاستعماريتان من ايدي عاملة رخيصة ،واتاحة امكانية تجميع ضرائب ضخمة تساهم في تمويل المشاريع الاستعمارية بشكل عام ، دون ان ننسى ايضا ما وجده الاوروبيون من اسواق استهلاكية واسعة لعرض وترويج سلعهم فيها.

ولا يمكن بأي حال من الاحوال استبعاد الاهمية الحضارية و الثقافية و الروحية لبلاد الشام التي كانت ملتقى للعديد من الحضارات العريقة ومجال احتكاك وتمازج العديد من الثقافات هذا علاوة على كونها اكتست ولازالت تكتسي اهمية وقداسة كبيرة بالنسبة لمعتنقي الديانات السماوية الثلاث.

فيما يتعلّق بالجناح العسكري للبعثة فكان يقوده المقدّم ادوارد بريمون الذي هو في نفس الوقت المنسق بين جناحي البعثة، يملك الرجل خبرة مميّزة في التعامل مع العرب ،فهو يعرف لغتهم و تاريخهم وعاداتهم ، اشتغل قرابة العشرين سنة متنقلا بين الجزائر و المغرب، قائدا لفيالق الرماة و قائدا لشرطة الموانئ المغربية ونائبا لرئيس البعثة الفرنسية هناك، ورئيسا لشعبة مخابرات....وقد كان حذرا ومتحفظا في التعامل مع البريطانيين ، متحمسا لتحقيق الاهداف الفرنسية وشرسا في الدفاع عن مصالح بلده. ولكونه عارفا وملمّا بالمنطقة و ذهنيات اهلها فقد تم استدعائه عديد المرّات من طرف اللجنة الوزارية المشتركة الخاصة بشؤون المسلمين" سيام"[11] مابين 1917-

[11] سيام اختزالا لـ CIAM وتعني اللجنة المشتركة مابين الوزارات الخاصة بشؤون المسلمين Commission Interministérielle des Affaires Musulmanes، وهي هيئة مدنية حكومية رسمية تأسست سنة 1911 لدراسة و متابعة شؤون المسلمين في فرنسا و شمال افريقيا واينما وجد المسلمون داخل المستعمرات الفرنسية كما تتولى التفكير و التشاور في كل ما يتعلق بسياسة فرنسا تجاه العالم الاسلامي ، تشترك فيها وزارة الشؤون الخارجية و الداخلية والمستعمرات و الحربية.

1937 بغرض البحث و التقصّي، وهي اللجنة التي اكدت بعد استشارتها من طرف الحكومة الفرنسية على ان ضباط البعثة يجب ان يكونوا عرب ومسلمين،وبناء على توصيات هذه اللجنة رافق العقيد ادوارد بريمون 2351 رجل منهم 64 ضابط و 2467 جندي من الرماة الجزائريين (الفيلق 7 و9 من الفوج الاول للرماة الجزائريين من مدينة الجزائر وضواحيها). (Le Pautremat, Pascal(2006): 17-31)

وعلى رأس هذه التشكيلة التى قادها العقيد بريمون مجموعة من العسكريين المسلمين و الاوربيين البارزين منهم :

- المقدم الشريف قاضي الذي رافق الامير فيصل بن الحسين طوال الثورة العربية.
- النقيب رقيد سعد من فوج الصبايحية الثاني .
- النقيب رحّو محمد ولد علي من تيارت من نفس الفوج، ضابط صبايحي جزائري الاصل رافق الامير عبدالله بن الحسين طوال الثورة العربية حتى سقوطه سنة 1919 في معركة ضد ال سعود.

هذا بالاضافة الى ضباط اخرين جزائريين مثل الملازمين زموري وبن جنات و المساعد علي بن نوار طرابلسي والرقيبين عزوق و عنصر العيمش بن محمد و المدفعي الاساسي بن حامد والمدفعي خميس بن خليفة بن سالم (JORDAN,F(2016) avril 29, 2016)

http://lechoduchampdebataille.blogspot.com/2016/04/mission-militaire-francaise-au-hedjaz.html)

- النقيب كوس من الفوج 314 للمشاة.

وأطّرت البعثة مجموعة ضباط وضباط صف اوربيين اخرين يتقنون العربية ولهم خبرة بالشؤون العربية و الاسلامية مثل العقيد بياباب و النقيبين بيزاني و دوبوي والملازم ريفوار والمساعد شاتولان والرقيبين ماط و ماتيو وغيرهم. (Gout, J(1916)bulletin de renseignement.. 7 N 2081,Paris,Shat.)

بالاضافة الى بعض المترجمين مثل الضابط المترجم بيرشي والمترجم المساعد كوني و السكرتير ستراتيبيرغ (Gout, J(1916)bulletin de renseignement. 7 N 2081,Paris,Shat)

بالمحصّلة نجحت البعثة الفرنسية رغم قلة تعداد الجيش الفرنسي بالمقارنة مع نظيره البريطاني وتوّج اسنادهم للثورة العربية بمعية البريطانيين وجنود المستعمرات البريطانية من هنود و استراليين بهزيمة الجيش العثماني الرابع وطرده من بلاد الشام.

بداية العهد الفيصلي:

في 30 سبتمبر 1918 رفعت الراية الهاشمية فوق المباني العمومية في دمشق وتشكّلت حكومة مؤقتة من طرف الامير محمد سعيد الجزائري[12] تحت رعاية حرسه العسكري الخاص من الجزائريين المقيمين هناك، ولم يدم ذلك اكثر من يومين ، وفي جو مليء بالفوضى و الاضطرابات والدسائس تستلم الحكومة الشريفية برئاسة الامير فيصل

[12] الامير محمد سعيد الجزائري الأمير محمد سعيد بن علي بن عبدالقادر الجزائري: حفيد الأمير عبدالقادر الجزائري، ولد في دمشق عام 1300هـ/1883 م، وتلقى تعليمه فيها، ثم انتقل إلى اسطنبول ودرس في المدرسة العليا، تولى رئاسة الدولة في سورية بعد خروج القوات العثمانية عام 1337 هـ/ 1918 م، رشح لعرش سوريا عام 1338 هـ / 1920 م بعد سقوط الملك فيصل بن الحسين، لكن فرنسا عارضت هذا المشروع وقامت بمحاربته، ترأس العديد من الجان والجمعيات بسوريا ، ويمكن اعتباره أول رئيس للحكومة العربية بدمشق. انظر: سليمان المدني(1999) .هؤلاء حكموا سورية 1918-1970.ط4،دمشق:دار الأنوار،ص 12-15

– تحت العناية و الرعاية و الحماية البريطانية – زمام الامور يوم 2 اكتوبر 1918، وهو تاريخ النهاية الرسمية لحكم العثمانيين في بلاد الشام – و الذي بدأ سنة 1516 – ليبدأ بعد ذاك التاريخ الحكم الفيصلي ، وكان فيصل ومعه جمهورا عريضا من العرب المعادين العثمانيين يأملون في ان تكون بريطانيا صادقة ووفية لما وعدت به شريف مكة الحسين بن علي، في وقت كانت فيه بريطانيا مشغولة بضمان موقعها وتثبيت نفسها هناك والشروع في تنفيذ اتفاقية سايكس–بيكو ،وبالمقابل كانت فرنسا هي الاخرى تتحسس مكانتها وتسعى باحتشام للتموقع في المنطقة ،في الجهة العربية بدأ حراكا سياسيا شعبيا للدفاع عن استقلال الشام والتعبير عن الرفض القاطع للهيمنة الاجنبية ولما جاء في اتفاقية سايكس–بيكو ووعد بلفور وهي المطالب الوطنية التى عبّر عنها المؤتمر السوري العام الذي انعقد بدمشق يوم 9 جوان 1919 بحضور 120 شخصية وطنية تمثل مختلف الطوائف و الاطياف السياسية السورية[13] (جهان، بنت إبراهيم شار علي عبد الرحيم.(2011). الاثار السياسية و الحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام 1924–1939 . اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى. المملكة السعودية).

وعلى الرغم من جرأة وعلوّ سقف المطالب العربية في هذا المؤتمر الا ان المعطيات المحلية و الاقليمية و السياقات الدولية – قبيل ذلك –و التى كانت تنسج خيوطها في العواصم الاوربية وخاصة باريس التي احتضنت مؤتمر الصلح ، لم تكن تبشّر بالخير الذي يأمله العرب، فكان ممثل الوفد المشرقي(الحجازي–الشامي) الامير فيصل غير قادر لا استرتيجيا ولا تكتيكيا على فرض نفسه واسماع كلمته سوى على طاولة الحاضرين او في كواليس المؤتمر، بل كان احيانا محل تقاذف بين البريطانيين والفرنسيين، كما كان محل اهتمام و اتصالات مريبة من طرف الصهاينة الذين يتهيأ زعيمهم حاييم وايزمان للمشاركة في المؤتمر بل انه تمكن قبيل المؤتمر من انتزاع تصريحات خطيرة غير محسوبة العواقب من الامير فيصل بشأن جزء عزيز من بلاد الشام و هو فلسطين ادلى بها لوكالة رويتر يوم 1918/12/12 جاء فيها:

" اني آمل أن تحقق كل من الامتين (العربية و اليهودية) تقدّما ملموسا نحو امانيهما و اماالهما.ان العرب لا يحملون ضغينة ضد الصهيونيين اليهود،بل ينوون ان يسمحوا لهم بالعمل.اما التحاسد بين سكّان المستعمرات اليهودية و المزارعين المحليين(اي العرب)فقد اثارته الفتن التركية.ولكن التفاهم المتبادل لأهداف العرب و اليهود ،سيقضي على اخر اثار هذا العداء ،الذي بالفعل،زال قبل قبل الحرب بفضل عمل اللجنة الثورية العربية السرية، ان الصهيونيين هم حملة حضارة اوروبا الى الشرق" (عمر، عبدالعزيز عمر: 641) و انتهت الاتصالات باتفاق فيصل–وايزمان وقّعاه يوم 3 جانفي 1919 و هو اتفاق يتكون من مقدمة و عشر مواد مكتوب باللغة الانجليزية،وهو اتفاق يرسم حدود التعاون بين العرب و اليهود.وبعد شهرين تماما– اي 3 مارس 1919 – و تحت ضغط الصهاينة الامريكيين في اروقة مؤتمر الصلح يوجّه فيصل رسالة تأييد قوية للصهيونية جاء في بعض مقاطعها:".....واننا معشر العرب ، والمثقفين منا بوجه خاص نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق مشاعر العطف.وان وفدناهنا في

باريس يعلم تماما المقترحات التي قدّمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح ، واننا ننظر اليها على انها مقترحات معتدلة صحيحة. و سوف نبذل جهدنا ،في النطاق الذي يخصنا ،للمساعدة على تحقيقها، اننا نرحب باليهود اعظم ترحيب....ان حركتينا تكملان احدهما الاخرى.فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية.....انني و شعبي نتطلع الى مستقبل نساعدكم فيه وتساعدوننا فيه، حتى يتمكن بلدانامن اخذ مكانيهما في مجتمع الشعوب المتمدينة في العالم." (عمر، عبدالعزيز عمر:648-650) وبعد يومين نشرت صحيفة نيويورك تايمز هذه الرسالة تحت عنوان كبير " امير الحجاز يرحب بالصهيونيين" ، واسفر ذلك على موجه من السخط و الاستياء لدى الرأي العام العربي متهمين فيصل بالخيانة لكن فيصل ردّ بأنه وقّع على الرسالة دون معرفة محتوياتها ,ربّ عذر اقبح من ذنب! كما انه ذكر بأن مستشاره و صديقه الحميم لورانس هو من كتبها دون ان يخبر فيصل بمحتواها. (عمر، عبدالعزيز عمر:648)

تسارعت الاحداث بعد ذلك وانعقد مؤتمر سان ريمو في شمال شرق ايطاليا بين 19 و 26 افريل عام 1920 للنظر في مصير الولايات العربية العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى و التحضير ايضا لمحتوى اتفاقية سيفر مع الدولة العثمانية، ومن ابرز ما افرازات اللقاء هو وضع سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وهذا النظام الانتدابي الجديد تحت المظلة الشرعية لعصبة الامم الهيئة الدولية الناشئة حديثا استنادا الى مبادئ ولسون الاربعة عشر،فكانت مباركة العصبة لهذه القرارات بالنسبة للمستفيدين ترخيص قانوني لفرض سلطتهم على الضحايا او بمعنى اخر وضع اتفاقية سايكس-بيكو حيّز التنفيذ.

من الجهة الاخرى كانت هذه القرارات محل استياء و تذمّر كبير في اوساط العرب الذين عبّروا مرة اخرى عن رفضهم من خلال الاجتماع الثاني للمؤتمر السوري العام في دمشق ،ولم يستطع الامير فيصل ضبط الامور بسبب مجاراته للوطنيين تارة و رغبته في التفاهم مع الفرنسيين تارة اخرى ،ولما زاد عليه الضغط اعلن عن رفضه لقررات الانتداب التي لم تحترم وحدة سوريا . هنا لم تجد فرنسا بدا من تشديد لهجتها معه فوجّهت له الحكومة الفرنسية عن طريق الجنرال غورو يوم 1920 /7/14إنذاراً يتضمن خمسة شروط لابد من الامتثال لها وقبولها كمجموعة لا تقبل التجزئة خلال أربعة أيام تنقضي في منتصف ليلة 1920/7/18.وأن الحكومة الفرنسية بعد هذه المدة تكون مطلقة اليد في العمل. وهذه الشروط هي :

1- وضع سكة حديد رياق حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي.

2- قبول الانتداب الفرنسي على سوريا قبولاً غير مشروط.

3- قبول العملة التي فرضتها الإدارة الفرنسية والتي أصدرها البنك السوري الذي أسسته فرنسا وجعله نقداً رسمياً في البلاد، وسحب العملة الفيصلية.

4- معاقبة المجرمين. ويقصد بهم أعداء فرنسا الذين قاموا بمقاومة الاحتلال الفرنسي في سوريا، وملاحقتهم قضائياً.

5- إلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين، وتخفيض عدد الجيش العربي ونزع السلاح من أهالي دمشق ومن الجنود الذين سيسرحون.(صبحي.العمري(1991).ميسلون نهاية عهد.لندن- قبرص:رياض الريّس للكتب و النشر).

تحت الضغط لم يقبل فيصل والوطنيون المحيطون به محتوى الانذار فكان الهجوم الفرنسي وبداية معركة ميسلون (وهي نسبة الى خان ميسلون : محطة استراحة جبلية للمسافرين بين دمشق وبيروت) في الرابع و العشرين من جويلية 1920 والتي انتهت بهزيمة الجيش العربي واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة في ظرف ساعات معدودات (احسان.هندي(1967) معركة ميسلون.دمشق:وزارة الثقافة والسياحة و الارشاد القومي).وكانت نهاية المعركة ايذانا بنهاية الحكم الفيصلي والدولة الوطنية العربية في سوريا و بداية عهد جديد هو الانتداب الفرنسي.

البيبلوغرافيا:

الكتب:

1- احسان.هندي(1967) معركة ميسلون.دمشق:وزارة الثقافة والسياحة و الارشاد القومي

2- جميل عطية إبراهيم(1991).صلاح عيسى:صك المؤامرة وعد بلفور 1917/11/2،دار الفتى العربي،القاهرة.

3 - الحكيم،يوسف.(1974).الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي و الانتدابي الفرنسي 1915-1946.بيروت:دار صادر.

4- سلام.صادق.(2012).فرنسا ومسلموها ،قرن من السياسة الاسلامية1895-2005 .(ترجمة زهيدة درويش، جبور).الامارات: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث

5- سليمان المدني(1999) .هؤلاء حكموا سورية 1918-1970.ط4،دمشق:دار الأنوار.

6- صبحي.العمري(1991).ميسلون نهاية عهد.لندن- قبرص:رياض الريّس للكتب والنشر.

7- **عمر،** عبدالعزيز عمر.(1980).دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر،مصر 1517-1952 /القضية الفلسطينية.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة و النشر.

الرسائل:

8 - جهان، بنت إبراهيم شار علي عبد الرحيم.(2011). الاثار السياسية و الحضارية للانتناب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام 1924-1939 . اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى. المملكة السعودية.

المقالات:

9-محمد حسنين هيكل(1967)،وثائق هامشية، ملحق جريدة الاهرام، العدد 2926.

10- محمد،قحة.(2012).صور من العلاقات المتبادلة بين أوربا وشمال بلاد الشام.مجلة الباحثون الالكترونية ،العدد55

11- Le Pautremat Pascal, La mission du Lieutenant-colonel Brémond au Hedjaz, 1916-1917, Guerres mondiales et conflits contemporains 1/2006 (n° 221).

القواميس و الموسوعات:

12-خيرالدين الزركلي(1997) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج 2، ط12، بيروت:دار العلم للملايين.

13- عبد الوهاب الكيالي(1986)، الموسوعة السياسية، ج1، ط1بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

التوثيق الالكتروني:
14-www.cairn.info/revue-guerres-mondiales-et-conflits-contemporains-2006-1-page-18.htm.
15- http://pages14-18.mesdiscussions.net/pages1418/forum-pages-histoire/colonel-bremond-sujet_9446_1.htm
16-http://lechoduchampdebataille.blogspot.com/2016/04/mission-militaire-francaise-au-hedjaz.

تاريخ الاستلام: 2017/01/13- تاريخ التحكيم: 2017/02/25 -تاريخ النشر 2017/06/30

أضواء جديدة على طبنة الزاب: فصول في تاريخ المسالك وتخطيط العمران

أ. الصادق زياني

جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة – الجزائر

الملخص:

يندرج هذه البحث ضمن الجغرافية التاريخية، وهو يعالج ثلاثة فصول، الأول يعتني بتطور خريطة مسالك ودروب مدينة طبنة من تمام الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الخامس هجري، بين التواصل والانقطاع مع مدن بلاد الزاب– الحضنة –الأوراس، قبل وبعد تشييد مدن جديدة بالزاب وما حوله أو اختفاء مدن أخرى؛ أما الثاني فيتناول جانب الموقعية وأهم التغيرات الطبونومية التي مست أسماء مدن ببلاد الزاب عامة، وطبنة خاصة بفضل عملية التعريب التي صاحبت الفتوحات الاسلامية؛ وتعرج الدراسة في فصلها الثالث والأخير إلى العمارة الاسلامية التي طبعت تخطيط وتمصير مدينة طبنة، ببروز تغيرات جذرية واضحة على المدينة القديمة.

الكلمات المفتاحية: طبنة، المدينة–الحصن، الزاب، الأسلمة، التعريب، الطوبونيم، الموقعية، المسالك، العمارة الاسلامية.

Abstract:

This study examines the evolution of the ways and ways of the city of Tobna between communication and discontinuity with the cities of Zab -Hodna -L'Aurès, from the Islamic conquest until the fifth century H; This study also deals with the other side of the sites and the most important changes of Toponym that have affected the names of cities in the Zab in general and Tobna especially with Arabization, and has the latest in Islamic architecture study, which Printed the town planning of Tobna, and the radical changes in the old city.

Key-words: Tobna, The fortress city, Zab, Islamization, Arabization, Place name, Sites, corridors, Islamic architecture.

المقدمة:

حظيت مدينة طبنة بأهمية فائقة منذ العهود التي سبقت الفتح الإسلامي، ونقصد الفترة الرومانية زمن تشييدها كقاعدة لمنطقة حدودية، وقاعدة لخط الليمس الدفاعي ضد امتداد الجماعات المحلية البربرية نحو الشمال، وحتى العهدين الوندالي والبيزنطي. ونفس المكانة ميزت المدينة خلال القرون الأولى من التواجد الإسلامي، أين شهدت أرقى أيام عزها وسطوتها، خاصة بعدما تحولت إلى قاعدة لبلاد الزاب المترامي، هذه المدينة–الحصن قد اتخذها الأمويون، ومن بعدهم العباسيين كمقر دفاعي لنفوذهم السياسي–الديني ضد الجماعات الاباضية والصفرية على السواء.

إن استقرار قبائل وجند الفاتحين في هذه المدينة، وتشكل أخلاط من تركيبات بشرية مختلفة سكنت استقرت وتعايشت بين أسوار المدينة، قد مهد في البداية إلى تحول طوبونومي في بداية مرحلة هذه المدينة بتخليها عن موروثها الثقافي القديم ممثلا في تسميتها اللاتينية (Tvbvnea)، ومتأثرة بالتعريب الذي مس أغلب مدن بلاد الزاب وكل بلاد المغرب، لتتحول إلى المسمى العربي "طبنة".

ومن جهة أخرى، نجد الكثير من التحولات والتغيرات الجذرية في خريطة المسالك والطرق الخارجية لطبنة مع الكثير من مدن بلاد الزاب خلال الفترة المدروسة، مع بروز مدن إسلامية جديدة انبثق عنها مسالك أيضا جديدة، استطاعت كتب الرحلة خلال الفترة المطروقة أن تبرزها ممثلة في اليعقوبي(ت نحو284هـ/897م)، ابن حوقل النصيبي(ت367هـ/984م)، والبكري(ت487هـ/1094م)، ليس هذا فقط، فالعمارة الإسلامية تكون قد مست هذه المدينة، في جوانب كثيرة من مخططها الداخلي، وحتى أسوارها الخارجية، قدمها لنا البكري وغيره في شهاداتهم على تخطيط المدينة من الداخل والخارج.

ومن أهم التساؤلات التي شكلت محورا للموضوع المطروق نذكر:

ما هي أهم التحولات الطوبونومية والعمرانية التي طرأت على طبنة الزاب؟ وهل أن المدينة العربية الإسلامية هي مجرد استمرارية للمدينة القديمة؟ أم أنه حصل اختلاف وتغيير في تخطيطها الداخلي والخارجي؟ وما هي مظاهر العمارة الإسلامية في مدينة طبنة بعد الفتح وحتى القرن الخامس هجري؟

هل بقيت خريطة المسالك القديمة لطبنة متواصلة مع باقي مدن الزاب–الأوراس–الحضنة؟ أم حدث لها تغيرات واختفاء لبعضها أو كلها؟ وما هي ملامح ارتباط طبنة بالمسالك الجديدة التي واكبت ميلاد مدن جديدة على طول بلاد الزاب أو اختفاء بعضها؟

– لمعالجة هذه الإشكاليات قمت بقراءة وتحليل المعلومات الواردة في مختلف النصوص الإخبارية والوصفية، ومستعينا في ذلك بالمقاربات المنهجية الحديثة خصوصا الأنوماستيكية منها، وأيضا ببعض الدراسات الأثرية، وهذا في محاولة لتتبع المتغيرات الطوبونومية والعمرانية، و المسلكية بصفة عامة. وكانت الدراسة على النحو الآتي:

طبنة القديمة « Castra»: المدينة – الحصن

تؤكد الدراسات التاريخية والأثرية على اكتشاف العديد من النصوص الأثرية التي تسمح بالوقوف على التسمية القديمة لمدينة طبنة، ومن بين من ذكر هذا الموقع نجد "بطليموس" الذي ذكر موقعها في جغرافيته، كما ذكر الموقع في "ألواح نوتينجر"، وعند "بلين" (يوسف، ع. 2006–2007: 353)، والأكيد أن طبنة قد وردت تسميتها بصيغ مختلفة لعل أبرزها: Tobunas, Tubiensis, Tvbvnea, Turbines.(Raoul, G. 1902: 55-59).

أما عن تأسيس المدينة، فالمعلومات شحيحة للغاية، لكن هناك بعض الفرضيات التي أكدها الكثيرون ممن قاموا بزيارات وحفريات ميدانية بالمنطقة، على غرار" M. Blanchet" و"Raoul Grange"، فيذكر هذا الأخير أن تأسيس المدينة يكون على الأرجح قبل سنة 98م، وهي فترة حكم ترايانوس (Traianus) (89–117م)، أين غدت مراكز الحراسة الرومانية تقام بالواحات، وكان خلالها خط الليمس يشمل: نقرين(Ad-Madjors-Négrine)، بادس(Badias-Badés)، الدوسن (Doucen)، جميلي(Gemellae) (أحمد، ص. 1959: 307–333)، ويكون بذلك الرومان قد أسسوا طبنة "المدينة–الحصن" في منطقة إستراتيجية هامة، واعتمدت لذلك كـ:"مركز للمنطقة"في قيادة خط الليمس(Raoul, G. 1902: 24) .

لقد برزت أهمية موقع المدينة منذ بداية تأسيسها، فهي نقطة عبور للمسالك القادمة من بغاي"Bagai" ونقاوس"N'Gaous" نحو الأوراس، وكذلك الطرق المتجهة نحو الشمال إلى سطيف والحضنة،(يوسف، ع. 2006-2007: 354-355) وبالتالي فقد كان موقعها المميز يمثل إلى حد كبير الموقع الموازي(سعاد، س. 2014، 55-73) الذي تحتله مدينة زابي جستنيانا Zabi Justiniana (Delattre, A-L. 1988: 262-268). إن وجه الاشتراك بين المدينتين يمثله مكانتهما في طرق المواصلات، إذ كانت طبنة تشرف على معبر الحضنة إلى حبال متليلي، وتشكل زاوية مراقبة للطريق القادم من لامبيز المتوجه في الأساس إلى الأوراس وإلى مدن إقليم الزاب والتي تمثلها أقصى النقاط الغربية للمقاطعة النوميدية وجل المعابر الجنوبية. (Eugène, A. 1931: 366-367).

وفي محاولة منه لإبراز طبنة القديمة، قدم لنا "Raoul Grange" دراسته التاريخية –الأثرية حول المدينة القديمة، والتي لا نملك عليها الكثير من المعلومات، يبرز لنا إلى حد كبير قيمة هذه المدينة-الحصن عند الرومان، ومن بعدهم البيزنطيين(Raoul, G. 1902: 24-25) ، فبالإضافة إلى شكله المربع والذي يشبه إلى حد كبير حصن بلزمة، فالقلعة التي مثلت جزءا من المدينة، قد مثلت إلى زمن بعيد بالإضافة إلى ذلك إحدى أهم التحصينات، والتي ساهمت في أن تكون محرسا مهما على الطرقات والمسالك التي ربطت الحضنة بالاوراس وبلاد الزاب، وبهذا تمت فكرة مد نفوذها بخط الليمس نحو الجنوب (Raoul, G. 1902: 66).

بالإضافة إلى مكانة طبنة خلال العهد الروماني القديم، في كونها نقطة إستراتيجية لتوسع نفوذها واعتمادها محرسا، فإن نفوذ هذه المدينة يكون قد توسع ما بعد الفتح الإسلامي، وهذا ما أكده البروفيسور علاوة عمارة في دراسته على أنها أصبحت تمثل قاعدة إقليم الزاب الواسع بعدما تحول مركزه من مقاطعة قسنطينة إلى طبنة (عمارة، ع. 2016: 12)؛ وقبله من قاعدتها لامبيز إلى كرطا (قسنطينة)، عندما كانت نوميديا مقسمة إلى قسمين، أولهما نوميديا الشرقية وعاصمتها كرطا، والأخرى نوميديا العسكرية، والتي كانت قاعدتها لامبيز، بعد توحيدهما من قبل الإمبراطور الجديد قسطنطين الأكبر (307-337م)، وأطلق اسمه على المدينة التي أعيد تجديدها بعد تخريبها من قبل ابنه ماكيميانوس، وأصبحت تكنى بـ "قسطنطينية" نسبة له.(أحمد، ص. 1959: 375-376) (غوتييه، أ.ف. 1959: 307-333).

الأكيد أن تاريخ المدينة قد أَشَرَّ إلى بروز خلايا للحركات المناهضة للغزو الوندالي لبلاد البربر، فخلال النصف الثاني من القرن الخامس ميلادي، تكون طبنة (Thubunae) على العهد الوندالي قد عرفت دمارا كبيرا مثلها مثل مقرة (Macri)، وسيلاص (Cellac)، وفي هذا يقول Raoul Grange: "في 484م، ثار سكان الأوراس والحضنة، على همجية الوندال... تخريب طبنة من قبل الوندال كان في كل الحالات سنة 484م، بعد حصار أسقفيات مملكة قرطاجة مع مقرة وسيلاص"(Raoul, G. 1902: 63-64) .

في حدود 540م تم الاستيلاء بشكل تام على إقليم الزاب من قبل البيزنطيين بقيادة الجنرال سولومون وزعيمهم جستنيانا (527-565م)، ويذكر راوول قرانج بأنه، وحفاظا على مملكته عمد جستنيانيانوس إلى بناء خط دفاعي

-خط الليمس البيزنطي، تكون فيه عاصمته الجديدة" Zabi "حدا فاصلا بين جبال بوطالب، وبوسعادة (Raoul, G. 1902: 40-50)، ويذهب إلى أبعد من ذلك ج.باراداز، حين يحدد لنا حدود هذا الخط ومهامه انطلاقا من مركزي بادس/طبنة، فيقول:"تؤدي إلى الوصول إلى الأهداف التالية، من الشرق إلى الغرب: أ- الحدود:من الشرق هنشير تاجر- ادمدياس-واد بودكران-جبل ميمونة-سدوري-جبل موديان، من الغرب:خط شط ملغير-عين الناقة-جبل حمر خدو-جبل فرنان-جبل محارقة- الجزء الأوسط من شط الحضنة؛ المهام: تغطية وحماية الأراضي المستعمرة بشكل تام..."(Baradez, J. 1949: 147-148) .

لقد أكد بروكوب على إسهامات الإمبراطور البيزنطي جستنيانوس الأول في تأسيس، وإعادة بناء وتعمير الكثير من المدن التي خربت من قبل الوندال، ويقدم لنا تعداد 28 مدينة و07 حصون وقلاع تم تأسيسها أو إعادة ترميمها من طرفه، وتؤكد الشواهد الأثرية على تواصل الفن المعماري الروماني، وأن عملية ترميم المدن لم يتجاوز بناء ما هدم دون المساس بالتخطيط القديم، أو الفن المعماري الروماني(يوسف، ع. 2006-2007: 287-290)؛ الأكيد أن طبنة قد أعيد اعمارها من قبل جستنيانوس، و المؤكد كذلك أنها أصبحت من القلاع الكبرى « Castra»، وتمثل نقطة حساسة في خط الليمس، والذي كان قد امتد من قبل خلال العهد الروماني في الجنوب إلى بادس(Babes)، دوسن (Docen)، وحتى جميلي (Gemellae) بالزاب (أحمد، ص. 1959: 375-307).

تخطيط المدينة القديمة:

إن تخطيط المدينة القديمة يشبه إلى حد كبير تخطيط الحصون البيزنطية الأخرى، والتي توزعت في افريقية، على غرار قصري بلزمة، وتيمقاد، والأكيد أن الحفريات التي قام بها "Raoul Grange" في المنطقة قد مكنته من الوصول إلى صورة واضحة لمخطط المدينة القديمة مقارنة مع مجموعة الوثائق التي ساعدته في ذلك، وعلى الأغلب النقائش التي عثر عليها عند مداخل المدينة والمسالك التي ربطت المدينة القديمة بباقي المناطق .(Raoul, G. 1902: 49-55)،وقد أعطى لنا وصفا لتخطيط المدينة كما يلي:" قلعة قديمة مستطيلة الشكل محاطة بجدار، كل زاوية منه تحميه أبراج في كل منتصف الزاوية، وبها أيضا جدار آخر، وهذه الأبراج على الغالب مربعة الشكل، وعددها ثمانية أبراج"(Raoul, G. 1902: 66) ، وقد قدم لنا الصورة الكاملة للمدينة في المخطط الآتي:

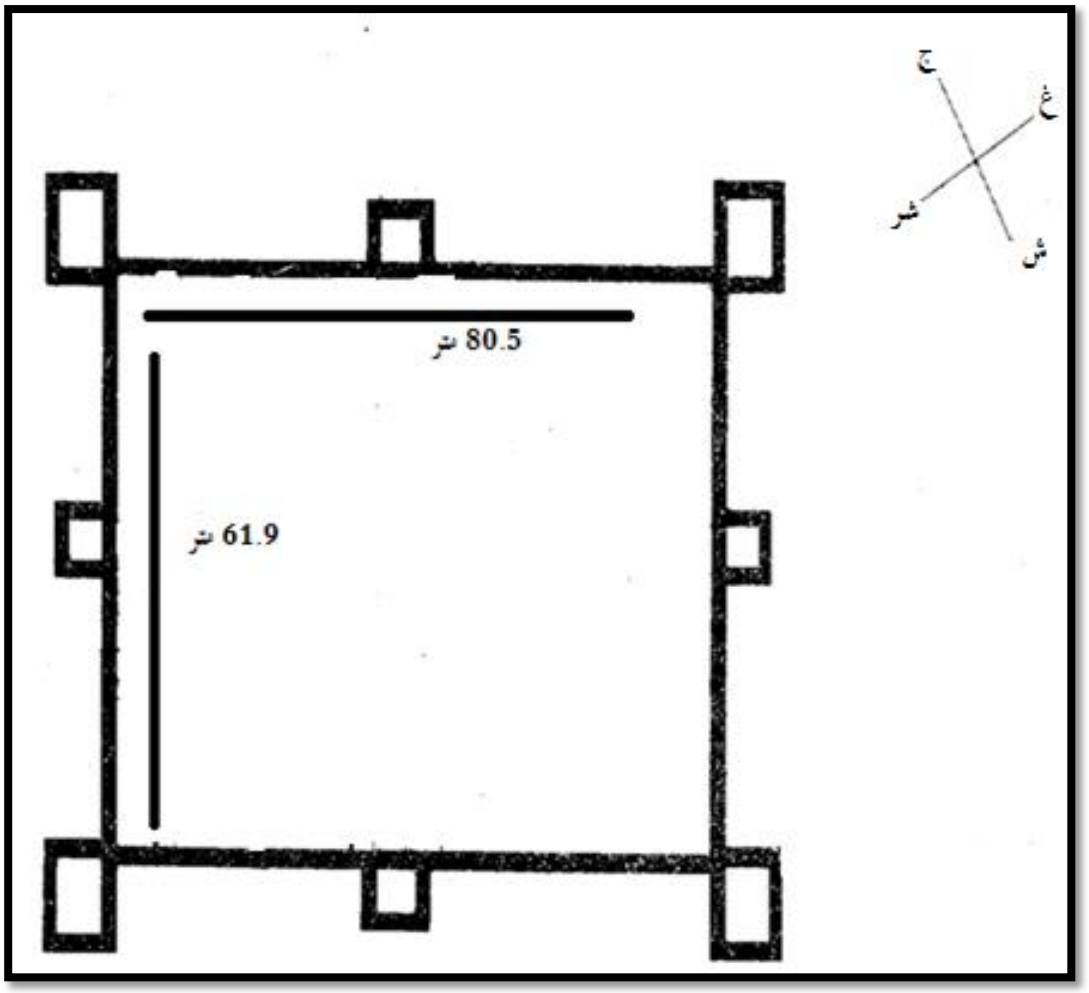

الشكل رقم01: تخطيط مدينة طبنة القديمة

مقاييس المدينة القديمة:

بعد استكماله لبحوثه الأثرية، قدم لنا"Raoul Grange"نتائج حفرياته، مؤكدا عثوره على الحصن الذي كان يحيط بالمدينة، إضافة إلى الأسوار الثمانية المحيطة به و كانت سدا منيعا للحصن وللمدينة. إن هذه الدراسة الأثرية على الحصن لم تكن الوحيدة، فبالإضافة له، قام كل من Dieh ،وكذا P. Blanchet (Blanchet, M. 1900: -285-294) وP.-L. Combuzat (Combuzat, P.-L. 1986: -233) بدراسات ميدانية على طبنة، والغريب في الأمر أنهم وصلوا إلى وجود القلعة بنفس التخطيط لكن بمقاييس مختلفة، وقد برر هذا الاختلاف قرانج حين يقول:" هذه القياسات هي وسطية (أو تقديرية)، بسبب موقع الأرضية التي بنيت عليها المدينة...، وقد وضعنا في مخططنا تقديرا متوسطا قدره 2 متر..." (Raoul, G. 1902: 67) ، وقد أورد لنا قرانج تفاصيل عن قياس الحصن-المدينة، وقمت بمقارنته مع ما قدمه لنا دهيل Diehl تقاريره الموسومة بـ "Missions archéologiques" في جدول على النحو الآتي:

الدراسة التعيين	القياس في دراسة Grange	القياس في دراسة Diehl
المساحة الإجمالية للمدينة	4982.95 متر^2	3888 متر^2
عرض الحصن الداخلي	80.50 متر	72 متر
طول الحصن	61.90متر	54 متر
عرض المحارس "الجدار الخارجي" في الزوايا الأربعة	7 متر	9.10متر
طول المحارس "الجدار الخارجي" في الزوايا الأربعة	7.10 متر	10.50 متر
عرض المحارس في الوسط على الجهة الشمالية	6.10 متر	7.50 متر
طول المحارس في الوسط على الجهة الشمالية	8.30 متر	10.5
عرض المحارس في الوسط على الجهة الجنوبية	4.70 متر	7.50 متر
طول المحارس في الوسط على الجهة الجنوبية	6.70 متر	7.50 متر

لقد مثلت طبنة بحصنها إحدى أهم مظاهر العمران وتطوره في العهود التي سبقت الفتح الإسلامي للمدينة ومنطقة الزاب ككل، وأما فيما يخص مكونات البناء فقد أثبتت الحفريات على اعتماد الصخور الكلسية في البناء، والراجح أنها نقلت من جبل متليلي، ويقول في ذلك لاقرانج:" من المحتمل، في كل الحالات، بأن المدينة تم استحداثها من قبل الرومان، استخرجوا من جبل متليلي الحجارة (الصخور) الضرورية..."(Raoul, G. 1902: 24) .إن هذه الشهادة يؤكدها البكري (ت487هـ/1094م) بعد ثلاثة قرون من ارتباطها بالفلك العربي الإسلامي هذه المدينة إذ يقول في مكونات بناؤها:"إن قصر طبنة قديم أولي كبير جليل، مبني بالصخر الضخم، ..وهو ملاصق لصور المدينة من جهة القبلة" (البكري، ع. 2003: 228) .إن مقارنة شهادة البكري والتي تأتي في منتصف القرن الخامس الهجري، مع المخطط الذي قدمه لنا قرانج حول سور الحصن والذي قال انه مرتبط و متصل بالمدينة من جهة القبلة كذلك وبناؤه كان تقريبا بداية القرن الأول ميلادي، يؤكد على تواصل هذه المدينة بتخطيطها المعماري القديم، مع وجود بعض التغييرات الثانوية فقط.

الفتح الإسلامي: طبنة القاعدة الجديدة لبلاد الزاب

تعتبر شهادة خليفة بن الخياط العصفري (ت240هـ/854م) أول إشارة ذكرت فيها مدينة طبنة في كرونولوجيا الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط، في معرض الحديث عن حملات موسى بن نصير، ففي سنة(81هـ/700م):"قتل موسى وسبى حتى انتهى إلى طبنة وصنهاجة، وبلغ سبيهم عشرين ألفا..."(ابن خياط، خ. 1985: 279)، وهذه الشهادة على الأرجح تؤكد ما أورده ابن عبد الحكم (ت257/870م) بخصوص تفادي عقبة بن نافع الفهري في حملته الثانية في بلاد المغرب حصار هذه المدينة–الثغر بافريقية، إذ يقول:"انصرف إلى افريقية، فلما دنا من ثغرها (ويقصد طبنة) أمر أصحابه فافترقوا عنه، وأذن لهم حتى بقي في قلة.." (ابن عبد الحكم، ع. 1999: 267).

إنه يمكن تفسير هذه الشهادة انطلاقا من معطيات سابقة في اتجاهين: فعلى الأرجح عدم قدرة عقبة بن نافع من السيطرة على المدينة، ويكون سببه حصانة هذه المدينة-الثغر، وبالتالي تموقع البيزنطيين فيه، كما حدث في الكثير من الحصون (الطاهر، ط. 2013: 45-52)كان سيعطل حملاته المتسارعة، فالأكيد أن القلعة المستطيلة والتي هي جزء من المدينة، كانت في حد ذاتها محرسا لكل المدينة، فأبراج المراقبة الثمانية المحيطة بها (Raoul, G. 1902: 66-69)، تكون قد لفتت انتباه عقبة، وأجبرته على عدم التفكير في محاصرتها خوفا من استهلاك الكثير من الوقت في إسقاطها، مفضلا التوجه لفتح باقي المدن في بلاد الزاب؛ أو التفسير الآخر، والذي أشار إليه حسين مؤنس في معرض حديثه عن حملات عقبة في بلاد الزاب حيث أكد أن عقبة:"كان يخشى أن يفاجأ بعزل جديد فعجل..." قد يكون سارع في مد حملاته بعيدا عن محاصرة هذه الحصون المحروسة بقلاعها (مؤنس، ح. د.ت: 204).

والراجح أن تمام الفتح الإسلامي لطبنة كجزء لا يتجزأ من الزاب، قد كان على يدي موسى بن نصير في حملته على بلاد المغرب(ابن خياط، خ. 1985: 281)، لكن مصطلح الفتح هنا يعني الاستحواذ على المنطقة فقط، ولا يعني إطلاقا اعتناق كامل للإسلام من قبل الجماعات المحلية من البربر ورواسب الجماعات غير البربرية، ونقصد بهم بقايا الجماعات المسيحية وغير المحلية من مخلفات الموروث الروماني-بيزنطي (عمارة، ع. 2013: 18-27). إن هذا الطرح في الأسلمة المتأخرة في طبنة الزاب، والذي استمر حتى القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، يؤكده نص البكري (ت487هـ/1094م) والذي نقل شهادته من نص محمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/974م) مؤكدا على اختفاء تدريجي بل شبه كلي للمصطلحات الدالة على الجماعات المسيحية لفائدة مصطلحات جديدة دالة على تحولات ثقافية-دينية نحو الإسلام-العربية، خصوصا في تيهرت القديمة و طبنة الزاب (البكري، ع. 2003: 229-230).

في حدود 124 هـ/742م، تظهر إشارة جديدة لطبنة الزاب، لكن هذه المرة وقد أصبحت تمثل قاعدة جديدة لبلاد الزاب ككل والتي أصبحت مقاطعة إدارية تتبع افريقية بقاعدتها طبنة، و بمدنها: نقاوس-أذنة-بسكرة (عمارة، ع. 2016: 12)، وهذه الإشارة تبرز الصراع الأموي-الاباضي وأحيانا العسكري المباشر، ليستمر هذا الصراع حتى موقعة طبنة مع عمر بن حفص المهلبي، والذي استطاع هزم الجماعات الاباضية بفضل تحصينه للمدينة (ابن خياط، خ. 1985: 355-356).

لقد سمحت النصوص الإخبارية على تأخرها وغموضها بتحديد فترتين أساسيتين، تكون في أولاهما محصورا ما بين (27-82هـ/647-701م) بلاد الزاب بكل مدنها بما فيها طبنة قد تم فتحها (عمارة، ع. 2013: 24)، وبمرور الوقت حدثت مجموعة من التغييرات الجوهرية في بلاد الزاب، في مقدمتها تأثير التعريب في أسماء المواقع (الطوبونوميا)، هذه الأخيرة ميزت مدينة طبنة بشكل كبير، لكنها مهدت لاستمرارية تامة في معظم الطوبونوميا القديمة مع فارق تعريب أسماء هذه المواقع، كما هو حال"Tvbvnea" والتي تحولت إلى "طبنة" (عمارة، ع. 2016: 13).

لقد أكدت النصوص الفقهية على أهمية طبنة كإحدى مجالات التقسيم الإداري لافريقية عموما والزاب خصوصا، ففي رواية نسبت لمحمد بن سحنون، حدد من خلالها المجال الجغرافي لافريقية والتي امتدت من طرابلس شرقا إلى طبنة غربا (عمارة، ع. 2016: 13). إن هذه الأهمية الجغرافية والتي مثلها موقع طبنة الجغرافي، يكون شاهدا على الحس العسكري للقدامى من الرومان والبيزنطيين، في اختيارهم لمحرس الجهة الجنوبية ممثلا في طبنة القديمة (الطالبي، م. 1985: 288-298)، والتي استمر مشهد نفوذها الجغرافي-الطوبونومي حتى في عهد الأمويين، وما بعده عند العباسيين. فالمدينة شكلت خطا دفاعيا عباسيا ضد الكيانات السياسية التي كانت قد نشأت وتطورت في الغرب، على غرار الإمامة الرستمية في تاهرت وإمامة بني واسول المكناسيين في سجلماسة وإمارة بني صالح(الطاهر، ط. 2011: 124)، وأخيرا برغواطة في تامسنا، وسوسوالة في المنطقة الواقعة بين أشير وحتى قلعة بني حماد (عمارة، ع. 2013: 24).

إن ثان أهم التغيرات الجوهرية في بلاد الزاب، يمثله تحول في عاصمتها، أين تم التخلي عن القاعدة القديمة "أربة-أزبة-أذنة" لصالح عاصمة جديدة مثلها المدينة-الحصن "طبنة" (الطاهر، ط. 2011: 123)، وشهادة اليعقوبي (ت نحو 284هـ/897م) تبرز هذا التحول، ويؤكد أيضا على مكان هذه المدينة لدى الولاة العباسيين فيقول:"..ومدينة الزاب العظمى طبنة وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر.."(اليعقوبي، أ. 1892: 350)، وأصبحت بهذا طبنة الزاب سدا منيعا وحاجزا قويا في وجه الصفرية والاباضية، وتحافظ هذه المدينة دون انقطاع على مكانتها كمحرس قديم لثورات البربر ضد النفوذ الروماني-البيزنطي، وواجهة دفاعية أغلبية-عباسية حافظت بها كذلك على نفوذها ببلاد الزاب ضد زحف الاباضية والصفرية (عشي، ع. 2011: 103).

إن الاستمرارية الواضحة للطوبونوميا القديمة، مع تعريبها فقط، لا نلحظه فقط في طبنة، بل يمكن تعميمه على الكثير من المدن التي لم تختفي من جغرافية العمران بمنطقة الزاب ما بعد الفتح الإسلامي، على غرار Vescera التي تحولت إلى بسكرة، وكذا Bades التي أصبحت بادس (جعيط، هـ. 2004: 54-55). إن تواصل وجود هذه المدن في الخريطة الجغرافية للزاب، مع تحول طفيف في تسميتها، له مدلول آخر يمثله التوطين البشري في المنطقة، فعلى قلة المعلومات والشواهد في القرن الثاني الهجري، إلا أن القرن الثالث حمل معه نصوصا مصدرية مثلها اليعقوبي، هذا الأخير يوضح بشكل كبير شبه استمرارية للتوطين القديم، بالأخص بقايا الثقافة اللاتينية في الحصون ممثلة في الأفارقة و الروم، وهو ما يفند أسلمة-تعريب كاملين لمدن الزاب عموما، وطبنة خصوصا (اليعقوبي، أ. 1892: 350-352)، كما اثبت ذلك البكري مع القرن الخامس انطلاقا من معطيات القرن الرابع هجري (البكري، ع. 2003: 228-229).

الأكيد أن طبنة بقيت محافظة على مكانتها كقاعدة للزاب، حتى وصول الفاطميين أين تراجع نفوذها تدريجيا خلال النصف الأول من القرن الرابع هجري لصالح قاعدة الزاب الجديدة، وهي المحمدية أو المسيلة(الطاهر، ط. 2011: 132) والتي تم تأسيسها سنة (315هـ/927م) على يد القائم وتوارث حكمها بني حمدون (ابن حوقل،

ن. 1992: 85). إن السيطرة على طبنة لم يتأت للفاطميين إلا بعد حصار طبنة وتدمير أبراجها ثم تحطيم سورها الخارجي الملاصق للمدينة (القاضي النعمان، أ. 1970: 160) لكن قوة هذه المدينة ومكانتها استمرت حتى القرن الخامس هجري، ففي حديث البكري عنها يقول:"وليس من القيروان إلى مدينة سجلماسة مدينة (ويقصد طبنة) أكبر منها.." (البكري، ع. 2003: 229).

مسالك طبنة: بين الاستمرار–التحول، والانقطاع

لقد تميز موقع مدينة طبنة بالاستراتيجي، فهو يحتل الموقع الهام الرابط بين وادي بريكة، ووادي بيطام، وبالتالي تموقعه يغطي كل مسالك الجهة الغربي(Raoul, G. 1902: 64-66) ، ومثّل موقعه صورة دومينو كما صورها قرانج قائلا:" باتجاه الشرق الحضنة الشرقية، باتجاه الشمال كل السهول المكشوفة في طريق مدوكال، والتي تعتبر نقطة العبور الرئيسة والمهمة للرحلات القادمة من الشمال، ويلزم للالتفاف على شط الحضنة أو جبالها..." (Raoul, G. 1902: 65).

إن شهادة البكري كجغرافي، هي من أهم الشهادات لرسم صورة المسالك و المواصلات لطبنة مع باقي المدن المتصلة بها على غرار الأوراس، ويشير البكري إلى أول اتصال يربط طبنة وهي نقاوس فيقول: "وتسير (من) نقاوس إلى طبنة وهي مدينة كبيرة،..."(البكري، ع. 2003: 228)، وهذه الشهادة وإذا ما قورنت بالموقع الأثري القديم لطبنة يلاحظ استمرارية هذا المسلك "طبنة–نقاوس"، وقد أشار إليه قرانج قائلا:"الطريق من نقاوس إلى طبنة يمتد نحو الشرق ليتصل مع محيط مدوكال والذي يمتد إلى بئر سدوري..."(Raoul, G. 1902: 52). قبله بقرن، يكون ابن حوقل النصيبي (ت367هـ/977م) قد رسم المسالك التي ربطت طبنة بباقي مدن الزاب و الأوراس والحضنة، فيقول في هذا:"ويأخذ من باغاي طريق إلى مقرة عليه دار ملول وطبنة وطريق آخر إلى طبنة عليه بلزمة ونقاوس.."(ابن حوقل، ن. 1992: 85)، وهو ما يعني تواصل المسالك القديمة دون تغيير حتى تأسيس مدينة المسيلة طبعا أين نلحظ بعض التغييرات في المسالك.

المسلك الثاني والذي يربط طبنة مع بسكرة، يذكره كذلك البكري حين يشير إلى الحرب بين المولدون والعرب بطبنة، حيث أكد على ارتباط طبنة بتهودة من جهة وبمسلك آخر مع بسكرة من جهة أخرى(البكري، ع. 2003: 229) هذا المسلك المهم، يبرزه دائما قرانج، مكملا به عمل بلونشي والذي قام به سنة 1899م، هذا الأخير يربط طبنة ببسكرة لكن مرورا بالكثير من المدن(Blanchet, M. 1900: 293) ، لكن قرانج يربط طبنة ببسكرة بمسلك مباشر يؤكد وجوده قائلا:" في الأخير، طريق رابع بسكرة، وهو موجود أيضا، وقد وجدنا نقوش كتابات التي تتبع ...." (Raoul, G. 1902: 53)، و المسلك المباشر أكد وجوده ابن حوقل في قوله:"ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان، ومن بسكرة إلى تهوذا مرحلة..."(ابن حوقل، ن. 1992: 87). إن هذا التأكيد على وجود هذا المسلك يؤكد فعلا على تواصل هذا المسلك خلال العصر الوسيط موروثا من الخريطة الأثرية القديمة.

المسلك الآخر، والذي يبرز استمرارية ارتباط طبنة بمدينة زابي القديمة والتي هي على مقربة من مقرة والمسيلة بـ 12 ميلا(20كم) فقط، واستمرارية هذا المسلك الهام يؤكد على أن خط الليمس البيزنطي قد استمر حتى زابي مرورا

بالكثير من مدن بلاد الزاب على غرار طبنة، والأكيد أن مقرة–طبنة قد ذكر عند الكثير من الأثريين ممن قام بحفريات ميدانية، تأكيدا على وجود هذا المسلك، والذي يفسره قرانج حين يقول:" في 484م، ثار شعب–سكان– الأوراس والحضنة، على همجية الوندال... تخريب طبنة من قبل الوندال كان في كل الحالات سنة 484، بعد حصار ...مقرة وسيلاس"(Raoul, G. 1902: 63-64). وتبرز لنا شهادة البكري مرة أخرى استمرارية هذا المسلك المهم خلال العصر الوسيط بين منطقة الزاب والحضنة حين يقول:" ومن طبنة إلى مدينة مقرة...."(البكري، ع. 2003: 229).

ما ميز هذه الفترة بالذات ونقصد القرنين الرابع والخامس هجريين، هو تشييد مدن جديدة، والتي تشكل على أساسها مسالك جديدة، فعلى غرار قاعدة الزاب الجديدة المسيلة (الطاهر، ط. 2011: 248–249)، والتي تم إنشائها من قبل الفاطميين كما رأينا، والتي من المؤكد قد ربطت بطبنة انطلاقا من المسلك الجديد "طبنة–مقرة–المسيلة"، ويؤكد وجود هذا المسلك ابن حوقل فيقول: "ومن المسيلة إلى أفريقية طريق ثالث، يأخذ من المسيلة إلى مقره، ومنها إلى طبنة..."(ابن حوقل، ن. 1992: 87) ، كذا تأسيس قلعة بني حماد في نهاية القرن الرابع هجري، والتي اتخذت مع طبنة مسلكا جديدا يذكره البكري قائلا:" ومن طبنة إلى مقرة وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع، ومنها إلى قلعة أبي طويل "قلعة بني حماد"(البكري، ع. 2003: 229) ويبرز إنشاء مسالك جديدة بتشكل مدن جديدة خلال العصر الوسيط كما هو الحال مع المسلك طبنة– المسيلة(ابن الفضبل صاحب حماه، ع. 1830: 139)، و إذا كان الميل قدره 1.6كم فهذا يعني أن المسلك بين المسيلة و طينة إما = 72*1.6= 115.2كم، أو= 144*1.6= 230 كم، وإذا ما قارنا النتيجتين في الواقع، نجد أن الأولى تقريبا صحيحة أي أن المسلك بن طبنة و المسيلة هو 115 كم (في نماذج التقييس، ينظر: قويسم، م. 2011: 55–62)، هذا المسلك الجديد يشق مقرة ثم القلعة وصولا إلى المسيلة، وقد أكد وجوده البكري منذ تأسيس المدينتين أي القرن الرابع وتواصله في القرن الخامس هجري فيقول:"ومنها إلى مدينة الغدير....المسيلة..و منها إلى قلعة أبي طويل"(البكري، ع. 2003: 232).

فهل يظهر تواصل لهذه الدروب والمسالك خلال القرن السادس هجري؟

من أميز الشهادات التي تبرز لنا مسالك طبنة وتواصلها مع باقي المدن الأخرى بالزاب، نجد صاحب نزهة المشتاق، والذي قدم لنا امتداد وتواصل الكثير من المسالك التي تم إنشاؤها أو التي سبقت وصول المسلمين لبلاد الزاب وطبنة بالتحديد، وعن مسلك طبنة –مقرة–المسيلة يقول:"وتخرج من المسيلة إلى مقرة مرحلة..ومن مقرة إلى طبنة مرحلة.." (الإدريسي، أ. 2013: 263)، ويبرز تواصل الكثير من مسالك طبنة مع الأوراس والزاب فيقول:" من طبنة إلى باغاي أربع مراحل، ..إلى مدينة نقاوس مرحلتان، ومنه إلى حصن بادس ثلاث مراحل، ..إلى حصن بسكرة مرحلتان..." (الإدريسي، أ. 2013: 253–263)، وعليه يتأكد استمرار أغلب طرق المواصلات سواء العسكرية أو التجارية وحتى الإدارية، مع بروز أخرى بسبب تشييد الكثير من المدن الجديدة في العصر الوسيط.

إن الدراسة الميدانية التي قام بها بلانشي حول طبنة، ويكون قد أتمها سنة 1900م، من خلالها خرج بنتيجة مهمة حول المسالك المرتبطة بهذه المدينة والتي مفادها أن:" المدن الكبرى للبربر المسلمين كانت المدن العسكرية لافريقية البيزنطية المحصنة، والتي تم إعادة تحديد هياكلها..."(Blanchet, M. 1900: 292-293) ، وقد حاول هذا الأثري أن يرسم خريطة لمسالك طبنة وأهم ارتباطاتها مع الزاب التي مثلت عاصمتها منذ تمام الفتح وحتى القرن الرابع هجري، وكذا الأوراس والحضنة، وقد أعدنا عرضها في الشكل أدناه:

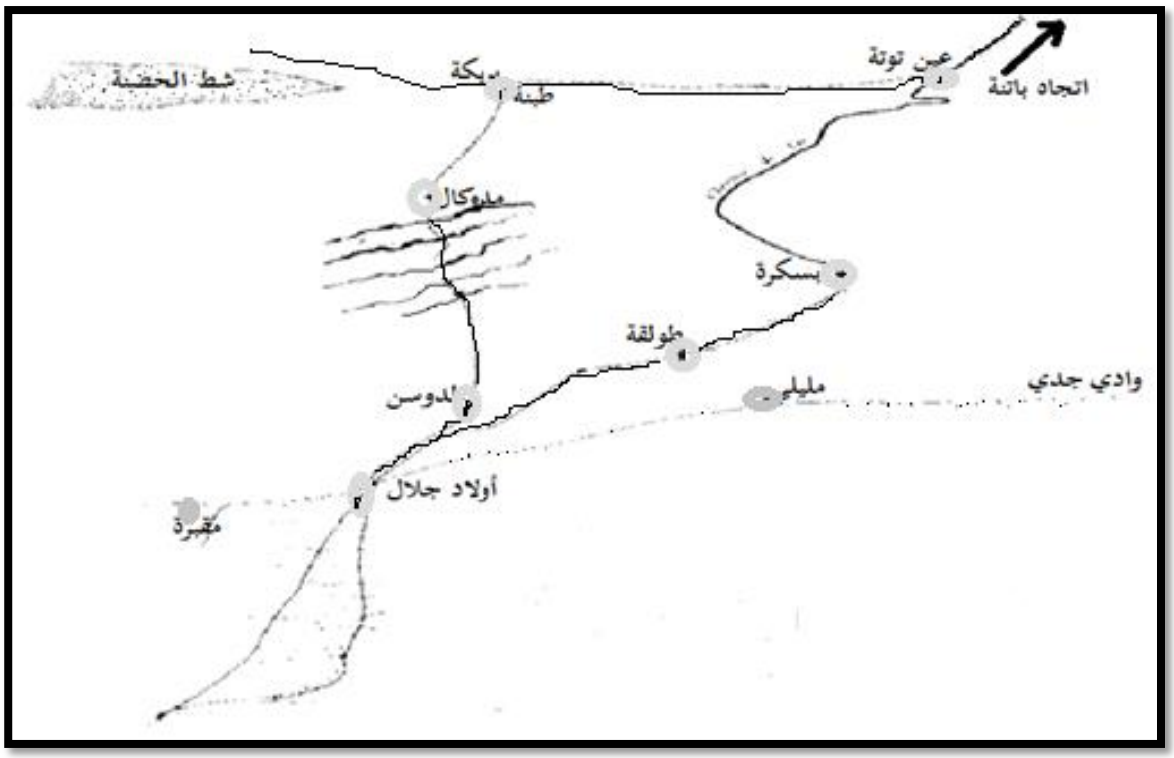

الشكل رقم 02: مسالك وطرق المواصلات لمدينة طبنة مع باقي مدن الزاب-الأوراس-الحضنة

مدينة طبنة وتخطيط العمارة الاسلامية: ملامح التغيير؟

لقد خضعت مدينة طبنة منذ فتحها على يد المسلمين العرب في عهد موسى بن نصير في حملته الناجحة لاستكمال فتح بلاد المغرب، لكن من المحتمل تواصل النموذج المعماري القديم خلال هذه الفترة (حسن، م.2004: 42-73) فالنموذج التمصيري للمدينة والذي شارك فيه أخلاط من:"قريش و العرب و الجند والعجم و الأفارقة و الروم والبربر.." (اليعقوبي، أ. 1892: 350)، والذين استقروا بالمدينة، يتكون من ارباض واسعة وقصر و مسجد المدينة، وحول المدينة توجد التحصينات القديمة ممثلة في الأبراج الثمانية التي بقيت لحماية المدينة (البكري، ع. 2003: 228) وتظهر الكثير من ملامح التغيير على مدينة طبنة وما حولها من أسوار عما كانت عليه المدينة القديمة، ونبرز هذه التحولات في تخطيط المدينة في الآتي:

1-إن أول ملامح التغيير في تخطيط المدينة يوردها البكري في شهادته ممثلة في السور الخارجي، والذي تم تشييده بحسبه من قبل عمر بن حفص المهلبي المعروف بحزار مرد، وعن مواصفات هذا السور الجديد يقول:"وخارج المدينة

بإزاء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عمر بن حفص هزار مرد (البكري، ع. 2003: 228)، و يمكن احتساب مساحته انطلاقا من معطيات قرانج و ديهل كما يلي:

التعيين / الأثريين	مساحة مدينة طبنة ($م^2$)	قيمة السور من المدينة (البكري)	مساحة السور المستحدث ($م^2$)
	4983	3/2	3322
	3888	3/2	2592

2-من مظاهر العمارة الاسلامية في مدينة طبنة هو بناء جامع المدينة، لكن الملاحظ على شهادة البكري هو ذكره للجامع داخل القصر، لكن تخطيط المدينة الأثرية الذي رسمه M. Blanchet أثبت بأن الجامع "Mosquée" يفصله عن القصر "Palais " شارع المدينة الكبير "Rue" والذي يستحوذ على طول المحرسين الموجودين وسط المدينة(Blanchet, M. 1900: 293) .

فهل يقصد البكري بالقصر هو المحيط الداخلي للمدينة؟

أم أنه بتخريب الفاطميين للمدينة وإعادة اعمارها مرة أخرى قد تم التقليص من قصر حاكم المدينة، واستغلال تلك المساحة لتوسعة المسجد وقد أورد لنا قرانج الفن المعماري الذي ميز المسجد وأكد وجوده داخل المدينة، مثبتا شهادة البكري؟

3-ثالث مظاهر التغيير الإسلامي في خطط طبنة، هو تشييد المقبرة بالجهة الشرقية للمدينة والمصلى القريب منها، والذي يستعمل في غالب الأحيان في صلاة العيد (البكري، ع. 2003: 229) وبحسب تخطيط المدينة الأثرية عند M. Blanchet فعلى الأرجح تكون هذه المقبرة والمصلى بجوار المحراب"Sanctuaire" الملاصق للمحرس"برج المراقبة" الأوسط في الجهة الشرقية للمدينة(Blanchet, M. 1900: 293) .

4-أبرز التحولات في الموقع نلحظه في زوال الكنيسة التي أشار إلى وجودها القديس سان سيبيريان، وزارها بحسب المصادر المسيحية الكونت بونيفاس وأقام بها وبالمدينة القديمة قبل سنة 437م (يوسف، ع. 2006-2007: 353-355). إن زوال هذه الكنيسة المسيحية يكون بسبب أشغال بناء مرفق جديد مكانها، فالراجح أنه وبغرض سقي البساتين الموجودة بالمدينة، تم إنشاء بناء لتخزين المياه القادمة من النهر الذي يشق المدينة، ويذكره البكري فيقول:"وداخل القصر جامع وصهريج (يقصد الخزان المائي) كبير يقع فيه نهرها (أي يصب فيه)، ومنه تسقى بساتينها" (البكري، ع. 2003: 228) ولا نعلم تاريخ أو صاحب فكرة إنشاء هذا الخزان المائي، لكن في الغالب قد يكون سببه قحط قد أصاب المدينة، أو إلى تراجع أهميتها السياسية والاقتصادية ما بعد القرن الرابع هجري بتحول قاعدة الزاب إلى المسيلة (الطاهر، ط. 2011: 132)كما يمكن إضافة نظرية تخريبها من قبل الهلاليين في هجراتهم التي بدأت مع النصف الأول من القرن الخامس هجري، مثل مثيلاتها القلعة والمسيلة وأشير (عمارة، ع.2011: 74-86).

5-لقد تم الإشارة إلى إنشاء أبواب لمدينة طبنة حمل كل باب منها تسمية معينة، فباب خاقان يرتبط بباب الفتح بسماط(سور) يشق المدينة من الباب إلى الباب كما لها باب تهوذا و الباب الجديد و باب كتامى (البكري، ع. 2003: 228) (الطاهر، ط. 2011: 128-129). إن هذا العدد الكبير من الأبواب، يبرز بحق مكانة هذه المدينة واتساعها، لكن عن سبب هذه التسميات، فلا نعلم عنها شيئا، ومن المرجح أنها قد تكون مفسرة لاتجاهات معينة لهذه الأبواب، أو قد تكون تسميات تذكارية كاسم مكان الدخول إلى الحصن عند فتحه، أو اسم شخص كما في باب خاقان، ولا يهمنا سبب التسمية، بعكس أهمية العدد الكثير للأبواب (الطاهر، ط. 2011: 128-129).

من المؤكد أن دراسة " M. Blanchet"، قد تكون ارتكزت بنسبة كبيرة على مسالك وممالك البكري، مع إضافته لبعض القياسات التي وقف عليها في المدينة الأثرية فقط، وانطلاقا من دراسته التي سبق ذكرها، فقد قدم لنا مخططا للمدينة الاسلامية، (Blanchet, M. 1900: 288) بعد سلسلة التغييرات الجذرية التي حدثت بها، نوردها في الشكل الآتي:

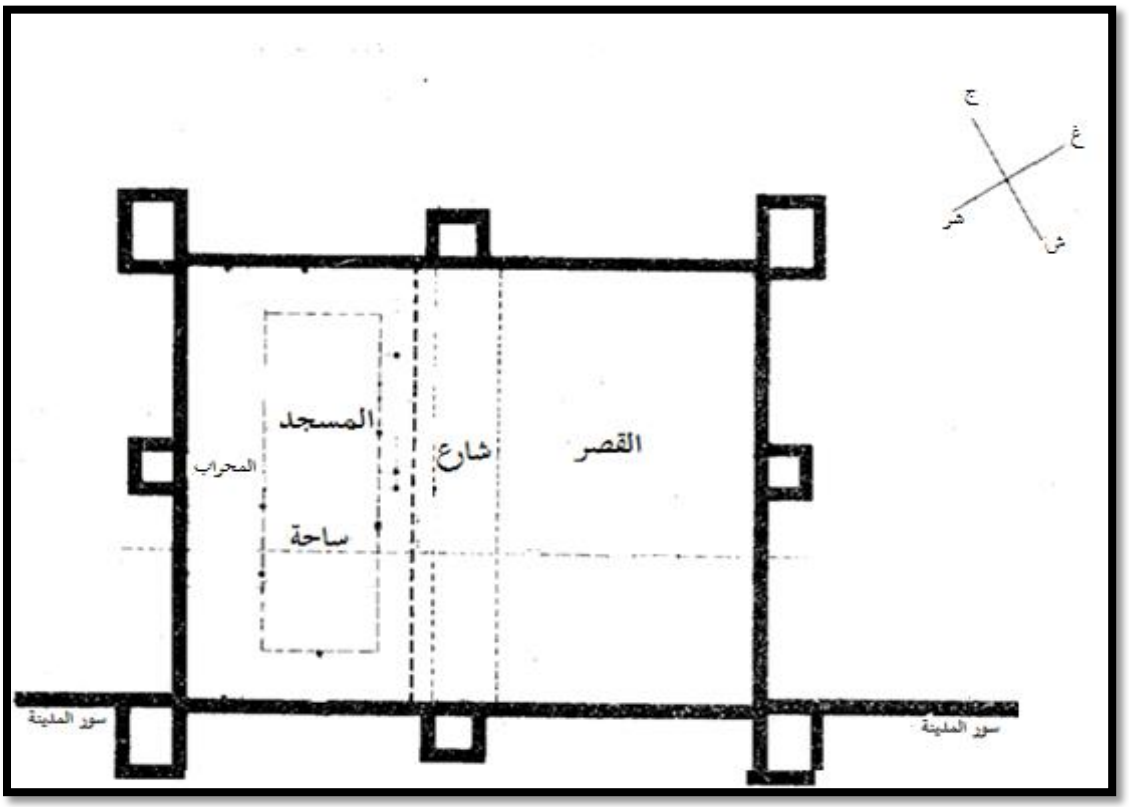

الشكل رقم03: تخطيط العمارة الاسلامية لمدينة طبنة الزاب

الخاتمة:

من خلال ما مر بنا نخلص إلى أن مدينة طبنة قد تم إنشاؤها من قبل الرومان على الأرجح سنة 98 ميلادية، في مكان جد مميز، تمثله مسالك تربط الأوراس بالحضنة و الزاب، و مثلت المدينة حتى العهد البيزنطي مدينة وحصنا قطعت به الطريق أمام ثورات الجماعات المحلية، بل مركز قيادة لخط الليمس الدفاعي.

أن طبنة قد اكتست مكانة جد هامة ببلاد الزاب ما بعد الفتح الإسلامي، فحصنها اتخذ مقرا وعاصمة لقاعدة الزاب الجديدة –طبنة-؛ خلال العصرين الأموي والعباسي، حافظوا بها خلالها على نفوذهم السياسي-المذهبي، بصد امتداد جذور الجماعات الاباضية-الصفرية باتجاه الشرق.

أن طبنة الزاب قد مستها مجموعة من التحولات، كان أولها في الطوبونوميا (اسم الموقع)، أين تم التخلي بشكل كلي عن التسمية العرقية اللاتينية، أو بمعنى أصح تعريب للطبونيم (إسم الموقع) دون تغييره ، لتتحول إلى المدينة بتسميتها الاسلامية- العربية "طبنة"، ويلاحظ هذا التحول في اغلب أسماء المواقع الموروثة عن العهدين الروماني و الوندالي-بيزنطي، على انه تم تعريب أسماء هذه المدن و المواقع بشكل كامل.

أن المدينة العربية-الاسلامية قد مثلت تواصلا مع المدينة القديمة، مع إدخال فن العمارة الإسلامية بهذه المدن على غرار طبنة، و التي أضيف لها جامع، ومقبرة ومصلى، وخزان مائي"صهريج"، في حين تم التخلي عن الكنيسة التي اندثرت ليحل محاها مرفق جديد ممثلا في الخزان المائي. إضافة إلى ذلك تم إنشاء مصحة، ولغالب أنها شيدت ما بعد القرن الأول هجري، أي بعد تمام الفتح والاستقرار بالمنطقة.

غلب استمرار أغلب المسالك القديمة التي ربطت طبنة بباقي المدن: الزاب-الأوراس-الحضنة؛ في حين نلحظ بروز مسالك ودروب جديدة نتجت في الغالب عن تأسيس مدن جديدة ببلاد الزاب خلال تواجد الكيانات السياسية ببلاد الزاب، فبظهور المسيلة، القلعة، نلحظ امتداد المسالك بين طبنة حتى عاصمة الحماديين بجاية، وإلى عاصمة الفاطميين الأولى ما بين ميلة وسطيف، وغيرها من الدروب الجديدة، والتي كان لها دور في استمرارية الحركة التجارية من جهة، والحياة الثقافية والعلمية من جهة أخرى، إضافة إلى مزايا أخرى لهذه المسالك الجديدة.

والأكيد أن هذه الدراسة تكون قد أماطت اللثام عن الكثير من الجوانب الجغرافية والحضارية لطبنة الزاب، مع ضرورة البحث أكثر لإضافة ما نقص في هذا البحث المتواضع، ونقصد استكمال الدراسة في هذا المجال الخاص بالمسالك والعمران ما بعد القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع.

المصادر والمراجع

✓ **المصادر:**

- ابن الفضل صاحب حماة، عماد الدين. (1830). كتاب تقويم البلدان (د ط). باريس: دار الطباعة السلطانية.
- ابن حوقل، النصيبي. (1992). صورة الأرض (د ط). بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- ابن خياط، خليفة. (1985). تاريخ خليفة بن خياط(ط2). الرياض:دار طيبة للنشر و التوزيع.

- ابن عبد الحكم،عبد الرحمن. (1999). فتوح مصر و المغرب (د ط). القاهرة: شركة الأمل للطباعة و النشر.
- الإدريسي، الشريف. (2002). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (د ط). مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
- اليعقوبي، أحمد. (1892). البلدان (ط1). ليدن: مطبعة بريل.
-البكري، عبد الله (2003). المسالك و الممالك (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
-القاضي النعمان، أبو حنيفة. (1970). افتتاح الدعوة (ط2) .بيروت: منشورات دار الثقافة.

✓ **المراجع:**

أ-بالعربية:

1-الكتب:

- الطالبي، محمد. (1985). الدولة الأغلبية التاريخ السياسي-184-296 هـ/800-909م- (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الطاهر، طويل. (2011). المدينة الاسلامية و تطورها في المغرب الأوسط(من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس) (ط1). الجزائر: مطابع حسناوي.
- جعيط، هشام. (2004). تأسيس الغرب الإسلامي -القرن الأول و الثاني هـ/السّابع و الثامن م- (ط1). بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر.
- حسن، محمد. (2004). الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/VII-XV م (ط1). ليبيا:دار الكتب الوطنية.
- صفر، أحمد. (1959). مدنية المغرب العربي في التاريخ (عشرون قرنا من تاريخ افريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي) (د ط). تونس: دار النشر بوسلامة.
- غوتييه، أ.ف. (2010). ماضي شمال إفريقيا (د ط). تامنغاست: مؤسسة توالات الثقافية.
- مؤنس، حسين. (د.ت). فتح العرب للمغرب (د ط). مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

2-الدوريات و المجلات و الرسائل الجامعية:

- سليماني، سعاد. (2014). الملف الأثري لموقع زابي-معطيات جديدة-. مجلة آثار بالجزائر، (11)، 55-73.
- عشي، علي. (2011). الجيش الرستمي دعوى الغياب و مقتضى الحضور". مجلة الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، الجزائر، (12)، 103-125.
- عمارة، علاوة. (2011). الهجرة الهلالية و أثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب . المجلة الخلدونية ببسكرة، الجزائر، (09)، 74-86.
- عمارة، علاوة. (2016). التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي". مجلة تراث الزيبان بسكرة-الجزائر. (01)، 12-21.
- عيبش، يوسف. (2007/2006). الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلاد المغرب، أثناء الاحتلال البيزنطي. أطروحة دكتوراه دولة، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر.
- محمد، قويسم.(2011). مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط. دورية كان التاريخية، (13)، 55-62.

ب- بالأجنبية:

- Grange. Raoul.(1902). Monographie de Tobna (Thubunae). Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département, Constantine-Algérie, N°35, 1-97.

-A-L, Delattre. (1988). Excursion dans le Zab occidental . Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département, Constantine-Algérie, 4eme vol de la 3eme série, 195-209.

-Albertini, Eugène. (1931). Le réseau routier de la Numidie méridionale. séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 75e année, N. 4,France, 363-370.

-Jean, Baradez.*(1949).* Fossatum Africae. Recherches aériennes *sur L'*organisation des confins sahariens *à* l'époque romaine. Paris: Arts et Métiers graphiques.

-M, Blanchet.(1900). Excursion Archéologique dans le Hodna et le Sahara. Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département, Constantine-Algérie, N°33, 284-319.

-Paul-Louis, Cambuzat. (1986). L'évolution des cités du Tell en Ifriqiya du 7e au 11e siècle, Algérie: Office des publications universitaires.

تاريخ الاستلام: 2016/11/13- تاريخ التحكيم: 2017/03/09 -تاريخ النشر 2017/06/30

دور نقابة الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تدويل المشكلة الجزائرية: الجامعة العالمية للنقابات الحرة أنموذجا

د.عيسى لتيم

جامعة باتنة1- (الجزائر)

ملخص

إن هذه المقالة ، تبرز جانب مهم في نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين خدمة للقضية الوطنية، في اتجاه الجامعة العالمية للنقابات الحرة وجهوده في دفعها نحو تبني القضية الجزائرية نظرا للمكانة الدولية الكبيرة التي تحتلها هذه الأخيرة، ليس في أوروبا فقط بل في أمريكا، إفريقيا وآسيا، فهل وفق في ذلك وما موقف الجامعة العالمية للنقابات الحرة من المشكل الجزائري

الكلمات المفتاحية: الاتحاد العام للعمال الجزائريين، القضية الجزائرية، الجامعة العالمية للنقبات الحرة

Résumé

Cet article est modeste, un aspect important de l'activité de l'Union générale des travailleurs algériens servir la cause nationale, dans la direction de confédération libre de syndicats mondiaux et ses efforts pour pousser vers l'adoption de l'affaire algérienne en raison de la grande position internationale occupée par ce dernier qui, non seulement en Europe mais aussi en Amérique, en Afrique et en Asie,

-key words : l'Union générale des travailleurs algériens, la question algérienne, C.I.S.L

مقدمة

لقد كان قرار جبهة التحرير إنشاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين، مرتبطا ارتباطا وثيقا بالتوسع العام لكفاح التحرير واستجابة لتطلعات الطبقة العاملة الجزائرية في تأسيس نقابة خاصة بهم، ورغبتها في الإسهام وفق إطار منظم وفعال في الكفاح التحريري الذي يقوده الشعب الجزائري.

ساهم الاتحاد العام للعمال الجزائريين بفصل سياسة الرشيدة المتفتحة على جميع التنظيمات النقابية في العالم، من كسب تأييد الطبقة العاملة في العالم للقضية الجزائرية، خاصة مساعدة العمال اللاجئين في تونس والمغرب والمرافعة عن الجرائم التي ترتكبها فرنسا في الجزائر.

هذه المقالة ستقتصر على دراسة جهود الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تدويل المشكل الجزائري على مستوى الجامعة العالمية للنقابات الحرة، وموقف هذه الأخيرة من القضية الجزائرية، عبر تتبع مواقف النقابات المنضوية تحت لوائها: نقابات المغرب الغربي،النقابة الأمريكية ثم الجامعة العالمية للنقابات الحرة

في مختلف اجتماعاتها ومواقفها من عام 1956– إلى عام 1962، ولتوضيح ذلك كله بنوع من الموضوعية سنعتمد على المنهج التاريخي ،والمنهج المقارن ، ومنهج تحليل النظام السياسي الدولي،وسنستعين في ذلك كله على وثائق تم الحصول عليها من أرشيف ما وراء البحار، ومقالات من جريدة المجاهد، بالإضافة إلى بعض الدراسات المتخصصة

نشأة وهيكلة الاتحاد العام للعمل الجزائريين.

تأسس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956 بالجزائر ، وكان أقوى مركزية نقابية جزائرية محضة، أحرزت منذ البداية على تأييد جبهة التحرير الوطني، وشاركت في دعم النضال التحرري الجزائري، حسب الخطة المرسومة من طرف جبهة التحرير الوطني . (زادرافكو، ب، 2011 :265)

ارتبطت هيكلة الاتحاد العام للعمال الجزائريين، بهيكلة جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، سواء بالداخل أو بالخارج.

– على الصعيد الداخلي ارتبط أعضاءه بجيش التحرير، ونقلوا عنه هيكلته، فامتدت فروعه من الولاية إلى المنطقة إلى الناحية، أما على الصعيد الخارجي فلم تعرف حتى الوزارة التي كانت وصية عليه

من تاريخ إنشائه في فيفري، سير الاتحاد العام للعمال الجزائريين من طرف سكرتاريا من خمسة أعضاء، تضم عناصر انتقلت من الكنفدرالية العامة للشغل (CGT)، وبحلول مارس 1956 تحددت معالم الهيكلة بصورة أكثر دقة، وكانت في مجملها صورة طبق الأصل عن هيكلة الكنفدرالية العامة للشغل إذ تشكلت المركزية من:

– نقابي المؤسسات والوراشات

– الاتحادات المحلية

– الاتحادات الإقليمية الخاصة بالمناطق

– الاتحادات الوطنية الوظيفية

– بعد إلقاء القبض على عناصر من السكرتارية العامة أصبحت تنظيمات إدارة الاتحاد العام للعمال الجزائريين تتكون من:

– لجنة تنفيذية مكونة من 43 عضو

– مكتب الجزائر، ويضم سكرتارية بها مكلفين بالخزينة، وتنظيم وتعليم الإطارات إضافة إلى العديد من الممثليات تختص بالتجنيد، الدعاية، الصحافة

– سكرتارية النيابة

– لجنة رقابة (A.O.M18F/109)

بداية من عام 1957 دعي الاتحاد لمساندة الدعوة إلى الإضراب العام، لمدة 8 أيام الذي أعلنته جمعية التحرير الوطني لدعم طرح القضية الجزائرية في الأمم المتحدة في جانفي 1957، وقد صرح على إثره

"رشيد عبد العزيز السكرتير العام، لمبعوث إذاعة طنجة" أن الاتحاد لن يقبل بأي شرط تصنعه فرنسا أمام المفاوضات وأن الحل الوحيد لوقف إطلاق النار هو القبول بتأسيس حكومة، ستكون كفيلة بمناقشة ذلك، كما طالب في تصريحه باعتراف الحكومة الفرنسية بالاتحاد العام للعمال الجزائريين وإطلاق سراح التابعين له. (A.O.M.81F/ 109,IBID)

نتيجة لظروف إضراب الثمانية أيام وما نتج عنه، تعرض الاتحاد إلى موجة اعتقالات شديدة وإغلاق لمقراته وملاحقات قضائية للعديد من مسيريه، وفرض الإقامة الجبرية على آخرين، وهو ما أدى إلى خلق ممثليه خارجية لهذا التنظيم، اتخذت من تونس مقرا لها، بساحة محمد علي هاتف رقم 347/370، كان من أعضائها في أكتوبر 1958 "مولود قايد" خلفا لعبد العزيز رشيد، أما الأمانة العامة فقد ضمت السادة: سافي بوديسة، أحمد دمرجي، دحمون دكار، أمبارك جيلالي عبد القادر، معاشو، كما أنشأ الاتحاد في مارس 1957 الوداية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا بدافع تنظيم العمال المغتربين في العمل التحرري الذي نقوده جبهة التحرير الوطني، وأعلن الاتحاد خلال هذه الفترة عن عدد 150.000 عامل منظم في 100 نقابة تابعة له مقابل 96.000 خلال عام 1956. (A.O.M.81F/ 109,IBID)

أهداف الاتحاد العام للعمال الجزائريين مرتبطة بالطبع بأهداف جبهة التحرير الوطني، تشمل تدويل المشكلة النقابية الجزائرية والتجنيد الفعال لكل عمال العالم من أجل تأييد قضية الشعب الجزائري المكافح، ولتجسيد هذه الأهداف تبني الاتحاد سياسة واقعية برغماتية متفتحة تتناسب مع ظروف الحرب الباردة، وتقوم على المحافظة على علاقات مع جميع المركزيات النقابية في العالم التي تبدي استعدادا لدعم كفاح الشعب الجزائري بغض النظر عن انتماءاتها الإيديولوجية

فبالرغم من انضمامه المبكر إلى الجامعة العالمية للنقابات الحرة فقد أعلن في مناسبات عدة على مبدأ ثابت هو " أن ذلك لا يجب أن يفرض علينا قطع العلاقات مع قسم هام من الطبقة العمالية وأن ندير ظهرنا باحتقار لنصف الإنسانية (زادرافكو، ب، مرجع سابق :271)

✓ **انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين للسيسل، الخلفيات والأهداف:**

تأسست هذه الفدرالية بتاريخ 7 ديسمبر 1949 من قبل النقابات الرافضة للفدرالية العالمية للنقابات المهيمن عليها من طرف الشيوعيين، تضم في صفوفها 225 عضوا من 148 بلدا، كانت هذه الجامعة تسعى إلى التصدي لتيار الشيوعية التي أصبحت تهيمن على جزء هام من العالم.

وتؤمن بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وبأن التخلص من الاستعمار مرحلة أساسية لا يمكن بدونها أن يتحقق التحرر الاجتماعي.(رشيد،ح، 2013: 392)

لما كان الاتحاد العام للعمال الجزائريين منذ تأسيسه في 24 فيفري 1956 في طليعة النضال الوطني التحرري ضد الاستعمار، إيمانا منه أن تحقيق الاستقلال السياسي شرط أساسي لوضع حد للاستغلال

الاقتصادي، ونتيجة للمبادئ التي تؤمن بها السيسل، والتي توافقت مع مبادئ وأهداف وتوجهات الاتحاد العام للعمال الجزائريين، أعلن هذا الأخير انخراطه فيها والتزامه بميثاقها، واعتبرت قيادته ذلك انتصارا سياسيا للمركزية النقابية في الجزائر ولجبهة التحرير الوطني.(سالم، ب،1986 :67)

وبررت انضمامها إلى الجامعة العالمية للنقابات الحرة بما يلي:

- تكذيب وتفنيد الإشاعات التي مفادها أن الاتحاد العام مركزية شيوعية في خدمة موسكو. (محمود ، ا، 2013 :183)

- الرغبة في كسب الطبقة العاملة في المعسكر الغربي للفصيلة الجزائرية، بعد أن ضمنت مبدئيا تأييد الطبقة العالمة في الكتلة الشرقية.(سليمان، ش،بسط: 516)

- الرغبة في تكوين جبهة مغاربية موحدة بسبب تواجد الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد المغربي في السيسل.

- احتلال فدرالية القوة العالمية القريبة من حكومة غي مولي لمكانة هامة في السيسل مما يجعل الاتحاد يبحث عن إظهار الحقائق حول الواقع الذي نشوهه هذه الأخيرة.(محمد ، ا، مرجع سابق :183)

ويتضح من هذا أن اختيار الاتحاد العام للعمال الجزائريين لورقة الجامعة العالمية للنقابات الحرة كان اختيار استراتيجيا، سيمكن الاتحاد العام للعمال الجزائريين من تحقيق مكاسب كبيرة للقضية الجزائرية، نظرا للمكانة التي تحتلها هذه النقابة ليس على المستوى الغربي فقط بل على مستوى آسيا، وإفريقيا، وأمريكا، هذا إلى جانب قطع الطريق على الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين الموالي لحركة مصالي الحاج، من تكريس علاقاته مع هذه النقابة، وحسر مجال تأثيره في الجامعة العالمية للنقابات.

✓ **الاتحاد العام للعمال الجزائريين ونقابات شمال إفريقيا:**

تبنى الاتحاد العام للعمال الجزائريين نفس اهتمامات جبهة التحرير، بتأكيده عبر مواثيقه الرسمية على مبدأ وحدة العمل النقابي في شمال إفريقيا، حيث ورد في إحدى بياناته ما يلي:« إن منظمتنا تعمل دون توقف على تقريب وجهات النظر في أوطان الشمال الإفريقية ولإيجاد تصميم اقتصادي واجتماعي وسياسي لإفريقيا الشمالية كلها.(المجاهد، عدد 11)

في إطار السعي لتوحيد الحركة النقابية الشمال إفريقية، وإشراك العمال في تحرير شمال إفريقيا من جميع التقييدات الاستعمارية والنهوض بواقعها الاقتصادي والاجتماعي، عقد المؤتمر النقابي الشمال إفريقي في طنجة أيام 20– 21– 22 أكتوبر 1957 بمشاركة ممثلين عن الاتحاد المغربي للشغل، والاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد التونسي للشغل والاتحاد الليبي للشغل، واستعرض المؤتمر في بداية أشغاله نشاط الاتحادات، وسير التطور السياسي والاقتصادي في الأقطار المغاربية الأربعة، وعلاقات النظام النقابي الشمال إفريقيا مع المنظمات النقابية الأجنبية والدولية.

شكلت القضية الجزائرية –وهذا بالطبع مرتبط بالمكانة التي يشغلها الاتحاد العام للعمال الجزائريين بين النقابات المغاربية– محور اهتمام المؤتمر، وتوصل إلى فكرة أن حرب الجزائر هي العامل الأساسي للتوتر السائد على العلاقات الفرنسية المغاربية، ومصدر الاضطراب الدائم، والعامل الذي يعرقل التطور الاقتصادي والاجتماعي لشمال إفريقيا وهي فوق ذلك يشكل حضرا كبيرا على الأمن والسلام في العالم.

جاءت اللائحة التي صادق عليها المؤتمر في مستوى هذا الفهم و الوعي النقابي لمشاكل شمال إفريقيا، إذ نصت بشأن المشكلة الجزائرية على ما يلي:

– يلاحظ المؤتمر أن السياسة الفرنسية في الجزائر لم تقر حسابا لتوصيات الأمم المتحدة في جلستها الحادية عشر، ولا بمقررات الاتحادية الدولية للنقابات الحرة في مختلف اجتماعاتها، وان الحكومة الفرنسية مندفعة بإصرار في سياسة القمع الوحشي ضد مجموع السكان الجزائريين من هتك جميع الحريات الفردية والجماعية، والاعتقالات والتعذيب ضد شعب يكافح من أجل استقلاله.

– يؤكد ما تتمسك به الطبقات الشمال إفريقية العاملة من إرادة ثابتة لمضاعفة نشاطها من أجل استقلال الجزائر ويدعوا جميع العمال إلى إحياء فاتح نوفمبر وهو يوم ذكرى الثورة الجزائرية.

– يلح بقوة على كل الاتحاديات الدولية للنقابات الحرة لكي تسعى لدى الحكومة الفرنسية وجميع المنظمات الدولية في سبيل إيجاد حل للمشكل الجزائري طبقا لتقرير مؤتمر تونس وتطلب منها أن تنظم يوم تضامن في فائدة الجزائر.

– يطلب من الأمم المتحدة إدانة السياسة التي تسلكها فرنسا في الجزائر وإعلانا صريحا لحق الشعب الجزائري في الاستقلال طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ودعوة الحكومة الفرنسية لتحرير جميع المعتقلين النقابيين والسياسيين ومنهم ضحايا عملية القرصنة التي قامت بها السلطات الفرنسية يوم 10/22 1956 دون مراعاة للقانون الدولي.

صاغ المؤتمر برنامج متكامل لتنمية اقتصادية واجتماعية في شمال إفريقيا، الذي يمر عبر التخلص من نظام الميثاق الاستعماري واستغلال الإمكانيات المتوفرة، ويمكن تلخيص محاوره في النقاط التالية:

– تحرير التجارة الخارجية من الاحتكار الأجنبي، وتنمية المبادلات التجارية مع جميع البلاد.

– تنمية العلاقات الاقتصادية بين أقطار الشمال إفريقي وتقرير سياسة جمركية مشتركة.

– يؤكد أن الصحراء جزء لا يتجزأ من أقطار الشمال الإفريقي الأربعة، يجب تحريرها واستثمارها استثمارا مشتركا.

– وضع نظام اجتماعي موحد، يأخذ بعين الاعتبار حقوق العمال، مع الاهتمام بمراكز التكوين المهني.

– حرية التعبير والاجتماع.

– التأمين الاجتماعي، وتوسيع مجاله ليشمل السكن، المنح العائلية.

- توفير فرص العمل، وإجراءات التقاعد، ولعطل المدفوعة الأجر.

وفي المجال الدولي أكد المؤتمر تضامه مع جميع عمال العالم الذين يكافحون من أجل التقدم الاجتماعي والحرية، ويجدد دعوته إلى الوحدة النقابية في العالم تحت إطار الاتحادية الدولية للنقابات الحرة. (المجاهد ، عدد 12)

عبر هذا المؤتمر على الوعي الذي بلغته التنظيمات النقابية الشمال إفريقية بتفهمها لتحديات المرحلة التي تمر بها المنطقة، وكشفت عن استعدادها للإسهام في المشروع الذي تخوضه شعوب المنطقة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية الذي يمر أولا قبل كل شيء بالقضاء على جو الخوف والاضطراب الناتج عن حرب الجزائر.

تعززت مكانة الاتحاد العام للعمال الجزائريين، والقضية الجزائرية مغاربيا في مؤتمر جنيف النقابي يومي 8 و 9 مارس 1958 الذي ضم المنظمات النقابية الأربعة، تحت إشراف الجامعة العالمية للنقابات الحرة. (المجاهد ، عدد 22)

الذي تحول الى محاكمة حقيقية للجامعة، حيث اجمع ممثلوا تلك المنظمات على اتهامها بعدم اتحاد مواقف شجاعة وإجراءات أكثر فاعلية وبأنها لم تستخدم دائما كل ما لديها من إمكانيات لدعم القضية الجزائرية، كما اتهموها بأنها لم تندد بالشدة وبالسرعة المطلوبين اعتداءات السلطة الفرنسية على قرية سافية سيدي يوسف في 1958/12/8، ردا على أعمال الثوار الجزائريين على الحدود التونسية الجزائرية، وبأنها لم تتخذ موقفا ضد قرار تلك السلطات في 1958/02/09 إقامة "المنطقة العازلة" وبأن المساعدات التي تقدمها للاجئين الجزائريين في تونس والمغرب غير كافية، ودعا ممثلو تلك المنظمات السيسل إلى اتخاذ موقف الهجوم ومساعدة شعوب المغرب الغربي ومنظماته النقابية على حل مشاكل هذه المنطقة "غير قابلة للتجزئة" مؤكدين أن عمال المغرب الغربي وخاصة الجزائريين، بدأوا يفقدون الثقة في "العالم الحر" وفي الحركة النقابية الحرة، وأن شعوب المغرب العربي ستجد نفسها تحت ضغط الأسلحة الغربية مضطرة إلى عدم التمييز بين الجنرال "فرانكو" ومتحدثين آخرين باسم "العالم الحر" من بينهم قادة المنظمات النقابية الغربية وأن قيام الغرب بتقديم المساعدات لفرنسا في حربها على الجزائر سيؤدي إلى عدم التمييز بين السيسل والحكومات الغربية، وأن موقف الجامعة من القضية الجزائرية المتسم "بالتقصير والتردد" يتناقض مع إرادة شعوب المغرب العربي وقضيتهم المشتركة "القضية الجزائرية"، وأن وجود تلك الجامعة في المغرب مهدد بالزوال.(سالم ، ب، مرجع سابق:88-89)

وفي ختام المؤتمر طالب المجتمعون فرنسا بوضع حد للحرب الدائرة في الجزائر، والاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال، والإقرار الفوري لكافة الحريات، وإطلاق سراح جميع الوطنيين الجزائريين المعتقلين أو المسجونين بسبب مشاركتهم في الحركة التحررية، والبدء بإجراء مفاوضات بينها وبين جبهة التحرير الوطني بصفتها الممثل الشرعي للشعب الجزائري، على أساس الاعتراف للشعب الجزائري بحقه في

الاستقلال واحترام حرية جميع السكان في الجزائر ومصالحهم، وأعرب المؤتمرون عن يقينهم بأن السلام العالمي والعلاقات بين المغرب الغربي سيظلان معرضين للخطر مادام الشعب الجزائري لم ينل استقلاله.(المجاهد، عدد 12، مرجع سابق)

وأدى هذا الموقف الموحد، الذي اتخذته المنظمات النقابية المغاربية في هذا المؤتمر إلى دفع الجامعة العالمية للنقابات الحرة على إعلان التزامها بتنفيذ قرارات المؤتمر المتعلقة بالقضية الجزائرية، واتخاذ الإجراءات اللازمة لإجبار الحكومة الفرنسية على إطلاق سراح المعتقلين الجزائريين والعدول عن قرارها إنشاء المنطقة العازلة، كما حثت الجامعة جميع المنظمات النقابية المنخرطة فيها من أجل الضغط على حكوماتها لمطالبة السلطات الفرنسية بالشروع في إجراء مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني لإنهاء الحرب في الجزائر

لتوضيح المسألة أكثر نشرت جريدة المجاهد مجهودات الجامعة العالمية للنقابات الحرة، استجابة لمؤتمر جنيف نوجزها فيما يلي:

1) بعث الكاتب العام الجامعة العالمية للنقابات الحرة، برسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسية يوم 25 مارس 1958 جاء فيها: أود أن ألاحظ لكم فيما يخص مسألة إيقاف النقابيين بأن الجامعة قد اضطرت إلى إحاطة مكتب الشغل الدولي، ببعض التصرفات التي صدرت منكم ضد عدد من النقابيين الجزائريين الذين قبضتم عنهم دون أي ترتيب قضائي وأن مكتب الشغل مع مراعاته للآراء التي عبر عنها مجلسها الإداري خلال دورته 137 و 138 والتي تشير إلى أن النقابيين الموقوفين ألحقت بهم تهم سياسة أو جنائية تعتبرها الحكومة الفرنسية خارجة عن نطاق حركتهم النقابية، إن المكتب الدولي تبعا لهذا يلاحظ وجوب إحالة هؤلاء النقابيين على سلطة قضائية نزيهة للبث في أمرهم، كما أعربت اللجنة الإضافية التابعة لمكتب الشغل عن أملها أن تعيد المحاكم الفرنسية النظر في قضايا هؤلاء الموقوفين وأن تطلق سراح الذين لم يتخذ في شأنهم أي ترتيب قضائي وذلك في أقرب الآجال.

2) استنكرت الجامعة العالمية للنقابات الحرة تكوين المنطقة المحرمة، ورفعت احتجاجا ضد هذه الفعلة غير إنسانية التي تقضي بترحيل حوالي 400.000 ساكن عن أراضيهم وديارهم وصرح الكاتب العام الجامعة بقوله "إن القلق يساورنا ليس فقط لأن 400.000 من الناس قد ينتزعون من أرض أجدادهم بل أيضا المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي قد تنجر عن هذا الإجلاء الجماعي خطيرة كل الخطر، فآلاف المساكن وآلاف الضيعات ستخرب حتما، ما الذي سيحل بعد ذلك بأصحاب تلك الممتلكات بها النساء والأطفال؟ هل سيجدون مأوى يلجؤون إليه....؟

وفي هذا الإطار كونت الجامعة لجنة تحقيق من السادة ألم . باتيت (بلجيكا) وبرتاسكوني (سويسرا) وباييني (إيطاليا) ، سافرت هذه اللجنة إلى تونس، حيث زارت بصفة مندوبين عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين والاتحاد العام للشغل مراكز تجمع اللاجئين الجزائريين، في عين دراهم، ساقية سيدي

يوسف، سبيطلة.....وفي ختام هده الجولة نظم رئيس الوفد، ألم باتيت ندوة صحفية جاء فيها « لقد قمنا بزيارة مخيمات اللاجئين في عين ببوش، وعين حمودة، قرية سافية سيدي يوسف وما فيها من مشردين، وقد أمكننا أن نرى بأعيننا بؤس هؤلاء المساكين، كما أطلعنا على الظروف التي أجبروا فيها على مغادرة بلادهم، وقد تباحثنا مع السلطات ومع المسؤولين النقابيين قبل الرجوع إلى عاصمة تونس إن الوضعية الجدية التي يعيشها اللاجئون لم تستقر بعد وهي أبعد من تستقر.

3) وضع صندوق التضامن الذي تقرر تأسيسه خلال مؤتمر تونس تحت تصرف العمال اللاجئين وعائلاتهم إعانة مالية أولى لمساعدتهم لمدة 6 أشهر، قدرها 15 مليون فرنك، كما وعد برناسكوني بتسديد منحة قدرها 07 ملايين يدفعها الصندوق السويسري للإعانة الخارجية.

– أرسل الكاتب العام للجامعة العالمية للنقابات الحرة بتاريخ 24 مارس 1958 إلى جميع المنظمات المنخرطة في الجامعة منشورا جاء فيه" نظرا لخطورة الحالة في الجزائر وآثارها السيئة على الأقطار المجاورة فإن اللجنة الفرعية قد قررت أن تطلب من جميع المنظمات في الجامعة أن تقوم بكل المجهودات لإعلام حكوماتها المختلفة والحكومة الفرنسية أيضا بمدى تأثر النقابات الحرة من سوء الحالة في الجزائر، كما طلبت اللجنة الفرعية من نفس المنظمات أن تصرح بتأييدها للسياسة التي سلكتها إلى الآن جامعة النقابات الحرة فيما يخص الجزائر وأن تعبر عن أملها في أن يجعل حد للحرب الجزائرية، فليس للجامعة للنقابات الحرة من غاية في الجزائر سوى إنهاء الحرب الإجرامية والبحث عن وسيلة تمكن الفرنسيين والمسلمين من التعايش السلمي في إفريقيا الشمالية.(المجاهد عدد ، 22، مصدر سابق)

✓ **الاتحاد العام للعمال الجزائريين والسيسل:**

تميزت العلاقات بين الاتحاد العام للعمال، والسيسل طوال فترة (1956– 1962) بالالتباس بسبب تباين الرؤى والمواقف بين الطرفين حول حدود هذه العلاقة، في مرحلة تتميز بالتنافس المحتدم بين السيسل والجامعة النقابية العالمية؛ فالاتحاد العام للعمال الجزائريين كان برغماتيا في علاقته مع الجامعة العالمية للنقابات الحرة، ولم يكن انضمامه إليها على أساس أيديولوجي، بل من أجل الحصول على دعمها ومساندتها لنضاله ضد الاستعمار الرأسمالي والهيمنة الاستعمارية الفرنسية، وعلى تأييد المعسكر الغربي لصالح القضية الجزائرية، وكان يرى أن انخراطه في الجامعة لا يجب أن يحول دون حريته في إقامته علاقات طبيعية– خارج إطارها– مع المنظمات النقابية الأخرى في العالم لكسب المزيد من الأنصار والمؤيدين له ولقضية بلاده.(سالم، ب، 2013 :47)

وشرح هذه الحقيقة في المجلة الناطقة باسمه في العدد الصادر بتاريخ 1 نوفمبر 1958 قائلا: نحن منتسبون إلى السيسل صحيح ولكن النقابة الحرة ليست بالنسبة لنا جدارا حديديا وأنه ليس من حقنا رفض أية مساعدة، وعدا ذلك فنحن مع إعادة الوحدة إلى كل الحركة العمالية في العالم.(سليمان، ش، مرجع سابق:517)

في حين ترى الجامعة العالمية للنقابات الحرة في ذلك عدم انضباط من الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وتخشى أن تواصله مع منظمات نقابية شيوعية تسرب الأفكار الشيوعية إلى صفوفه، وبالتالي تحويل وجهته نحو الجامعة النقابية العالمية والمعسكر الاشتراكي، وقد مثل ذلك هاجساً كبيراً بالنسبة إلى الجامعة، وأدى إلى توتر العلاقات بينما وبين الإتحاد وتجلي ذلك في مناسبات عديدة نذكر منها على سبيل المثال: (سالم ،ب، 2013 :47)

حينما شارك الإتحاد العام للعمال الجزائريين في اجتماع نقابي خارج إطار الجامعة العالمية للنقابات الحرّة " لنصرة الجزائر"، المنظم بالقاهرة من 12 إلى 15 سبتمبر 1958 تحت إشراف الإتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، عبرت الجامعة عن استيائها من تلك المشاركة بدعوة أن أغلب الوقود المشاركة فيها شيوعية أو ذات سيول شيوعية، معتبرة ذلك الاجتماع مثالا حياً على التكتيك الشيوعي الذي يتمثل – حسب زعمها – في استغلال قضية عادلة لتحقيق غايات ومصالح خاصة واتهمت الإتحاد الدولي للنقابات العمال العرب بأنه "تحول إلى جبهة شيوعية إضافية "(A/.O.M 81F/144)

سعى الإتحاد العام للعمال الجزائريين إلى تبديد مخاوفها عند ما برر قبول حضوره في اجتماع القاهرة، بأنه لا يحق له رفض مساعدة مادية يحتاجها اللاجئون الجزائريون في تونس والمغرب. الذين كانوا يعيشون أوضاعاً إنسانية سيئة وأن هذه المشاركة لا يمكن اعتبارها توجها للإتحاد نحو المعسكر الاشتراكي وأكد التزامه بميثاق الحركة النقابية الحرة(revue L Ouvriere algerien)، وتمسك بموقفه السابق، أن هذا الالتزام لا يمكن أن يتحول إلى ستار حديدي يعزله عن جزء هام من الإنسانية لا سيما مجموعة باندونغ التي عبرت عن تضامنها مع القضية منذ مؤتمرها التأسيسي في أفريل 1955، ونفى نفيا قاطعا اعتزامه الانضمام إلى الاتحاد الدولي للنقابات العمال العرب. (سليمان، ش، مرجع سابق : 517)

تابعت الجامعة العالمية للنقابات الحرة بقلق شديد تحركات قادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين واتصالاتهم مع المنظمات النقابية اليسارية، وأدانت الزيارات التي قاموا بها إلى ألمانيا الديمقراطية 2 أكتوبر 1958 وإيطاليا جانفي 1959، وتشيكوسلوفاكيا 1959 وأجروا اتصالات مع المنظمات النقابية في هذه البلدان، وحصلوا خلالها على دعم مالي ومادي لفائدة اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب، كما شارك ممثل عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين في اجتماع الدار البيضاء "ماي 1959 الذي دعت إليه النقابة الدولية للتضامن مع عمال وشعب الجزائر المنبثقة عن اجتماع "نصرة الجزائر" بالقاهرة، وحضره ممثلون عن الجامعة النقابية العالمية والاتحاد الدولي للنقابات العربية، وعبرت السيسل كذلك عن انزعاجها الشديد حينما علمت بأن الاتحاد أرسل ستة من عماله لمتابعة دورة تكوينية في مدرسة للمناضلين النقابيين الأفارقة التي نظمتها الجامعة النقابية العالمية في بودابست بالمجر بداية من 30 أوت 1959 معتبرة ذلك تجاوزا وخروجا عن التزامات المنخرطين في صفوفها.(سالم ، ب، 1986 :48–49)

✓ **مواقف السيسل من القضية الجزائرية:**

رغم الالتباس في العلاقات بين الاتحاد والسيسل، فقد دافعت هذه الأخيرة عن الحركة النقابية الحرة في الجزائر باعتبارها شرطا ضروريا للحياة الديمقراطية ونددت في مناسبات عديدة بالإجراءات القمعية التي اتخذتها السلطات الفرنسية في حق مناضلي الاتحاد العام للعمال الجزائريين خلال سنتي 1956– 1957.

– طالبت من الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتدخل لوضع حد للإجراءات التعسفية الفرنسية في الجزائر، والسماح لحرية العمل النقابي، كما تقدمت بشكوى إلى منظمة العمل الدولية واحتجت لديها بشدة ضد الانتهاك الخطير للحريات النقابية من طرف حكومة عضو في تلك المنظمة، وأبلغت مكتب العمل الدولي بتلك الانتهاكات، واحتجت لدى السلطات الفرنسية في الجزائر على الإجراءات القمعية التي اتخذتها ضد الاتحاد العام للعمال الجزائريين وطالبتها بعودة الحريات النقابية في الجزائر والإفراج عن النقابيين المعتقلين والسماح بحرية الصحافة النقابية وإلغاء كافة الإجراءات التي تعيق النشاط النقابي العادي. (المجاهد عدد 22)

– كما قدمت الجامعة العالمية للنقابات الحرة على إثر اغتيال عيسات ايدير الكاتب الأول للاتحاد العام للعمال الجزائريين، شكوى ضد فرنسا إلى لجنة حقوق الإنسان، بالأمم المتحدة وشكوى إلى مكتب المنظمة العالمية للشغل ل، وطالبت البرقية الموجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تفتح تحقيق نزيه في قضية اغتيال عيسات إيدير.(المجاهد ، عدد 48)

أما موقف السيسل من القضية الجزائرية فقد ساير تطور الأوضاع السياسية في الجزائر وفرنسا، وتزايد الدعم العالمي لهذه القضية من القوى الديمقراطية في العالم خاصة الدول الاشتراكية، ودول الكتلة الأقرو–اسيوية، ومع الضغوط التي مارسها عليها الاتحاد العام للعمال الجزائريين، والنقابات المغاربية لاتخاذ مواقف صريحة وجريئة داعمة لنضال الشعب الجزائري من أجل نيل حريته واستقلاله الوطني، وفي هذا الصدد دعت لجنتها التنفيذية في اجتماعها المنعقد بتاريخ نوفمبر 1956– بخصوص الجزائر– الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الحادية عشرة إلى اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية الكفيلة بوضع حد لإراقة والدماء في الجزائر وإرساء أسس لحل المشكل الجزائري طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان، ولضمان أكبر قدر من الفاعلية لموقفها حثت الجامعة كافة المنظمات النقابية المنخرطة فيها والتابعة للدول الأعضاء في الأمم المتحدة الضغط على حكومتها لدعم هذا الموقف.(سالم ، ب، 1986:63)

صادقت السيسل في مؤتمرها الخامس المنعقد في تونس بتاريخ جويلية 1957 على لائحة دعت فيها طرفي النزاع إلى التعجيل ببدء المفاوضات للتوصل إلى اتفاق حول وقف إطلاق النار على أساس اعتراف

فرنسا بـ "الأمة الجزائرية" وبحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، مقابل تأكيد "الجزائريين" عزمهم على احترام مصالح سكان الجزائر في نطاق الصداقة الفرنسية الجزائرية. (المجاهد، عدد 8)

تشير المصادر أن اللجنة التنفيذية للسيسل قدمت أمام المؤتمر لائحة تؤكد فيها على ضرورة الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها، غير أن المؤتمر رأى أن هذه الجملة تذهب إلى ابعد مما كان يمكنه في الوقت الحاضر من الموافقة عليه، إرضاء للوفد الفرنسي الحاضر في المؤتمر وتجنبا لحدوث انشقاق في صفوف اللجنة اكتفت اللجنة باللائحة السابقة.

غير أن المتأمل في محتواها يجد غياب أية إشارة إلى جبهة التحرير الوطني كهيئة تمثل الشعب الجزائري يجب على فرنسا التفاوض معها، بل اقتصرت على ذكر الشعب الجزائري فكأنه هناك فرق بين الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني الناطقة باسمه والمعبرة بغير منافس عن مطامحه الحقيقية.

وليس هذا هو التناقض الوحيد الذي امتازت به اللائحة بل يمكن أن نلاحظ اضطراب المؤتمر في شأن الجزائر، وتردده بين موقف صارم تجاه فرنسا، كما عبر عنه بعض الوفود، خاصة الوفد الأمريكي بقيادة "ايروين براون" وكما هو كان من المنتظر من هيئة تريد أن تدافع عن مطامح الشعوب وحقوقها، وبين موقف لين يكون بمثابة إنذار لفرنسا.

ومهما قيل عن اللائحة، فيمكن اعتبارها من الناحية المعنوية تعزز مطالب الشعب الجزائري وتؤيد كفاحه في سبيل استقلال بلاده وسيادتها، وما تعيين الكاتب العام للعمال الجزائريين كعضو بالنيابة في اللجنة التنفيذية للجامعة إلا تأكيد لذلك واعتراف بالواقع الملموس، الذي أكده وفد أمريكا اللاتينية عندما صرح قائلا: بعد ثلاث سنوات من كفاح دام عنيف يقوده الشعب الجزائري ليحصل على استقلاله لم يعد هناك مكان للشك أو الريبة، فإرادة الشعب الجزائري وتصميمه على نيل الحرية تبرز بوضوح وقوة لكل واحد منا.

بدخول الحرب في الجزائر عامها الخامس انتقد الاتحاد العام للعمال الجزائريين عدم نجاعة تدخل السيسل والمنظمات النقابية المنخرطة فيها، وعبر عن خيبة أمله وشعوره بالإحباط والمرارة من مواقف العمال في الغرب "أوروبا وأمريكا" تجاه القضية الجزائرية متهما إياهم بالتقصير وعدم الجدية في دعمها؛ حيث لم يتحقق شيء على الإطلاق من تلك اللوائح التي تمت المصادقة عليها بالإجماع في مؤتمر الجامعة بتونس، بخصوص بدء المفاوضات وإنهاء الحرب وشن الاتحاد هجوما عنيفا على العمال الأوروبيين والأمريكيين لأنهم في نظره غير مستعدين للوقوف ضد الحرب الاستعمارية ولم يتخلصوا بعد من الإرث والتقاليد الاستعمارية الراسخة في وجدانهم ويفتقدون إلى الروح النضالية، وأن مساعيهم تقتصر على بعض الهبات النقدية والعينية، وعلى إصدار لوائح خيالية وغير عملية فهؤلاء العمال يفضلون التمتع بما ينعمون به من عيش رغيد ولا يبالون بما تقوم به حكوماتهم الرجعية من جرائم، عوض التصدي لها بقوة والتعبير عن تضامنهم مع العمال الجزائريين واتهم بالخصوص:

– العمال الفرنسيين وقادتهم بالوقوف إلى جانب الرأسماليين والسلطات الفرنسية في حربها ضد الشعب الجزائري بدافع الشعور الوطني.

– العمال والرأسماليين الإنجليز والأمريكان بتزويد فرنسا بأسلحة الحلف الأطلسي الفتاكة ودعم المجهود الحربي الفرنسي.

– قادة المنظمة النقابية البريطاني لأنهم لم يجرؤوا حتى على مجرد طرح مشكلة استمرار الحرب في الجزائر أثناء مشاركتهم في مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في 1958/09/29 بسكار بوروغ بالمملكة المتحدة.

– رئيس المنظمة النقابية الأمريكية الذي لم يمنع حضوره ضمن أعضاء الوفد الأمريكي في الجمعية العامة للأمم المتحدة من قيام الوفد بالتصويت لصالح المستعمر الفرنسي وبإضفاء الشرعية على الحرب في الجزائر(سالم ، ب، 1986،ص،ص. 66–67) و أن ممثل هذه المنظمة في أوروبا أدلى بتصريح في باريس لصالح سياسة ديغول في الجزائر، قائلا: قامت جبهة التحرير بخطأ فادح بتوجهها نحو الشرق، ورفضها اليد الممدودة من طرف الجنرال ديغول، الحل الوحيد للوصول إلى المفاوضات هو قبول اقتراحه.(A.O.M 81F/114)

في مقابل هذا توجه الاتحاد العام للعمال الجزائريين بنداء إلى جميع عمال العالم للتعجيل بتقديم المساعدة الفعلية والمساندة الملموسة لطموحات لشعب الجزائري في الحرية والسلم وفرض تسوية سلمية للحرب في الجزائر من خلال مفاوضات جدية بين الحكومة المؤقتة، والحكومة الفرنسية واقترح آلية لدعم القضية في المرحلة الراهنة من خلال القيام بما يلي:

– تعيد تأكيد موقفها من القضية الجزائرية بكل قوة ووضوح.

– وترسل وفدا عنها إلى هيئة الأمم المتحدة أثناء مناقشة القضية الجزائرية يشارك فيها مثل عن السيسل.

– التعجيل بإدانة الانتخابات التي نظمتها السلطات الفرنسية تحت ضغط الجيش الفرنسي.

– يتدخل جميع العمال وكافة المنظمات في الجامعة لدى حكوماتهم للمطالبة ببدء المفاوضات المباشرة بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة الجزائرية لإيجاد حل للقضية الجزائرية يلبي طموحات عمال وشعب الجزائر(سالم، ب، 1986: 66–67). ويبدو أن حدة هذه الانتقادات قد جعلت الجامعة تصادق في اجتماعها المنعقد ببروكسل بتاريخ 16 ديسمبر 1959 على لائحة تطالب طرفي النزاع الجزائري والفرنسي بإجراء مفاوضات مباشرة بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني للوصول إلى اتفاق يضمن حق تقرير المصير للشعب الجزائري، كما وجهت اللائحة نداء إلى فرنسا بوجوب احترام الحريات النقابية في الجزائر والابتعاد عن الإجراءات التعسفية في حق نقابيها.(A.O.M 81F/117)

وتدعيما للموقف صادق مؤتمر النقابات الأمريكية المنعقد بمدينة سان فرانسيسكو بالإجماع على لائحة تخص الجزائر ومما جاء فيها:« لقد أصبحت إفريقيا ميدانا حربيا تواصل فيه الشعوب المستعمرة كفاحها في سبيل حريتها، ومنذ الحرب العالمية الأخيرة قطعت الشعوب الإفريقية أشواطا كبرى في طريق

التقدم في كفاحها، إلا أن امتناع فرنسا عن الاعتراف بحق الاستقلال للمجاهدين الجزائريين الذين يكافحون منذ 5 سنوات هو الذي يمثل أكبر عائق في وجه هذا التقدم، واعترافا منا بأن استتباب السلم وانتشار الحرية في العالم يستوجب التوقيف العاجل لحرب الجزائر البشعة وإجراء مفاوضات تساعد على تكوين جمهورية ديمقراطية جزائرية فإن مؤتمرنا يطالب حكومتنا ويطالب الأمم المتحدة بمساندة التدابير التالية:

1. إجراء مفاوضات مع جبهة التحرير لإيقاف القتال.
2. أطلاق سراح عاجل من الجانبين للمساجين الموقوفين من طرف السلطات العسكرية والمدنية .
3. إجراء انتخابات ديمقراطية في الجزائر تحت مراقبة هيئة الأمم المتحدة مع منح المساواة التامة في الانتخاب والدعاية لجميع الساكنين بالجزائر من فرنسيين وجزائريين.

هذه الانتخابات يجب أن تضمن تأسيس حكومة جزائرية ديمقراطية تتمتع بالسيادة المطلقة سواء في سياستها الداخلية أو الخارجية وتضمن بدورها لكافة المواطنين والأقليات أيضا بدون تمييز في الجنس أو الدين نفس الحقوق السياسية والإمكانيات الاقتصادية.

وعند تشكيل هذه الحكومة الديمقراطية يمكنها أن تتفاوض مع فرنسا بشأن العلاقات المقبلة والتعاون مع تونس والمغرب لإحداث جامعة ديمقراطية شمال إفريقية.(المجاهد، عدد 52)

في اجتماع اللجنة التنفيذية للسيسل في دورتها الثلاثين ببروكسل من 30 أكتوبر 2 نوفمبر 1961، صادقت على لائحة بخصوص الجزائر، وجهت من خلالها نداء مستعجلا لاستئناف المفاوضات في أقرب الآجال، بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وعبرت عن أملها في التوصل إلى اتفاق بين الطرفين على أساس مبدأ حق تقدير المصير يؤدي إلى الاعتراف الصريح باستقلال الجزائر ووحدة ترابها، وأدانت الأعمال الوحشية التي تقوم بها منظمة الجيش السري الفرنسي في الجزائر، باعتبارها تمثل عائقا خطيرا أمام تحقيق السلام في الجزائر، داعية الأمم المتحدة إلى العمل من أجل التعجيل بحل المشكل الجزائري، وطالبت الحكومة الفرنسية بأن تطلق فورا جميع المعتقلين الجزائريين لأسباب سياسية، وخاصة الوزراء الخمسة على رأسهم أحمد بن بلة حتى يتمكنوا من المشاركة في المفاوضات.(2427 A.O.M 81F/)

بمناسبة توقيع اتفاق وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962، أصدرت السيسل بيانا هنأت فيه الطرفين، وعبرت عن رضاها التام للتوصل إلى هذا الاتفاق وتباهت بمساهماتها الملموسة في حل القضية الجزائرية وبدعمها، منذ البداية، لنضال الشعب الجزائري من أجل حق تقرير المصير ونيل الاستقلال، وبوقوفها الدائم إلى جانب الاتحاد العام للعمال الجزائريين في كافة المراحل الصعبة التي مرت بها الثورة الجزائرية، مؤكدة استمرارها في دعمه بنفس القوة ليتمكن من الإسهام في بناء دولة قوية حرة تسودها قيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. (A.O.M81F/2427)

إلى جانب هذا الدعم، الذي كان معنويا في كثير من مراحله، فقد قامت الجامعة بتقديم مساعدات مالية لفائدة اللاجئين الجزائريين عن طريق صندوق التضامن العالمي الذي قررت الجامعة إحداثه في مؤتمرها الخامس المنعقد بتونس، وصادق المكتب التنفيذي للجامعة في نوفمبر 1959 على تخصيص مبلغ 15.000.000 فرنك لفائدة الاتحاد العام للمال الجزائريين لتمويل أنشطته خلال 6 شهور(المجاهد ، عدد 22)

ولصرف هذه المساعدة المتواضعة أعد الاتحاد العام للعمال الجزائريين بالتعاون مع التحاد التونسي للشغل برنامج لأنشطته النقابية والاجتماعية خلال سنة 1958 تضمن اقتراحا بصرف منحة تنقل لـ 32 عاملا جزائريا يتابعون دروسا نقابية في مدرسة تكوين الإطارات النقابية التابعة للاتحاد التونسي للشغل، ومنح لـ 86 عاملا جزائريا يواصلون تكوينهم المهني في اختصاصات مختلفة بالإدارات والمؤسسات الاقتصادية التونسية، ومساعدة مالية شهرية قدرها 5000 فرنك لـ 268 عائلة من العمال اللاجئين المسجلة أسماؤهم لدى الاتحاد العام للعمال الجزائريين، وتخصيص ميزانية سنوية للمقر المركزي للاتحاد بتونس تسيير إدارته وتسديد المصاريف التي تطلب نشاطه بالخارج.

وقد كلف التليلي بتقديم هذا البرنامج إلى اللجنة التنفيذية للسيسل، ورسالة للإتحاد العام للعمال الجزائريين تمنى فيها تنفيذ هذا البرنامج لتغطية احتياجات اللاجئين الجزائريين التي تزداد يوما بعد يوم، من جراء آلة الحرب الفرنسية المستمرة وقد ردت اللجنة على طلب الاتحاد العام للعمال الجزائريين في النصف الثاني من عام 1958 بموافقة جزئية فقط، تقضي بصرف منحة شهرية لـ 268 عاملا جزائريا عائلا تهم تقدر بـ: 3000 فرنك. (سالم، ب، 1986، ص،ص.58-59)

وحين اقتربت الحرب في الجزائر على نهايتها، أظهرت السيسل حماس غير عادي وغير مسبوق لدعم الاتحاد، وهو بدون شك لغرض التوظيف السياسي لفترة ما بعد الحرب، فاتخذت من خلال صندوق التضامن العالمي، قرار يمنح الاتحاد بعد وقف إطلاق النار مباشرة مبلغا قدره 50.000 دولار لمساعدته على بناء الحركة النقابية الحرة، في الجزائر، ولكي يضمن لنفسه موقفا قويا وبارزا في المجتمع الجزائري، ويكون بمثابة المحرك للديمقراطية، وبالمناسبة أحصت قيمة مساعداتها للإتحاد في إطار صندوق التضامن العالمي في الفترة (1956- 1962) بـ: 375.000 دولار لتنفيذ برامجه الخاصة بالتكوين النقابي والمهني لفائدة العمال الجزائريين اللاجئين، وبأنها تبرعت بمبلغ 1000 دولار لتمويل حملة المفوضية السامية للاجئين التابعة المتحدة لمساعدة اللاجئين الجزائيين في تونس والمغرب.(سالم ب، نفس المرجع ،:61)

رغم المساعدات المادية والمعنوية التي قدمتها السيسل للاتحاد وجهودها الكبيرة، في حل القضية الجزائرية، فإن هذا الأخير لم يخصصها بالشكر، ولا حتى بالذكر، من بين المنظمات النقابية في العالم التي ساهمت بفاعلية في حل المشكل الجزائري حيث عبر في خطابه بمناسبة وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962 عن اعترافه بالجميل لكافة المنظمات النقابية في العالم ، وبعد سنتين من ذلك أعلن

انسحابه من السيسل لينظم إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمالية العربية في نوفمبر 1964، وهذا تكيفا مع سياسة الحياد الايجابي الذي تنتهجها الجزائر؟ (نفس المرجع :71)

الخاتمة: في ختام هذه المقالة، نخلص إلى النتائج التالية:

1. تبني الاتحاد العام للعمال الجزائرية خدمة للقضية وتنفيذا للمخطط المرسوم من طرف التحرير الوطني، لسياسة رشيدة برغماتية متفتحة، أكسبه تأييد التنظيمات النقابية في العالم باختلاف إيديولوجياتها للقضية الجزائرية.

2. أن انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين للسيسل لم يكن على أساس إيديولوجي وإنما كان يهدف إلى الاستفادة من هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وحركتها النقابية داخل الجامعة للضغط على فرنسا من أجل إيجاد حل القضية الجزائية.

3. الدعم الذي قدمته السيسل والمنظمات التابعة لها للاتحاد العام للعمال الجزائريين والقضية الجزائر، هام ولا يستهان به، ولكنه لا يستجيب للحاجيات المتزايدة التي فرضتها الأحداث التي عاشتها الجزائر، ولا للآمال التي علقها الاتحاد عليها في قدرة هذه النقابة في وضع حد للمذبحة الدائرة في الجزائر و التأثير في سياسات دولها الداعم لفرنسا في حربها في الجزائر.

4. تعاملت السيسل مع الاتحاد بمنطق الحرب الباردة الهادف إلى حصر النفوذ الشيوعي دون أن تكون لديها نية في رؤية مبادئها تطبق في الجزائر، وربما كانت هذه السياسة وراء تغيير الاتحاد لنهجه السياسي بعد الاستقلال.

ببليوغرافيا المقال:

أ–المصادر

1. الأرشيف(Aix-en - Provence)

--A.O.M.81F/109 : services des affaires algériennes, documentation, note, brochures rapports,……1959/1960.
- A.O.M 81F / le F.L.N. et l'étranger, lettre de krame (J.B0.)
-A.O.M 81F/114.le .F.L.N et U.S.A
- A.O.M,81F/117 6éme congrès de la C.I.S.L
- AOM 81F/2427 30ème congrès de la C.I.S.L
- A.O.M 81F/2427 : C.I.S.L cuminique spécial, le mouvement des syndicas libère –le cessez le feu en Algérie
- réunion syndical du Caire, revue l'ouvrière algérien n° 1, 1/11/1958.

2 . مجلة المجاهد

–"الاتحاد العام للعمال الجزائريين في كفاحه التحرري". المجاهد، عدد11. 1957/11/1.

–"مؤتمر نقابات المغرب الكبير بطنجة" المجاهد. عدد 12. 10/11/ 1957.

–"جامعة النقابات الحرة في خدمة العمال اللاجئين الجزائريين بتونس. المجاهد. عدد 22. 1958/4/15..

"صدى اغتيال الشهيد عيسات إيدير في العالم"، المجاهد، عدد 48، 1959/08/10-

-"حول لائحة الجامعة العالمية للنقابات الحرة بخصوص الجزائر".المجاهد. عدد 8. 1957/7/5

-"موقف النقابات الأمريكية". المجاهد. عدد52. 1959/10/5

ب/المراجع

1-المقالات

- بويحي سالم(نوفمبر 1986) ."العلاقات النقابية المغاربية. ودور الطبقة العاملة في وحدة المغرب الغربي (1946-1959)" .المجلة التاريخية المغاربية، عدد 43/ 44. تونس

- (.،.)(جانفي 2013). "العلاقات بين الاتحاد العام للعمال الجزائريين والجامعة العالمية للنقابات الحرّة". المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية. عدد 141. تونس

2-الكتب

- ايت مدور محمود(2013). الحركة النقابية المغاربية. دار هومة. الجزائر

- الشيخ سليمان (ب.س.ط). الجزائر تحمل السلاح. ترجمة محمد حافظ الجمالي.الدار المصرية اللبنانية.مصر

-بيكار زدرافكو (2011). الجزائر شهادة صحافي يوغسلافي عن حرب الجزائر. ترجمة فتحي سعيدي. موفم للنشر. الجزائر

- خطاب رشيد(2013) أصدقاء الخاوة. ترجمة حافي مصطفى. دار حطاب. الجزائر

تاريخ الاستلام: 2017/02/22- تاريخ التحكيم: 2017/03/25 -تاريخ النشر 2017/06/30

étude quasi-expérimentale d'un traitement intégratif : Psychothérapie interpersonnelle et antidépresseurs tricycliques chez une population de patients dépressifs majeures âgés entre 30 et 50 ans.

Dr. Mabrouk LAOUDJ
UNIVERSITÉ A/MIRA-BEJAIA

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

RESUME :

Les constats cliniques que décrits la littérature psychiatrique au sujet de la pathologie dépressive et les préjudices dont elle est la cause démontrent bien l'intérêt de son étudie. Nous nous sommes intéressés à cette maladie en raison de son retentissement négatif sur la qualité de vie des patients(es). Aussi, à cause de l'absence d'une alternative psychothérapique qui puisse stopper l'enfoncement chronique dans la consommation d'antidépresseurs. Ce sont ces raisons qui nous ont poussé à émettre, comme hypothèse de départ, la possibilité d'une corrélation thérapeutique entre, d'une part, l'utilisation d'antidépresseurs tricycliques (inhibiteurs de la sérotonine et de la noradrénaline) et d'autre part, l'application de la psychothérapie interpersonnelle (T.I.P). Nous avons voulu éprouver l'efficacité clinique de ces deux traitements utilisés en parallèle : Une monothérapie pour les groupes témoins (G.T) et un traitement intégratif et/ou combiné pour les groupes expérimentaux (G.E), afin d'évaluer l'amélioration et /ou l'altération de la neuroplasticité au cours de la dépression majeure chez des patients(es) adultes âgés entre (30-50 ans), résidents sur la wilaya de Sétif. Après trois années successives d'expérimentation (2010-2013), nous avons constaté que la combinaison de ces deux traitements a favorisé l'amélioration clinique chez cette population d'étude. Les résultats obtenus, ont dévoilé l'efficacité de cette corrélation thérapeutique : l'amélioration clinique a été ressentie chez 83,33 % des patients appartenant aux groupes expérimentaux (n= 24), contrairement aux patients (es) des groupes témoins (n=24) qui n'avaient obtenu qu'un taux d'amélioration de 16,66 %. L'efficacité du traitement intégratif a été mieux ressentie chez les patientes âgées entre 41-50 ans (Sex-ratio = 0,71). Ces dernières ont obtenu un taux d'amélioration estimé à 25%. La différence observée entre les deux groupes (expérimental & témoin) à la fin des phases terminales de la TIP a été statistiquement significative au test de Mann-Whitney : Z = - 3,60 ; P = 0,99.Enfin, ces constatations à la fois cliniques et statistiques ont permis d'adopter l'hypothèse vérifiée que le traitement proposé (Intégratif et/ou Combiné) favorise l'amélioration clinique de la dépression majeure chez les patients (es) appartenant aux groupes expérimentaux (G.E).

Les mots clés : Dépression majeure– Amélioration et/ou Altération de la neuroplasticité- Antidépresseurs tricycliques- Psychothérapie interpersonnelle.

ABSTRACT:

Clinical findings described the psychiatric literature and the damage caused clearly demonstrates the value of studying the depressive pathology. We looked at this issue, because of its negative impact on quality of life of patients. Also, because the absence of a

psychotherapeutic alternative that can stop driving the chronic consumption of antidepressants. These are the reasons that led us to issue as a starting hypothesis, the possibility of a therapeutic relationship; between on the one hand, the use of tricycle antidepressants (inhibitors of serotonin and noradrenalin) and secondly, the application of interpersonal psychotherapy (T.I.P). We wanted to understand the clinical efficacy of these two processes in parallel: a monotherapy for the control group (G.T) and an integrative treatment and / or combined for the experimental group (G.E). In order to assess the improvement and/or deterioration in major depression patients among adults (30-50 years) residents in the Setif Wilaya. After three successive years of experimentation (2010-2013), we realized that the combination of these two treatments was the cause of clinical improvement in this study population. The completed results, unveiled the effectiveness of this therapeutic relationship: clinical improvement was felt in 83.33% of patients in the experimental groups (n = 24), in contrast to patients of the control groups (n = 24) had obtained a rate of 16.66%. The effectiveness of integrative treatment was felt in patients (sex ratio = 0.71) aged between 41-50 years old having completed improvement rate estimated at 25%. The difference between the two groups: experimental and indicator at the end of the final phases of the TIP for three years was statistically significant at the Mann-Whitney test: Z = - 3.60; P = 0,99. These findings in both clinical and statistical allowed to adopt the hypothesis verified that the proposed treatment (Integrative and / or Combined) promoted the clinical improvement of major depression in patients belonging to the experimental group (GE).

Key words: - major Depression- Improvement and / or alteration of the neuroplasticité- tricycles Antidepressants - **Interpersonal psychotherapy.**

INTRODUCTION :

La maladie dépressive entendue dans le sens d'un trouble psychologique grave, parait se répondre de façon très sérieuse dans notre société. Elle touche ainsi, une proportion sans cesse croissante de notre population. Face à ce problème qui nous pose un réel défi, il est indispensable qu'on utilise une pratique rationnelle de prévention. Inscrite parmi les pathologies mentales les plus redoutables, la maladie dépressive représente aujourd'hui une des thématiques parmi les plus discutées dans le domaine des recherches en neurosciences. Elle pose déjà un problème à la santé publique, quant à sa longue prise en charge. Les résultats auxquels ont aboutis les recherches scientifiques à travers les techniques de la neuro-imagerie fonctionnelle (IRMF) ont mis en évidence « *des changements anatomiques observés au cours de la dépression au niveau de l'hippocampe, de l'amygdale, du noyau caudé, du putamen et du cortex frontal…*» LUCASSEN, P.J, HEINE, VM., MULLER, MB, et al. 2006. (5), 531-546. D'autres découvertes en neurobiochimie ont démontré que sous l'effet d'antidépresseurs, les dendrites des neurones repoussent et favorisent de nouvelles connexions synaptiques. Ce sont ces raisons qui ont poussé de nombreux laboratoires dans le monde à se consacrer pour son expertise. Car, ces taux de prévalence et d'incidence sont très élevés :

1/- « La dépression est la deuxième cause mondiale d'incapacité et la première cause de suicide...». DARDENNE, R. & THUILE, J. (2009).
2/- « On compte chaque année au niveau mondial environ 850 000 morts par suicide.» DARDENNE, R. & THUILE, J. (2009).
3/ «Le siècle passé l'humanité a perdu 05 millions de personnes par suicide, dont 90% d'entre eux souffraient déjà de troubles psychiatriques. » MOUCHABAC, S. (2009). (4) ,1-5.
4/- « Chaque année, environ 120 millions de personnes souffrent de dépression dans le monde. Seules ; 25% d'entre elles peuvent avoir accès à des traitements efficaces. » MOUCHABAC, S.
5/- « *L'O.M.S classait la dépression au 3ème rang des pathologies morbides, puisqu'elle représentait 4,3 des dalys -disability- ajusted life year- . Elle passe au premier rang dans les pays à produit national brut élevé (08,2%) et moyen (5,1%)…* » World health organization (OMS). (2004).
Les projections selon ce même organisme (O.M.S) estiment que la maladie dépressive en l'an 2030, passera au premier rang mondial, parmi les maladies mentales les plus lourdes de la psychiatrie. C'est un véritable problème de santé mentale, du fait des complications qui lui sont associées : *« dans les années à venir, elle représentera la première cause mondiale de morbi-mortalité»* Sartorius, N. (2001). (suppl.15): 8-12.

Faut-il ajouter aussi que la maladie dépressive impute de multiples préjudices psychologiques :

1/ Détérioration de la qualité de vie au cours de la maladie.
2/ Souffrance intolérable vécue et perçue.
3/- Conflits socioprofessionnels.
4/ Dysfonctionnements des liens interpersonnels majorés par : le deuil, la dispute, la transition de rôle et l'isolement social. S'ajoutant les déséquilibres familiaux et conjugaux : *« les taux de divorces sont plus importants dans les familles dont au moins l'un des membres souffre de dépression »*
5/- Impact important des coûts, tant au niveau directe(consommation d'antidépresseurs) qu'indirects (baisse de productivité, abandon de travail, congés médicaux de longue durée, hospitalisations...).

I- PROBLEMATIQUE ET HYPOTHESES :

a) PROBLEMATIQUE :

Les débats organisés ici et là dans les milieux psychiatriques au sujet de la maladie dépressive, admettent qu'elle devienne une véritable pandémie planétaire associée à d'éloquents risques suicidaires. Nous devons penser sérieusement à une méthode efficace pour la prendre en charge. L'étude qu'on a envisagée vise essentiellement à y parvenir à établir un projet thérapeutique

conséquent au-delà, de tout bourrage chimique de psychotropes. La démarche qu'on a proposée pour entreprendre ce projet mérite réflexion. Eu égard, à une demande d'aide sans cesse croissante émanant de patients dépressifs de toutes formes nosologiques confondues. Faut-il oser le dire et sans réticence aucune, qu'en réalité lorsque les patients sont totalement déçus de la pharmacodépendance à certains psychotropes. Ils finissent souvent en « sujets-proies » à des pratiques « magico-religieuses», en l'occurrence la *ROKIA souvent associée* à l'exorcisme. D'autres pratiques substitutives, sont aussi recommandées. Comme, le recours aux plantes médicinales octroyées à tort et à travers sans connaissances préalable du diagnostique. Ils s'avèrent dans la plupart du temps sans effets et dangereux pour la santé. Face à cette problématique nous avons élaboré un travail de reconfiguration disciplinaire regroupant deux techniques d'intervention : ***la psychothérapie et la chimiothérapie psychiatrique***. Mais, avant toute initiative concrète nous devons répondre à cette interrogation :

- *Est-ce que l'utilisation d'une psychothérapique interpersonnelle associée à une prescription d'un antidépresseur de choix, dans le cadre d'un traitement dit « intégratif et/ou combiné », peut contribuer à améliorer efficacement l'altération de la neuroplasticité cérébrale au cours d'une maladie dépressive majeure chez l'adulte ?*

Incontestablement, les antidépresseurs ont des effets sur les anomalies neurotrophiques du cerveau mais, ils portent leurs limites thérapeutiques par rapport au lien de soi à soi et du soi à autrui au moment de la maladie. Ils n'agissent pas sur les dysfonctionnements intersubjectifs qui empoisonnent la vie des malades. Donc, l'utilisation de techniques efficaces de prise en charge pour traiter la pathologie dépressive devient un atout important. Du fait de ses portées épidémiologiques qui *« Selon l'Organisation Mondiale de la Santé, la dépression est la première cause d'handicap mental. Elle se situe au quatrième rang des maladies en termes de coût financier par maladie. Selon les prévisions, en 2020, ce trouble se situera à la seconde place en termes de coût parmi les différentes maladies, quels que soient l'âge et le sexe. »*[14]*. Le suicide en est la conséquence la plus tragique, « Le siècle passé l'humanité a perdu 05million de personnes par suicide. 90% d'entre eux souffraient déjà de troubles psychiatriques. A elle seule la dépression en représente les 2/3 des causes des suicides à travers le monde…On compte chaque année au niveau mondial 850 000 morts par suicide…La dépression peut survenir dans n'importe quelle catégorie socioprofessionnelle, à tous les âges, deux fois plus souvent chez la*

femme que chez l'homme et dans n'importe quelle ethnie. Chaque année, environ plus de 120 millions de personnes souffrent de dépression dans le monde et seuls 25% d'entre elles peuvent avoir accès à des traitements efficaces. » OMS. (2004)

Néanmoins, les conflits interpersonnels sont souvent rapportés chez la plupart des patients(e) lors de leurs manifestations dépressives. Il se pourrait qu'ils soient un des facteurs déterminants de vulnérabilité. On sait que la maladie dépressive est responsable de profonds déséquilibres familiaux. Etablir un traitement intégratif et/ou combiné (chimiothérapie et psychothérapie interpersonnelle) aura comme objectif non seulement l'amélioration de l'altération neuroplastique, mais surtout la réorganisation de la qualité de vie des patients. Par conséquent, il contribuera à la prévention des tentatives suicidaires que cause indirectement cette maladie. Les dépressifs sont des êtres humains en souffrance et notre devoir en tant que psychologue praticien chercheur, c'est leur procurer de l'aide à les secourir. Il suffit d'écouter leurs maux qu'ils nous expriment en mots, pour comprendre qu'à chaque instant ils nous transmettent leur fortes douleurs. En fait, ils nous transmettent quelque chose comme un vif besoin de les secourir.

B) HYPOTHESES :

A la lumière du contenu de la problématique de départ, nous avons établi une hypothèse principale et deux hypothèses opératoires qui ne prêtent à aucune confusion. Nous étions convaincus que leur sens se tient à la manière de les concrétiser sur le terrain de la pratique. C'était autour d'examens médico-psychologiques basés essentiellement sur la manifestation syndromique que nos hypothèses ont été soumises à l'épreuve. L'évaluation de l'efficacité des traitements prescrits a été examinée au « cas par cas ». Nous avons procédé à la vérification des **améliorations et/ou altérations cliniques** des états dépressifs majeurs à travers des échelles d'évaluation préalablement conçues à cet effet.

- Hypothèse Principale :

- Les antidépresseurs (tricycliques) en association avec la psychothérapie (interpersonnelle) favorisent l'amélioration de la dépression majeure chez l'adulte âgé entre 30 et 50 ans.

- Hypothèses Opératoires :

- *1 / - Est-ce que, les antidépresseurs (tricycliques) à eux seuls, favorisent l'amélioration de la dépression majeure chez l'adulte âgé entre 30 et 50 ans ?*

- *2/ - Est-ce que l'association d'antidépresseurs (tricycliques) avec une psychothérapie (interpersonnelle), favorisent-ils l'amélioration de dépression majeure chez l'adulte âgé entre 30 et 50 ans ?*

II- LE CADRE THEORIQUE :

Nous nous sommes éloignés tant que faire se peut, des postulats trop classiques et idéiques liés à la théorie psychanalytique. Nous nous sommes basées sur un arrière-plan théorique ajusté aux neurosciences. C'est sur ce plan que nous avons travaillé nos ***vignettes cliniques.*** Car, les découvertes récentes sur la neuroplasticité cérébrale ont déjà affirmé que ***la sérotonine*** et ***la noradrénaline*** modulent les processus neurobiochimiques du cerveau au cours de la maladie dépressive. Depuis plus de trente ans les scientifiques connaissent également, que les antidépresseurs provoquent au cours de la dépression une augmentation de la quantité de noradrénaline dans les synapses noradrénergiques et de la sérotonine dans les synapses Sérotoninergiques. Ces données s'ajoutent à celles de la neuro-imagerie et des travaux du *« **knockout** »,* qui ont mis-à-nu les notions étiologiques scolastiques d'un supposé ***«inconscient pathogène».*** *D*ésigné en tant que cause dans l'émergence de la maladie dépressive. C'est la raison qui pousse souvent «*Les psychanalystes non médecins*» à admettre « obstinément » que la maladie dépressive résulte d'une forte « *angoisse de perte d'objet* ».

Alors, il nous semble évident, réparer la fracture qui sépare les deux disciplines : la psychologie clinique devenue otage des idées préconçues de la psychanalyse et la psychiatrie biologique qui ne croit qu'au miracle des pullules psychotropes. Si nos collègues psychiatres ont vite compris que la dépression est ce que guéri un antidépresseur, nous psychologues chercheurs ont a aussi compris que pour modifier un comportement pathologique d'un sujet dépressif, on doit l'initier à une thérapie interpersonnelle ciblée. On doit encourager chaque patient à identifier les pensées défaitistes aux moments difficiles, à les examiner rationnellement en planifiant progressivement ses activités et en identifiant ses différents schémas cognitifs pour ensuite les discuter. Voilà le but recherché par rapport au choix de la psychothérapie interpersonnelle. C'est dans ce contexte que nous avons instauré ce nouveau modèle thérapeutique dit intégratif et/ou combiné. Où, antidépresseurs et thérapie interpersonnelle (TIP)

ont été prescrits côte à côte pour chaque patient diagnostiqué comme souffrant d'un état dépressif majeur.

III- METHODOLOGIE :

Nous avons utilisé une prospection dite quasi-expérimentale, fondée sur le principe de ***« l'étude randomisée »*** répondant aux particularités suivantes : les patients ont été assignés aléatoirement entre deux groupes équivalents : **groupe expérimental et groupe témoin**.

a) ***La variable indépendante a été manipulée*** : c'est-à-dire, « *l'effet des antidépresseurs associés à la psychothérapie interpersonnelle (TIP) sur l'altération ou l'amélioration clinique de la dépression majeure»*.
b) **La variable dépendante a été mesurée**.
c) **Les variables opératoires ont été contrôlées.**
d) **Les observations ont été dissimulées:** c'est à dire, les patients (es) des deux groupes (expérimental et témoin) ne savent pas qu'ils sont sous observation empirique. Ceci, nous a permis d'analyser leurs résultats cliniques d'une manière équitable. La démarche clinique a été considérée comme provoquée, parce qu'on a procédé par le contrôle de l'ensemble des opérations qu'on a effectué. Le suivi clinique a été systématique. Il s'est déroulé en consultations périodiques où toutes les commodités ont été réunies. Nous avons effectuée une étude longitudinale étalée de l'année 2010 jusqu'à la fin de l'année 2013. Nous avons réalisé deux méthodes de traitements parallèles : une monothérapie (prescription d'antidépresseurs seuls) pour les groupes témoins et une thérapie intégrative (des antidépresseurs tricycliques associés à une psychothérapie interpersonnelle) au profit des groupes expérimentaux. Ces traitements, ont été opérés pour une population composée de quarante-huit(48) patients (es) répartis en deux grands groupes de vingt quatre patients(es). Nos évaluations ont été procédées sur des intervalles de temps fixes, plutôt qu'à des moments courts et indéterminés. La répartition par sexe au niveau des deux groupes s'est faite d'une manière équitable aussi bien pour les unités expérimentales qu'au unités de contrôles.

III.1- LES OUTILS D'EVALUATION CLINIQUE:

1-Une échelle de diagnostic de la dépression majeur (M.A.D.R.S) (Montgomery and Asberg dépression rating scale) a été appliquée pour chaque patient des deux groupes en question (G.E & G.T), avant et après

les traitements proposés.

2- La psychothérapie interpersonnelle (T.I.P) : a été appliquée au cas par cas, pour tous les patients (es) dépressifs majeurs appartenant aux groupes expérimentaux durant les trois années de l'étude.

3- Une grille d'évaluation de l'amélioration clinique : CGI-amélioration (*clinical global impressions-improvement*) a été élaborée pour l'ensemble des patients des deux groupes (G.E & G.T) après la fin du traitement consommé, antidépresseurs tricycliques et autres.

4- Une grille d'observance des médicaments antidépresseurs tricycliques :

Elle a été établit par nos soins aux besoins de la recherche. On l'a appliqué pour chaque patient(e) des deux groupes (G.E & G.T). Nous précisons que tous les patients (es) des deux groupes (G.E & G.T) ont été soumis aux mêmes molécules d'antidépresseurs tricycliques pendant une durée de six mois révolus. Les doses des médicaments (posologie) prescrites pour chacun des patients ont été soumises aux seules appréciations du psychiatre traitant (collaborateur).

Pourquoi notre choix médicamenteux a été basé essentiellement sur les antidépresseurs tricycliques ?

1/ Les tricycliques sont de parfaits inhibiteurs de la recaptation de la sérotonine et de la noradrénaline.

2/ Les tricycliques ont montré leur efficacité thérapeutique (réf. Travaux Publiés) sur le « ***réaménagement dendritique des neurones de l'hippocampe »*** au cours de la maladie dépressive.

3/ Aujourd'hui, les antidépresseurs tricycliques se considèrent parmi les molécules les plus efficaces pour le traitement en ambulatoire ou en milieu hospitalier de la maladie dépressive.

III.2- LA POPULATION D'ETUDE :

La population d'étude a été formée grâce à la méthode non probabiliste, c'est-à-dire, par rapport à son identification à la population mère de

« *patients dépressifs* » reconnus selon les critères sémiologiques universels du DSM-IV & CIM 10.

Les critères d'inclusion et/ou d'homogénéité de la population d'étude :

- Inclus les patients (es) diagnostiqués souffrants de « *dépression majeur* » confirmée a travers l'échelle diagnostique : M.A.D.R.S.
- Retenus pour l'étude, les patients (es) âgés entre 30-50 ans des deux sexes (♀♂).
- Retenus, les patients(es) qui manifestent un état dépressif majeur diagnostiqué pour la première fois dans leur vie.
- Retenus, les patients(es) qui n'ont jamais reçu de psychotropes comme traitement de long cours.

Les critères d'exclusion et/ou de non pertinence de la population d'étude :

- N'ont pas été inclus, les patients (es) traités par antidépresseurs, prescrits par des médecins généralistes ou par d'autres médecins spécialistes non psychiatres.
- N'ont pas été retenus les patients(es) dépressifs majeurs traités par sismothérapie.
- N'ont pas été retenus les patientes dépressives majeures en début ou en fin de grossesse.
- N'ont pas été retenus les patients (es) dépressifs majeurs présentant des affections médicales compromettantes.
- N'ont pas été retenus les patients (es) présentant une comorbidité psychiatrique.
- N'ont pas été retenus les patients (es) présentant une contre-indication absolue : un Alzheimer, une démence artériopathique avérée ou une déficience mentale patente.
- N'ont pas été retenus les patients (es) présentant une psychose maniaco-dépressive (PMD) ou bien, ceux souffrants d'une schizophrénie dysthymique.

IV- PRÉSENTATION DES RÉSULTATS :

Nous avons entrepris l'étude en question durant la période étalée entre l'année 2010 jusqu'à 2013. On a pris en charge quarante huit patients(es) (48) répartis en deux groupes (GE et GT). Pour les besoins de l'expérience on a formé deux groupes de vingt quatre patients (es) en deux unités, une expérimentale et une autre dite de contrôle. Chaque année on travaille avec seize patients (es), au bout de trois ans d'expérimentation on a comptabilisé une population d'étude composée en total de quarante huit patients (es). Vingt quatre d'entre eux, ont constitué les groupes de contrôle (GT) et vingt quatre autres ont constitué les groupes expérimentaux (GE). Le nombre de femmes et d'hommes que composaient les deux groupes étaient ex-æquo. L'âge de la population des deux groupes oscille entre 30 à 50 ans. Tous (tes) les patients qui avaient bénéficié de la prise en charge habitaient la wilaya de Sétif. Les patients (es) appartenant aux groupes expérimentaux ont suivi un traitement **intégratif et/ou Combiné** (Thérapie interpersonnelle associée aux antidépresseurs tricycliques). Contrairement à ceux qui composaient les groupes témoins, qui n'avaient bénéficié que d'une **monothérapie** (traitement à base d'antidépresseurs tricycliques seuls). Les psychotropes de la famille des tricycliques et les anxiolytiques ont été prescrits par nos collègues psychiatres, collaborateurs incontournables de notre étude quasi-expérimentale.

IV.I - Les résultats d'évaluation des groupes expérimentaux (G.E):

Au terme des trois années de prise en charge effective, on a constaté que les patients qui appartenaient aux unités expérimentales avaient manifesté **une amélioration clinique.** Celle-ci a été observée et évaluée chez vingt (20) patients parmi les vingt quatre. Neuf (09) hommes et onze (11) femmes chez qui l'amélioration clinique a été fortement appréciée en phase finale du traitement combiné. Uniquement trois patients (03) n'avaient pas eu d'amélioration clinique de leur état dépressif majeur. Le taux d'amélioration clinique a été très significatif dans les groupes expérimentaux, il a été estimé à plus de quatre vingt trois pour cents **(83,33 %).**

IV.II- Les résultats d'évaluation des groupes témoins (G.T):

Concernant, l'évaluation des groupes témoins au terme de trois années d'expérience, le nombre de patients(es) qui présentaient des altérations cliniques était nettement supérieure à celui des patients(es) qui manifestaient de l'amélioration clinique de leur état dépressif majeur. On a compté dix sept (17)

GROUPE EXPERIMENTAL (G.E) Traitement Intégratif. (T.I.P + Antidépresseurs tricycliques) (n= 24)	GROUPE TEMOIN (G.T) Monothérapie (Antidépresseurs tricycliques seuls)

patients(es) sur vingt quatre chez lesquels la prescription d'antidépresseurs tricycliques seuls n'a pas donné de l'amélioration clinique escomptée. Le taux dépassant les soixante dix pour cents (70,83%). Or, parmi ces dix sept patients qui n'avaient pas ressentie de l'amélioration clinique, il y avait huit (08) femmes et neuf (09) hommes.

IV.III- Les résultats des patients(es) non – évalués :

Les patients(es) auxquels on n'a pas pu les évaluer, n'étaient pas trop nombreux. Le motif était simple, ils avaient abandonné leur traitement à cause d'une rupture volontaire de leur part ou bien suite à une hospitalisation psychiatrique recommandée pare rapport à leur état dépressif aggravé au cours du traitement. Il y avait trois patients (es) (03) en tout, deux appartiennent au groupe témoin et un (01) seul cas appartenant au groupe expérimental.

(Voir tableaux illustratifs ci-dessous)

2010 – 2013			
LES PHASES	INITIALE	INTERMEDIAIRE	FINALE
Améliorations	04	06	20
%	16,66 %	25 %	83,33 %
Altérations	20	17	03
%	83,33 %	70,83 %	12,5 %
Non évalués	00	01	01
%	00 %	4,16 %	04,16 %

(n= 24) 2010 - 2013			
LES PHASES	INITIALE	INTERMEDIAIRE	FINALE
Améliorations	00	02	04
%	00 %	08,33 %	16,66 %
Altérations	22	20	17
%	91,66 %	83,33 %	70,83 %
Non évalués	02	02	03
%	8,33 %	8,33 %	12,5 %

ALTERATION ET/OU AMELIORATION DE LA DEPRESSION EN FONCTION DU SEXE DES PATIENTS(ES) AGES ENTRE (30-50 ans).						
2010 - 2013	Amélioration de la dépression majeure au cours des traitements dans les groupes expérimentaux et témoins.	SEX - RATIO (n=48)	Altérations de la dépression majeure au cours des traitements dans les groupes expérimentaux et témoins.	SEX - RATIO (n=48)	Non évalués	SEX - RATIO (n=48)
	(14) femmes	0,71	(08) femmes	1,5	(03) femmes	0,33
	(10) hommes		(12) hommes		(01) hommes	
Total	24 patients(es)		20 patients (es)		04 patients (es)	48 patients (es)

IV.IV- TABLEAU DES VALEURS ET DES TAUX DES AMELIORATIONS ET/OU ALTERATIONS DE LA DEPRESSION MAJEURE CHEZ LES PATIENTS DES DEUX GROUPES (G.E) & (G.T) PAR RAPPORT AU CALENDRIER CORRESPONDANT LES TROIS PHASES DE LA T.I.P :

ANNEES 2010 - 2013	GROUPE EXPERIMENTAL (n=24)	%	GROUPE TEMOIN (n=24)	%	VALEURS THEORIQUES SELON LE TEST DE MANN-WITHNEY (≤ 0,005)
LA PHASE INITIALE	04 **Améliorations**	16,66	00 **Améliorations**	00	$Z = -0,03$ $P = 0,5120$
	20 **Altérations**	83,33	22 **Altérations**	91,66	
	00 Non évalués	00	02 Non évalués	08,33	
LA PHASE INTERMEDIAIRE	06 **Améliorations**	25	02 **Améliorations**	08,33	$Z = -1,28$ $P = 0,8997$
	17 **Altérations**	70,83	20 **Altérations**	83,33	
	01 Non évalués	04,16	02 Non évalués	08,33	
LA PHASE FINALE	20 **Améliorations**	83,33	04**Améliorations**	16,66	$Z = -3,60$ $P = 0,99$
	03**Altérations**	12,5	17**Altérations**	70,83	
	01 Non évalués	04,16	03 Non évalués	12,5	

a) **LES TAUX D'AMELIORATION DE L'ETAT DEPRESSIF MAJEUR DANS LES DEUX GROUPES:**

- Les patients (es) du groupe expérimental : l'amélioration clinique de la maladie dépressive majeure chez les patients adultes âgés entre (30-50 ans) appartenant aux unités expérimentales est passée d'un taux équivalent à 16,66% durant la phase initiale à celui de 83,33% en phase finale.

- Les patients (es) du groupe témoin l'amélioration de la maladie dépressive majeure au chez les patients adultes âgés entre (30-50 ans) n'était pas sensible du tout. Elle est passée de 00% en phase initiale à 16,66% en phase terminale de la TIP.

b) **LES TAUX D'ALTERATION DE L'ETAT DEPRESSIF MAJEUR DANS LES DEUX GROUPES:**

- Les patients (es) du groupe expérimental : l'altération de la dépression majeure chez les patients adultes âgés de (30-50 ans) a été réduite d'une manière considérable. Elle a été estimée à un taux avoisinant les 12,5% en phase terminale de la TIP.

- Les patients (es) du groupe témoin l'altération de la dépression majeure chez l'adulte âgé entre (30-50ans), a été remarquable dans ce groupe malgré le traitement suivi à base d'antidépresseur seul. Elle été estimée à 70,83 % en phase terminale par rapport aux unités expérimentales.

GROUPE EXPERIMENTAL (G.E) Traitement Intégratif. (T.I.P + Antidépresseurs tricycliques) (n= 24) 2010 - 2013			
LES PHASES	**initiale**	**intermédiaire**	**finale**
Améliorations	**04**	**06**	**20**
%	**16,66 %**	**25 %**	**83,33 %**
Altérations	**20**	**17**	**03**
%	**83,33 %**	**70,83 %**	12,5 %
Non évalués	00	01	01
%	00 %	4,16 %	04,16 %

GROUPE TEMOIN (G.T) Monothérapie (Antidépresseurs tricycliques) (n= 24) 2010 - 2013			
LES PHASES	**initiale**	**intermédiaire**	**Finale**
Amélioration	**00**	**02**	**04**
%	**00 %**	**08,33 %**	**16,66 %**
Altération	**22**	**20**	**17**
%	**91,66 %**	**83,33 %**	70,83 %
Non évalués	02	01	03
%	8,33 %	8,33 %	12,5 %

IV.V- L'ANALYSE PSYCHOMETRIQUE DE LA DIFFERENCE DES DEUX GROUPES :

Nous avons utilisé le test non paramétrique de Mann-Whitney utile eu égard, à notre population d'étude de petite taille.

Il a été établit à partir des critères de mesure suivants :

- Toutes les observations des deux groupes sont indépendantes les uns des autres.
- Les distributions des deux groupes ont été égales. Autrement dit, il existe une symétrie entre les populations en ce qui concerne la probabilité de tirage aléatoire.
- La réalisation était basée sur un classement par ordre croissant de l'ensemble des observations cliniques, établies grâce à l'échelle **CGI-Amélioration** pour les deux groupes (expérimental & témoin). On a disposé de deux groupes où leurs moyennes et leurs variances étaient différentes. Le calcul a été porté sur les rangs attribués suite à un classement de valeurs obtenues :
- On a commencé par classer dans l'ordre croissant l'ensemble des mesures des deux groupes (expérimental & témoin) et puis on a calculé la somme des rangs de chacune des valeurs.
- On a déduit les indices de Mann-Whitney pour détecter ensuite le plus faible des indices U des 2 Groupes.
- On a testé aussi la signification du plus petit indice U.
- Nous avons calculé à la fin l'écart type-réduit (Z) du plus petit des deux U, durant les trois années de suivi de patients souffrants de dépression majeur selon les critères diagnostiques tirés des classifications internationales.

- **A) La différence psychométrique observée** :

1/- La différence psychométrique observée entre les deux groupes (GE) & (GT) au début **des phases initiales** durant les trois années du projet quasi-expérimental **n'ont pas été statistiquement significatives**.

[Z = - 0,03 ; P = 0,5120]

2/- La différence psychométrique observée entre les deux groupes (GE) & (GT) durant **les phases intermédiaires** pendant les trois années **ont été statistiquement significatives**.

[Z = - 1,28 ; P = 0,8997]

3/- La différence psychométrique observée entre les deux groupes (GE) & (GT) à la fin **des phases terminales** pendant les trois années **ont été statistiquement significatives**.

[Z = - 3,60 ; P = 0,99]

TABLEAU DES VALEURS OBTENUS AU TEST DE MANN-WITHNEY SUR LA DIFFERENCE ENTRE LES MOYENNES CHEZ LES PATIENTS(ES) DEPRESSIFS MAJEURS DURANT LES TROIS ANNEES D'EXPERIENCE (2010 - 2013.)		
$$Z = \frac{U - \frac{(n1.n2)}{2}}{\sqrt{\left(\frac{n1.n2}{N(N-1)}\right)\left(\frac{N^3 - N}{12}\right) - T}}$$ $$La\ valeur\ théorique\ \alpha = 0,005\ ou \leqq 0,005$$		
Z = - 0,03 *P = 0,5120*	**Z = - 1,28** **P = 0,8997**	**Z = - 3,60** **P = 0,99**

- **B) La différence clinique observée :**

Nos constats en ce qui concerne la signifiance clinique de l'efficacité du traitement combiné après l'association de la thérapie interpersonnelle aux antidépresseurs tricycliques (inhibiteurs de la 5HT et de la noradrénaline) n'ont pas été efficaces sur l'amélioration de l'état dépressif majeur chez la plupart des patients durant le premier mois du traitement (pendant la phase initiale). Néanmoins, le traitement combiné et/ou intégratif a été favorable chez les patients(es) des unités expérimentales après trois mois. Alors, à la fin de la phase terminale, on a constaté une parfaite amélioration psycho-symptomatique de la dépression majeure chez la plupart des patients (es) qui avaient suivi un traitement combiné. (Voir tableau ci-dessous).

GROUPE EXPERIMENTAL (n=24) ANNEES (2010 - 2013)			**GROUPE TEMOIN (n=24) ANNEES (2010 - 2013)**		
Etats de la Dépression majeure après le traitement intégratif.	**Nombre de patients (es) (n=24)**	%	**Etats de la dépression après la monothérapie.**	**Nombre de patients (es) (n=24)**	%
Améliorations de la dépression majeure chez les patients (es) traités par T.I.P associée aux antidépresseurs tricycliques.	**20**	**83,33**	Améliorations de la dépression chez les patients (es) traités sous monothérapie. (tricycliques)	**04**	**16, 66**
20 Améliorations dans le (G.E)			**04 Améliorations dans le (G.T)**		

Améliorations de le dépression chez les patients (es) traités par T.I.P associée aux antidépresseurs tricycliques.	**03**	**12,5**	Altérations de la dépression chez les patients (es) traités sous monothérapie. (tricycliques)	**17**	**70, 83**
03 Altérations dans le (G.E)			**IV.- ltérations dans le (G.T)**		

IV.VI- VERIFICATION DES HYPOTHESES :

- **Vérification de la première hypothèse :**

Les résultats réalisés jusque là avec les groupes contrôles confirment à juste mesure que les antidépresseurs prescrits seuls ne favorisent pas l'amélioration de la dépression majeure chez les sujets adultes âgés entre 30-50 ans. Les taux d'inventories soutirés au sein des unités du groupe témoin confirment notre première hypothèse. Dix sept (17) patients (es) parmi les vingt quatre n'avaient représenté que seulement un taux avoisinant les 70,83 %. Ceci témoigne qu'ils n'avaient observés aucune amélioration clinique de leurs états dépressifs majeurs. Parmi eux, il y avait onze patients (es) (11) n'avaient obtenu aucun changement clinique de leur état dépressif majeur. Encore, six (06) patients (es) ont vu leur état dépressif majeur s'aggraver à la fin de la monothérapie, malgré l'observance du traitement pendant toute la période de prescription : six mois inclus. Ces résultats concordent parfaitement bien avec ceux obtenus par **[DUMAN R.S, HENINGER G.R, NESTLER E.J. (2008)].** Ils concordent aussi avec ceux de **[W. PITCHOT, M. POLIS, S. BELACHEW et M. ANSSEAU. (2008)].** Faut-il ajouter encore, que tous les patients (es) des unités contrôles soumis à la monothérapie ont été évalués en même temps que les patients (es) des groupes expérimentaux. Précisons que l'évaluation se faisait à chaque phase correspondante à la TIP (phase initiale – Phase intermédiaire – Phase finale).On termine par conclure à l'affirmatif notre hypothèse que : *« les antidépresseurs prescrits seuls ne favorisent pas l'amélioration de la dépression majeure chez l'adulte âgé de 30 à 50 ans »* du moins, chez la population de malades dépressifs majeurs recrutés pour les besoins de l'expérience dans la wilaya de Sétif.

- **Vérification de la deuxième hypothèse :**

Les résultats réalisés jusque là, confirment que le traitement combiné (antidépresseurs tricycliques associées à la thérapie interpersonnelle) a favorise

l'amélioration de la dépression majeurs chez les patients adultes âgés entre 30-50ans. Les résultats qu'on a obtenus concordent parfaitement bien avec certains travaux réalisés dans la même perspective de notre travail de recherche : [**DASZUTA. A ; BANASR. M et SOUMIER. (S.F.P. (2004)].** Autrement dit, parmi vingt quatre (24) patients (es) soumis au traitement intégratif et/ou combiné, vingt (20) patients (es) ont ressenti une nette amélioration de leurs états dépressifs majeurs. Les améliorations ont été confirmées grâce aux échelles d'évaluations cliniques et diagnostiques de la dépression. L'amélioration était estimé dés les débuts des phases initiales avec un taux évalué à 16,66 %, pour passer ensuite durant les phases intermédiaires à 25%, pour qu'il arrive en phases finales à un taux avoisinant les 83,33 %. Ce pourcentage concorde significativement avec les résultats des travaux déjà obtenu par l'équipe de recherche de **[COPPELL A.L, PEI Q, ZETTERSTRÖM T.S.C (2007)].**

- ✓ L'amélioration clinique durant l'année 2010-2011 chez les patients(es) appartenant aux unités expérimentales compte tenu de l'échelle CGI-Amélioration, la M.A.D.R.S et le protocole de la TIP a été sentie chez cinq (05) patients(es) sur huit. Ce nombre, l'amélioration a été estimée par un pourcentage avoisinant les 62,5 %.

- ✓ Le nombre de patients suivis en thérapie intégrative et/ou Combinée qui avaient senti de l'amélioration durant l'année 2011-2012 compte tenu de l'échelle CGI-Amélioration- MADRS et le Protocole de le TIP était impressionnante. C'est-à-dire, les huit (08) patients étaient en parfaite amélioration clinique en fin du traitement combiné. Ils représentent un taux de 100 % :

- ✓ Le nombre de patients suivis en thérapie intégrative et/ou Combinée qui avaient senti de l'amélioration durant l'année 2012- 2013 compte tenu de l'échelle CGI-Amélioration- MADRS et le protocole de la TIP. Il y avait huit patients(es) qui avaient ressentis aléatoirement de l'amélioration clinique. Celle-ci varie entre patients (es) très fortement améliorés ou bien fortement ou légèrement améliorés. Ils représentent un taux de 87,5 % contre seulement 12,5 % de cas d'altérations.

Pratiquement, nous pouvons avancer à partir de toutes ces données cliniques et statistiques que les antidépresseurs (Tricycliques inhibiteurs de la 5HT et la noradrénaline) en association avec la TIP favorisent l'amélioration de la neuroplasticité cérébrale lors de la dépression majeure chez l'adulte. Il s'agit bien d'une population de patients adultes âgés entre 30-50 ans, résident dans la wilaya de Sétif (Algérie). Cette confirmation hypothétique atteste que nous avions obtenu presque les mêmes résultats en comparaison avec les récents

travaux de **[CONSTANT. E, PITCHOT. W. et FLORIS M. (2008)],** ainsi que les conclusions des études de **& [HOLTZMANN. J, POLOSAN. M et BARO. P. (2009)]** et de **[RADTCHENKO. A, GRANGER. B et DEBRAY. Q (2010)].**

- **Vérification de l'hypothèse principale à la lumière des résultats de l'expérience:**

Peu importe la façon de confirmer ou infirmer notre hypothèse principale, l'essentiel qu'on doive représenter clairement les résultats essentiels de notre argumentation de recherche. C'est-à-dire, comment on a coordonné la problématique de notre étude avec la méthodologie utilisée. L'analyse des données cliniques obtenues et l'interprétation de nos résultats, ont été élaboré de façon réfléchie en tenant compte des hypothèses supposées. Nous avons été clair et précis, afin que tout prédécesseur en quête de « curiosité scientifique » puisse les vérifier. Dés le début on a balisé l'étude pour des raisons d'objectivité scientifique par des mesures psychométriques. Ceci dans le but de commander à partir des chiffres (scores, pourcentages et valeurs psychométriques), la vérification de l'exactitude ou non, des résultats obtenus. Nous étions confronté objectivement à établir une analyse statistique dite non paramétrique pour jauger l'amélioration de l'état dépressif majeur chez la population étudiée âgés respectivement entre (30 -50 ans).

Les outils d'évaluation ont été établis en vue d'appréhender la question du rétablissement clinique (absence de symptômes) des patients diagnostiqués avant la prise en charge mixte comme dépressifs majeurs. C'est aussi vérifier à travers les grilles et échelles, l'effet thérapeutique avancé suite à l'association des antidépresseurs tricycliques avec la psychothérapie interpersonnelle dans le cadre du traitement intégratif et/ou combiné. Du coup, nous avons constaté en phases finales du traitement que les valeurs des différences observées étaient estimées à [Z= - 3,60 & P= 0,99]. C'est-à-dire que la différence observée était significative statistiquement et le traitement intégratif et/ou combiné a été efficace. La rémission psycho- symptomatique de l'état dépressif majeur chez les patients a été estimée à 83,33 % pour les unités expérimentales (G.E). Semble-t-il, nettement supérieur, par rapport à celui des unités de contrôle (G.T) qui a été évalué par un taux de 16,66%. Nous avons observé que cette amélioration clinique corrélait avec l'extinction totale ou presque des symptômes de la maladie en question. Ce qui dénote par voie de conséquence une possibilité de réaménagement neurobiochimique cérébral au niveau des

régions synaptiques incriminées dans l'étiologie de la dépression majeure. Malheureusement, nous n'avons pas eu la disponibilité matérielle pour y accéder à l'utilisation en collaboration avec nos collègues neuro-radiologues de l'imagerie par résonnance magnétique (IRMf) ou bien au PET-scan pour indiquer exactement la topographie de l'altération neuro-anatomique de la maladie dépressive. Nous savons que cette entrave avait constitué pour nos observations directes une certaine carence relativement acceptable. S'ajoute encore le manque flagrant de ce matériel médical dans nos hôpitaux. A mon sens, les hôpitaux Algériens ne sont pas encore dotés de ces outils d'investigation considérés de haute précision. C'est la raison pour laquelle nous n'avons pas jugé que cette opération d'investigation neuroradiologique fût surtout pertinente pour les patients(es). Puisque les résultats obtenus suite aux traitements combinés et/ou intégratifs convergent avec les objectifs atteints.

En tous cas, plusieurs travaux de recherches randomisés : ***Européens et Américains*** ont montré que l'altération de la neuroplasticité s'avère plus confirmée à l'image par résonnance magnétique fonctionnelle au niveau du « *cortex préfrontal, l'amygdale et l'hippocampe* » lors de la maladie dépressive. Nombreuses sont les études qui avaient confirmé chez d'autres populations de malades dépressifs presque les mêmes constatations cliniques que nous avions démontrés. Nous citons parmi celles-ci : **[ELKIN et al. (1989) SOTZKY et al. (1991) & REYNOLDS et al. (1999) & DONNELLY et al. (2000), & AGRAS et al. (2000) & FRANK & al. (2005) & MCINTOSH et al. (2005), STUART & NOYES (2005) & PARKER et al. (2006) & REAY et MULCAHY, (2006) & BELLINO et al. (2006) & LESPERANCE et al. (2007), & Dominique SERVANT (2007)].**

Enfin, faut-il encore confirmer que les résultats qu'on a obtenus pendant trois années de recherche quasi-expérimentale ont été performants. Ils concordent avec les travaux et études de **[MEREDITH GUNLICKS (2009) & NICOLE LAROCQUE (2009)].** Bien sûre, il y a d'autres études très réduites qui avaient confirmé le contraire par rapport au projet du traitement combiné composé initialement de la thérapie interpersonnelle et les antidépresseurs de la classe des tricycliques. Les travaux de **[MARKOWITZ et al. (2005) & Mc BRIDE et al. (2006) & LUTY et al. (2007)]** considèrent que les thérapies comportementales et cognitives (TCC) associées ou non aux antidépresseurs agissent mieux que la TIP.

CONCLUSION ET PERSPECTIVES :

Au cours de la longue prise en charge, on a constaté que la plupart des patients (es), manifestent une véritable souffrance psychologique majorée par leurs conflits interpersonnels. On a senti que le supplice moral qu'ils nous transmettent indirectement a avivé notre soif de les aider à se reconnaitre en tant que sujets, afin qu'ils puissent se faire preuve d'une perception tangible de leur existence. Nous les avons aidés pour qu'ils brisent les références de leurs relations interpersonnelles préjudiciables, avant qu'elles soient accréditées dans leur mode de vie. Désormais, si la maladie dépressive se considère déjà, une pathologie endémique, l'urgence est de développer la recherche pour son traitement. Les constats cliniques décrits dans les travaux scientifiques et les préjudices causés par celle-ci démontrent bien l'engouement à sa prise en charge.

Nous avons émis comme hypothèse de départ, la possibilité d'une corrélation entre deux modèles de soins. D'où, la thérapie interpersonnelle (T.I.P) conviendrait efficacement comme traitement psychologique opérant sur le dysfonctionnement du noyau dysthymique. Les constats cliniques en fin de thérapie intégrative en disent plus haut sur ce qu'on a supposé plus bas. Malgré les limites de cette approche empirique, ne nous a pas empêchés d'observer sensiblement l'amélioration chez la majorité des patients (es) des unités expérimentales. Les aboutissements ont été encourageants et les portées étaient performantes.

Néanmoins, les patients (es) qui étaient retenus pour les unités de contrôle (GT), n'avaient pas observé d'amélioration de leurs états dépressifs majeurs. Les évaluations statistiques et cliniques des différences observées entre les groupes au cours de l'expérience ont été manifestement distinctes. Exhortés par ces résultats opérationnels et sans réticence nous nous sommes interrogés sur l'utilisation en psychiatrie d'antidépresseurs seuls comme outil pharmacodynamique de prise en charge de malades dépressifs. Or, la force principale de cette étude est la validation d'une possible association de deux traitements « analogues ». D'un point de vue critique, nous sommes conscients qu'elle comporte plusieurs limites. D'abord, sur le plan empirique, l'investigation neuroradiologique par l'IRMf ou le Pet-scan pour chaque patient (e) n'a pas été abordé. Du fait qu'il n'existe pas ce matériel dans les services radiologiques hospitalo-universitaires. Bien que cette contribution aurait donné du poids et de la valeur à notre recherche scientifique. En effet, nous avons eu recours à des instruments d'évaluations cliniques connus, de portées simples et

facilement manipulables. Ils étaient utiles et adaptés pour relater nos vignettes cliniques, malgré, les limites de leur pertinence au moment de leurs applications. Nous terminerons par rappeler de garder active techniquement la psychothérapie interpersonnelle dans le champ de la recherche que dans celui de la pratique psychologique. Nous proposons également des pistes de recherches ultérieures en vue d'expliquer nos résultats a priori surprenant. En ce sens, souhaitable que ces études antérieures doivent comporter un devis longitudinal basé sur des échelles de populations d'études plus grandes. Elles pourraient apporter peut être, un éclairage complémentaire sur la pertinence du traitement combiné et/ou intégratif proposé, en rapport avec d'autres nosologie de dépressions.

NOTES BIBLIOGRAPHIQUES

ANGERS, M.(1997). *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*. **Alger: Edition, CASBAH, 381p.DARDENNE, R. & THUILE, J. (2009).** *Neurologie pratique*, **L.E.N Médical, 3ème trimestre. Belgique.**

DEBORAH, S. (2005). *Epidemiology of major depressive disorder results from national Epidemiologic Survey on Alcoholism and related conditions.* **(62), 1097-1106.**

FAVA, G.A., FABBRI, S.S. (2002). *Residual symptoms in depression: an emerging therapeutic target*. **Prog. psychopharmacol. Biol. psychiatry, (26), 1019-1027.**

HASIN, D.S., GOODWIN, R.D., STINSON, F.S. (2005). *Epidemiology of Major Depressive Disorder Result from the National Epidemiologic Survey on alcoholism and Related Conditions*, **62: 1097-1106.**

LUCASSEN, P.J, HEINE, VM., MULLER, MB, et al. (2006). *Stress, depression and hippocampal apoptosis*. ***CNS Neural Disord Drug Targets*, (5), 531-546.**

MOUCHABAC, S. (2009). *Dépression sévère et retentissement* **: Neurologie pratique (4) ,1-5**.

MOUSSAVI, S.,CHATERJI, S., VERDES, E.T., ANDON, A., PATEL, V., USTUN, B. (2007). *Depression, chronic diseases, and decrements in health : results from the world health surveys*, **Lancet,370 :851- 858.**

SARTORIUS, N. (2001). *The economic and social burden of depression*. **J. Clin. Of Psychiatry, 62 (suppl.15): 8-12.**

World health organization (OMS). (2004). *The global burden of disease*. **Chap.4, tableau 13, 44p.**

REVUES SCIENTIFIQUES :

ALLILAIRE, J.F., CLAUDEL, B. (2011).*Nouvelles stratégies dans les traitements antidépresseurs*. Psychiatrie Adulte : **Les Entretiens de Bichat. Paris : 377-379.**

DREVETS, W.C., PRICE, J.L, Furey, M.L. (2008). *Brain structural and functional abnormalities in mood disorders: implications for neurocircuitry models of depression*. **Brain Struct Funct, (213), 93–118**.

KEEDWEL, P. (2009).*Neuro-imagerie de la dépression : intérêt de l'étude de l'anhédonie.***Cardiff Institute of psychiatry. Londre, Royaume-Uni. In Culture Psy. (13).**

L'ENCEPHALE. (2012).*La dépression dans toutes ses dimensions, « circadienne 2012 »*,**(38), 191p.**

LA LETTRE DU PSYCHIATRE. (2008).*La neuroplasticité.***ARDIX Médical. 19 p.**

L'ENCEPHALE. (2007).*Modifications cognitives et neuroplasticité*. **33, (4), 572-578.**

PITCHOT, W. SCANTAMBURLO , G. (2013). *How to cope with the bad reputation of depression*. **Revue médicale de**

Liège, (68), 186-189.

PITCHOT, W. SCANTAMBURLO ,G. ANSSEAU, M. (2011).*Tricyclic antidepressants and monoamine oxydase inhibitors – do they still have a role in the treatment of depression* ? **Revue médicale de Liège, (66), 372-377.**

PITCHOT, W., ANSSEAU, M. (2007).*Nouveautés dans le traitement des troubles de l'humeur*. **Revue médicale de Liège, (62), 451- 456.**

PAIZANIS, E., HAMON, M., LANFUMEY, L. (2008). *Neurogenèse hippocampique, épisode dépressif, et traitement antidépresseur*. LIEGE : **Revue médicale. (63), 372-377.**

STUART, S., ROBERTSON, M., O'HARA, M. W. (2006). *The future of interpersonal psychotherapy*: **Psychiatric Annals. (36), 8, 578-588.Synapse. (2005).** *Neuroplasticity and psychophysiology of depression*, **N° special (09), P.7**

URGENCES MEDICALES. (2011).*Le dépressif et son traitement*. **Special Neuro-psychiatrie. 1021-2002.**

WEISSMAN, M. M. (2007). *Cognitive therapy and interpersonal psychotherapy: 30 years later.* **American Journal of Psychiatry, (164), 5, 693-696.**

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Pr.TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr.CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr.machri soulaf
Dr.Amrani mouad
Ismahan djbali

Numéro 10 / Juin 2017
ISSN 2170-0370 ردمد

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

sixième année (6) -Numéro (10) /Ramadhan 1438– Juin 2017

ISSN 2170-0370